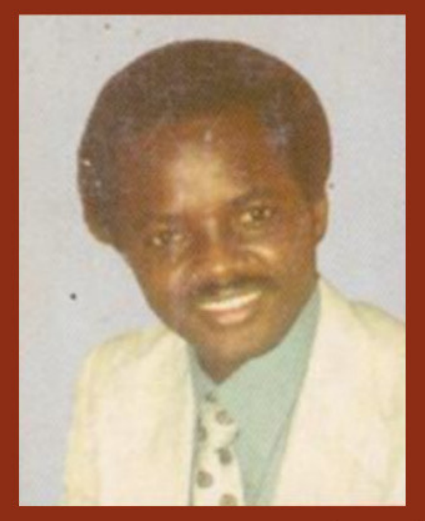
الإذاعة السودانية

في نصف قرن



الدكتور عوض إبراهيم عوض



- المؤلف: د. عوض إبراهيم عوض
- محل الميلاد: مدينة النهود، السودان.
- درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بالنهود.
- نال درجة الليسانس في القانون من جامعة القاهرة فرع الخرطوم.
- الدبلوم العالي في الإعلام من جامعة الخرطوم.
- ماجستير تعليم العربية لغير الناطقين بها من معهد الخرطوم الدولي.
- دكتوراه في الإعلام من جامعة الملايو بكوالالمبور ماليزيا.
- عمل مذيعا بإذاعة وتلفزيون السودان منذ ١٩٧٥م.
- عمل صحفيا ومراسلا لإذاعة صوت أمريكا.
- أسس عددا من الإذاعات الإقليمية بالسودان.
- يعمل الآن أستاذا لعلوم الاتصال بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- له عدة مؤلفات بالعربية والإنجليزية منها:

١/ المنبر وسيلة اتصال جماهيرية.

٢/ لغة الإذاعة

٣/ الإعلام الإسلامي، الدور التاريخي والافتراء الغربي.

٤/ الإذاعة السودانية في نصف قرن.

٥/ عفوا سيادة الرئيس.

٦/ لهُبُ من نار المجاذيب.

٧/ بُكائية للأيام الخوالي.

الإذاعة السودانية في نصف قرن

دار المؤتمن للنشر والطباعة والتأليف

1994م

دار الخرطوم للطباعة والنشر

عوض إبراهيم عوض

الإذاعة السودانية في نصف قرن

422 ص؛ 17×24 سم

نوفمبر 1994م

الإذاعة السودانية في
نصف قرن

///

صفحات من
تاريخ الإذاعة السودانية

* * *

د. عوض إبراهيم عوض

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولا يرهق
وجوههم قترٌ ولا ذلةٌ أولائك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون. والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئة بمثلها
وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم، كأنما أغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلماً أولئك أصحابُ
النارهم فيها خالدون.

* * *

صدق الله العظيم

الفهرست

الموضوع صفحة

الفصل الثالث (الإدارات الرئيسية والمتخصصة بالإذاعة)

الفصل الرابع (قضايا وأحداث إذاعية)

الفصل التاسع (خاتمة المطاف)

إهداء:

إلى الرعيل الأول من الإذاعيين، الذين أرسوا دعائم هذا الفن الخالد في بلادي، وإلى الراحلين من فرسان الإذاعة الذين غادروا الدنيا وليس في معيتهم إلا حب الناس ونكران الذات وإشراق الدواخل، إلى الأستاذ الإذاعي يس حسن معني الذي علمنا أولى أبجديات العمل الإذاعي، وإلى الراحل المقيم محمد خوجلي صالحين الذي كان لمراسه الشديد قصب السبق في أن نكونَ فكنا، إلى المبدع الدكتور صلاح الدين الفاضل، والأستاذ المخرج معتصم فضل بقدر الحب الذي أكنه لهما، لأنهما قد صنعا المعجزات في هذا الصرح الكبير المسمى إذاعة أم درمان، وإلى رفاق الدرب الأجلاء من المذيعين بالإذاعة والتلفزيون أُهدي هذه السطور مفعمةً بكل مشاعر العرفان والتقدير.

عوض

كلمة الناشر:

يسر **(دار المؤتمن)** أن تقدم لقرائها الكرام هذا السفر الجديد والجامع لكل صغيرة وكبيرة بعنوان **(الإذاعة السودانية في نصف قرن)** للكاتب والإذاعي والصحفي المعروف **(د. عوض إبراهيم عوض)**. لقد عرف مستمعو الإذاعة السودانية وإذاعة صوت أمريكا وإذاعة وادي النيل بالقاهرة ومشاهدو التلفزيون عطاء الدكتور عوض منذ سنوات طويلة، بدأت بالتحاقه بالإذاعة في عام 1975م، واستمرت على مدى الشهور والسنوات، إلى أن غير من مجال العمل الإذاعي إلى العمل الأكاديمي في أواخر عام 1990م، حيث عمل أستاذاً لمادة الإعلام بقسم الإعلام التابع لكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور ماليزيا.

لقد كتب الدكتور عوض إبراهيم عوض عدة مؤلفات قيمة من بينها هذا الكتاب **(الإذاعة السودانية في نصف قرن)**، والذي نقدمه لقرائنا كواحد من ثمرات تجربة شخصية لأحد المختصين والمتمرسين في مجال العمل الإذاعي.

وشعرنا في **(دار المؤتمن)** للطباعة والنشر بأهمية هذا الكتاب القيم. وقررنا على الفور أن نشرك معنا قراءنا الكرام في تصفحه لمعرفة تاريخ الإذاعة السودانية الذي لم يكتب عنه أحد من قبل، لا من أهل المهنة ولا من المهتمين بأمر التوثيق في السودان أو العالم العربي. ولا نشك في أن هذا الكتاب يحمل بين دفتيه الكثير من

المعلومات المهمة التي تتعلق بنشأة وتطور ومسار إذاعة أم درمان، بل وجميع الإذاعات الإقليمية والولائية الصغيرة التي انبثقت منها في مدن السودان المختلفة. ولا نشك في أن هذا الكتاب بتفرده الخاص الذي تميز به سيفيد القارئ الكريم، ومستمع الإذاعة، وطالب العلم، ورجل الإذاعة على السواء. خصوصاً أولئك الذين يرغبون في الالتحاق بهذه المهنة المتميزة في المستقبل من أبناء جيل الشباب. حيث لا مناص من معرفة ما تناوله هذا الكتاب لكل من يريد أن يتعرف على أسرار وخفايا الإذاعة.

شيء آخر جعلنا نفكر بجدية في دفع هذا الكتاب إلى المطبعة، وهو أنه صدر من شخص له خبرته الطويلة في مجال العمل الإذاعي، وفي نفس الوقت فقد أثبت كفاءةً في تدريس مادة الإعلام. وهذا الدور الذي أداه ويؤديه كباحث وأستاذ جامعي قد أسهم إسهاماً واضحاً في جعل هذا الكتاب موسوعةً ومرجعاً هاماً عن الإذاعة السودانية بكل تاريخها وحاضرها ورؤى المستقبل الذي ينتظرها.

و(**دار المؤتمن**) حينما تقدمه لقرائها الكرام، إنما تطمح أن تضيف جديداً للحصيلة المعرفية لقرائها في مجال الإعلام المسموع. ذلك لأن من خلال تصفحه سيجد القارئ سرداً دقيقاً لما يدور بين أروقة الإذاعة من عمل دؤوب يتنقل بين الإعداد والتقديم والإخراج

وكل ما يتعلق بدور الإذاعيين والمبدعين الذين تعاملوا ويتعاملون مع إذاعة أم درمان منذ لحظة إنشائها وإلى اليوم. وفي الختام نتمنى أن يجد هذا الكتاب صدىً واسعاً بين القراء ومستمعي الإذاعة على السواء، فضلاً عن طلبة الإعلام بالكليات الجامعية المختلفة، والذين سيجدون فيه أول مرجع موثق على الإطلاق لتاريخ وحاضر الإذاعة السودانية ذات الريادة وسط إذاعات أفريقيا والعالم العربي.

دار المؤتمن للطباعة والتأليف

بدار الإحسان



* * *

تقديم

كان البرد قارساً في تلك الليلة الشتائية، التي هرب النوم فيها من جفوني وفارقت عيني أطياف النعاس. ورغماً عن شدة الزمهرير، خرجت في صبيحة اليوم التالي، الذي كان يوافق الثالث من شهر شباط فبراير عام 1990م من منزلي، وتوجهت صوب الإذاعة [1]. وفور وصولي دخلت بلا مقدمات على المكتب المقابل لمكتبي، وهو مكتب الأستاذ المخرج **(صلاح الدين الفاضل)**، الذي كان يشغل وقتها منصب نائب مديرعام إذاعة جمهورية السودان [2].

كان عقلي مشغولاً أكثر من أي وقت مضى، بفكرة ملأت حواسي وتغلغلت في الوجدان لأيام طويلة، ثم قسراً عاودتني إلى الحد الذي قررت فيه أن أبدأ مهما كلفتني التجربة. فواجب الوفاء والعرفان يقتضي أن أقوم بهذا الدور، الذي لا أحسبه إلا واجباً ستقصر عنه

---

1 الإذاعة المقصودة هنا وفى كل صفحات الكتاب هى إذاعة جمهورية السودان التى تقع بمدينة أم درمان العاصمة الوطنية للسودان، وموقعها على الضفة الغربية لنهر النيل بعد مسافة قصيرة من ملتقى النيلين الأزرق والأبيض الذي يُسمى مقرن النيلين.

2 تقلد الأستاذ صلاح الدين الفاضل منصب نائب المدير العام للبرامج الموجهة، ثم ترقى إلى درجة مدير عام الهيئة القومية للإذاعة السودانية فى عام 1994م خلفاً للأستاذ حديد السراج، الذى تقلد منصب المدير العام لفترة وجيزة ثم انتقل إلى وزارة الثقافة والإعلام.

قامتي مهما طالت، وستتواضع دونه مقدراتي مهما كان حجم الجهد الذي سأبذله، وعذاباً تهون دونه عاديات الزمان مهما تكاثرت. ولكن ما أجمل أن يفي المرءُ لحبيب عزيز، وما أجمل الجهد ما دام من أجل قضية وليس ضرباً من ضروب إضاعة الوقت في اللهو المضاع. إنَّ واجب العرفان والتقدير لإذاعة أم درمان هو الذي دفعني للتفكير في هذا الأمر الذي أتيتُ من أجله ذاك الصباح.

وهبَّ الأستاذ صلاح من كرسيه، واستقبلني كعادته بقفشاته التي تسبق عباراته المتزنة، التي ظلت تلازم تحيته لكل الناس على مدى ما يزيدُ على الثلاثين عاماً هي الفترة التي قضاها بين أحضان الإذاعة منذُ أن كان مساعد مخرجٍ فيها إلى أن أصبح مديراً عاماً لها ثم غادرها ليصبح أحد دكاترة علم الاتصال القليلين في بلادنا.

كان المكتب الصغير يضج كعادته بعددٍ من الممثلين والمخرجين والأدباء والإذاعيين، الذين كثيراً ما يجلسون به لساعاتٍ طويلة استعداداً لتقديم برامجهم أو مناقشة المواد الإذاعية الجديدة. وهو مَكتبٌ حوى عبر السنوات أعمال قِسمي الدراما والإخراج وجانباً من المنوعات لفتراتٍ متلاحقة.

حييتُ الجميع وجلستُ، حيثُ كان كل واحد من الحاضرين يتحدثُ عما يخصه. ورغماً عن صخب الحوار الذي كان يقوده الأستاذ **(هاشم صديق)** في تلك اللحظة عن إشكالية النقد ومعهد

الموسيقى وتداعيات الخريجين، بادرتُ الأستاذ صلاح بفكرتي التي جئت من أجلها. وقلتُ له: ((**باختصار، إنني قادم هذا الصباح لأخبرك بأنني عزمت على وضع كتاب عن إذاعة أم درمان، تاريخِها وحاضرِها ومستقبلِها، خصوصاً وأننا الآن على مشارف العيد الخمسين لها، حيث إنها نشأت في عام 1940م** [3] **وظلت شعلةً وقادةً عبر السنين**)).

وقبل أن يجيبني شرعتُ في الحديث عن فكرتي حتى انتبه للحديث جميعُ الحاضرين. وشرحتُ لهم أنَّ هذه الفكرة ظلَّت تراودني منذ سنواتٍ بعيدة بحكم أنَّ عطاء الإذاعة المتدفق لم يجد من يخلده في المكتبة العربية، وأنَّ أبناءها الذين علَّمتهم أسرار النجاح وقدمتهم للدنيا رجالاً ناضجينَ وعلاماتٍ مُضيئةً في سجل العطاء الإنساني لم يبادروا بالكتابة عنها ولو سِفراً صغيراً يخلد تاريخها ودورها المتعاظمَ عبر السنوات.

ولقد توالت الأحداث والوقائع على الإذاعة بشكلٍ يكفي أن يجعل منها كتاباً متفرداً للأجيال القادمة. ولكنْ كُلُّ الذي يعرفُه الناسُ عن تاريخ وتطور إذاعة أم درمان هو المعلومات التي ظلَّ يرددها الروادُ الأوائل عندما يتحدثون من وقتٍ لآخر عبر البرامج الإذاعية

---

[3] كانت نشأة الإذاعة فى شهر يناير عام 1940م. ولكن تقول ملفات دار الوثائق القومية إن البداية الفعلية للبث على الهواء كانت فى أول أبريل من ذلك العام وليس يناير الذى أقيمت فيه الإذاعة (مجلة هنا أم درمان أول يناير 1964م).

والتلفزيونية من خلال ذكرياتهم. ولكنَّ هذا قطعاً لا يكفي، لأنَّ حديث الذكريات عبر الأثير تذروُهُ الرياح، في حينٍ يبقى الحرفُ المكتوبُ على الصفحات إلى الأبد[4]. وأذكر أننا كنا ذات يوم في معية الأستاذ **(محمد الحسن أحمد)** [5] صاحب ورئيس تحرير جريدة **(الأضواء)** [6] نصف الأسبوعية خلال فترة الديموقراطية الثالثة بالسودان، نعقد اجتماعاً كأسرةٍ لتحرير الصحيفة بمناسبة إصدار عدد خاص بمناسبة ذكرى استقلال السودان التي بقي عليها أسبوعٌ واحد.

وبعد حوار مستفيض عن شكل العدد، ومواده المقترحة، رجعنا إلى الأرشيف باحثين عن المراجع المناسبة التي تُعيننا على الكتابة. وأثناء البحث صادفتنا الكثير من الكتابات الصحفية عن الصحافة في

---

4 بحثَ المؤلفُ عن أي مخطوطة أو كتاب عن الإذاعة السودانية في مكتبات السودان المختلفة فلم يعثر على شيءٍ من ذلك.

5 محمد الحسن أحمد صحفي وكاتب سوداني بدأ حياته العملية بهيئة السكة الحديد بعطبرة، وكان مولعاً بالفكر التقدمي فانخرط في حركة الشباب الديموقراطي وهي لسان حال اليسار الذى كان يتصدره الحزب الشيوعي السوداني آنذاك، ثم انخرط فى العمل الصحفي وأصدر صحيفته الأسبوعية (الأضواء) أيام الديموقراطية الأولى، ثم توقف عن إصدارها ليعاود العمل فى عام 1985م بعد الإطاحة بحكومة جعفر نميري. وقد أوكل منصب رئيس مجلس إدارة الصحيفة لصديقه أيام الشباب الصحفي محمد سعيد معروف.

6 توقفت صحيفة الأضواء عن الصدور فى يوم 30 يونيو 1989م بعد الإطاحة بحكومة الصادق المهدى فى انقلاب عسكرى قاده العميد عمر حسن أحمد البشير.

السودان، تاريخها وتطورها، والأحداث التي واكبت نشأتها [7]، فقلت للحاضرين: ((تُرى لماذا **نجد كل هذه المقالات عن الصحافة السودانية، بل وحتى بعض الكتب التي وضعت عن تاريخها، ولا نجد كتاباً واحداً بالمكتبة يتحدث عن إذاعة أم درمان؟**))

وعلى الفور بادرني الأستاذ **(محمد سعيد معروف)** [8] الذي كان يشغل يومها منصب رئيس مجلس إدارة صحيفة الأضواء قائلاً: ((**لقد جاء دوركم الآن أنتم أبناء الإذاعة لتكتبوا عنها وتخبروا الأجيال عن تاريخها وحاضرها ومستقبلها**)). فقلتُ له: ((**إن شاء الله إنا فاعلون**)). وخرجنا من الاجتماع، وفي خلدي تعشعش فكرة الكتابة عن الإذاعة. وظلت الأفكار تتبلور كل يوم في الخاطر، وتتداح أشكالُ السطور في الخيال، وترتسمُ في المخيلة عناوينُ الفصول.

---

[7] أهم ما كتب عن الصحافة السودانية كتاب بعنوان (الصحافة السودانية فى نصف قرن) للصحفى والكاتب محجوب محمد صالح الذى كان رئيساً لتحرير صحيفة الأيام اليومية.

[8] محمد سعيد معروف أحد الصحفيين القدامى بالسودان، كان يعمل فى مقتبل حياته بمصلحة السكة الحديد بمدينة عطبرة. وكان منتمياً لشباب الحزب الشيوعي عند نشأة الحركة اليسارية بالسودان وكانت له علاقاتٌ وطيدة برجال الفكر والسياسية فى مصر، ثم انخرط فى العمل الصحفي فتقلد عدة مناصب فى هذا المجال منها رئيس مجلس إدارة صحيفة الأضواء، مدير تحرير صحيفة السودان الحديث، ثم رئيس مجلس الصحافة والمطبوعات فى مطلع التسعينيات. عينته حكومة جعفر نميرى ملحقاً ثقافياً بسفارة السودان بالقاهرة ثم عاد بعد ذلك لممارسة العمل الصحفي بالسودان.

وكان من ضمن الدوافع التي جعلتني أفكر في وضع هذا الكتاب أن نتمكن من سبر أغوار الحقائق عن دور وسائل الاتصال في بناء الإنسان والتغيير الاجتماعي للأمم. وذلك لما افترضه عددٌ من علماء الاتصال المؤسسين وعلى رأسهم **(هارولد لاسويل)** Harold Lasswell، و**(ولتر ليبمان)** Walter Lippmann من أنَّ وسائل الاتصال الجماهيرية ذات بعد اجتماعي وذات أثر في سلوك الفرد ومعتقداته وفكره [9].

كما أنَّ العلامة المسلم **(عبد الرحمن بن خلدون)** قد أقر بأنَّ تواصُلَ الناس، وبناءَ العلاقاتِ الاجتماعية بدافع الحاجات المشتركة، وتبادل المنافع، وتقسيم الأدوار بينهم هو الذي يؤدي إلى عُمران العالم الذي لا يتم إلا بعنصر الاتصال [10]. وهذا هو لباب القضية العلمية التي نحن بصددها.

كما أنَّ **(دي فلور)** Defleur ورفيقَه **(بول روكش)** Ball-Rakeach وهما من أساتذة الاتصال المرموقين أيضاً من خلال المنظور الرابع والذي اصطُلِحَ على تعريفه بالمنظور الثقافي للمفهوم الدلالي للاتصال قد أقرا أنَّ عملية الاتصال عمليةٌ ثقافية تُصبح المعرفةُ من خلالها مجموعةً من المعطيات الثقافية، وتكتسب بموجبها

---

[9] هارولد لاسويل، (1927م)، أساليب الدعاية في الحرب العالمية، نيو يورك، صفحة 79.

[10] علي عبد الواحد وافي، (1979م)، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الثانية، دار النهضة المصرية، القاهرة.

الكلمات والإشارات والإيماءات والحركات الجسدية للإنسان تفسيراتٍ مشتركة بين أبناء الجماعة اللغوية [11]. وأحسستُ من خلال هذه الإشارات والتفسيرات بخطورة الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في حياة البشرية لاسيما مؤسسة كإذاعة أم درمان. وانتابني إحساسٌ بأنَّ تأكيد هذه المقولات يستدعي شيئاً من الدراسة والتعمق في التجارب الإنسانية خصوصاً لدى أبناء العالم الثالث الذين لم يتشرف علماءُ الاتصالِ الغربيون الذين وضعوا هذه الافتراضات بالتعامل معهم أو إخضاعهم لأي شكلٍ من أشكال الدراسات. ولذلك فليكن هذا النموذج هو راديو أم درمان [12] لنعرف إلى أيِّ حدٍ لعب دوراً في تأطير هوية الإنسان السوداني.

وإذاعة أم درمان جديرةٌ بهذه الدراسة بحكم أنها ظلت الوحيدةَ بين مثيلاتها من الإذاعات الأفريقية والعربية التي تفردت في نشأتها ومسارها التاريخي ودورها الاجتماعي والسياسي والثقافي. وسيتضح هذا من خلال هذه الصفحات، حيث إنها نشأت في زمانٍ لم تعرف فيه معظم الدول الأفريقية والعربية والإسلامية شيئاً يُسمى الإذاعة. وفي نفس الوقت كان لتفرد التركيبة البشرية في السودان من حيث الجذور

---

11 محمود محمد قلندر، (1999م)، الاتصال الجماهيري النظريات والوسائل والنماذج، دار يونيفيزيون للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، كوالا لمبور، صفحة 9.

12 راديو أم درمان هو الاسم الذي عُرفت به دار الإذاعة السودانية التي نشأت عام 1940م في مدينة أم درمان العاصمة الوطنية للسودان. وقد سميت مؤخراً هيئة الإذاعة السودانية.

والموروث الثقافي والتباين الإثني ما جعل منها إذاعةً جديرةً بالدراسة بحكم ما وقع على عاتقها من دورٍ خطير تمثَّلَ في خلق توليفةٍ اجتماعيةٍ من رُكامٍ في غاية التعقيد والخصوصية والتفرد بحكم التركيبة الإثنية والسياسية والفكرية لأبناء السودان.

وقبل أن أسترسل في الحديث الطويل عن الإذاعة والفكرة والدوافع أوقف الأستاذ صلاح سيل أفكاري الذي كان بالفعل محتاجاً يومها إلى كبح الجماح، وقال لي: ((**هذا كلام جميل، وإحساسٌ طيب، إلا أن إدارة الإذاعة قد سبقتك وكلَّفتْ بالفعل أحد الأشخاص ليضع كتاباً عنها في عيدها الخمسين، وأظنه قد بدأ بالفعل في تأليف الكتاب ليكون جاهزاً في عيد الإذاعة الذهبي الذي سيكون في الأول من شهر نيسان أبريل عام 1990م**)).

كنت سعيداً جداً بذلك الحديث الذي لم أسمعه قبل ذلك. وكان مصدر سعادتي أنَّ إدارة الإذاعة قد كان لها نفسُ الاهتمام بهذا الأمر ما دامت قد كلَّفت من يكتب كتاباً عن تاريخها.

ثم انخرطنا بعد ذلك في حديث وحوار طويل عن خصوصية العلاقة بين إذاعة أم درمان ومستمعيها، وعن دورها الكبير في إزكاء روح الوحدة الوطنية بالسودان، وعن دورها في حفظ التراث، وإثراء وجدان الإنسان السوداني، وإسهامها في مختلف مجالات العطاء الخاصة والعامة. وشارك كلُّ الحاضرين الذين كان بينهم الأستاذ

(**مكي سنادة**)، والأستاذ (**الخاتم عبد الله**)، والأستاذ (**عوض صديق**)، والأستاذة (**بلقيس عوض**)، في ذلك الحديث عن دور الإذاعة المتعاظم في كل يوم منذ أن بدأت بثَّ برامجها للمستمعين قبل خمسين عاماً مضت.

وتحدث الجميع عن خصوصية العلاقة بين الإذاعة ومستمعيها، وكيف أنها ظلت طوال عمرها تدعوا الناس إلى رحابها ليقضوا ساعاتٍ من المتعة والفرح في مواسم الأعياد، وكيف أنَّ روادها الأوائل من الإذاعيين قد لعبوا دور الآباء وولاة الأمور وحماة الحمى لكل العاملين في أقسامها المختلفة.

فهاهو الراحل (**محمد خوجلي صالحين**) يذهب إلى بيوت الأُسر ليطلب يد بنتهم لأحد أبناء الإذاعة، ولا يملك أهلُ الفتاةِ إلا أنْ يستجيبوا لأنهم يعلمون أنَّ علاقة أهل الإذاعة فيما بينهم أقوى من رباط الدم والعشيرة [13]. وتقام ليالي الأفراح الخاصة بالعاملين في سور الإذاعة لأنها البيت الكبير الذي وَسِعَ كُلَّ الناس. وأثناء حديثنا كانت عقارب الساعة قد أشارت إلى موعد دخول الأستديو بغرض تسجيل

---

[13] هذه المعلومة رواها الإذاعي حمزة مصطفى الشفيع للمؤلف في يوم 5 يونيو 1975م حيث كان حمزة يتقلد يومها منصب رئيس وحدة الأخبار الصوتية التي أصبح بعدها رئيساً للقسم السياسي بالإذاعة بعد أن أُدمجت فيه وحدة الأخبار الصوتية.

برنـامج أصـداء 90 [14]، فقطعنـا سيل أفكارنـا عن ذاك الكتـاب، ونزلنـا إلى الطابق الأرضي متوجهين نحو أستديو **(كرومـة)** [15]، وانخرطنا في تسجيل البرنامج الذي سلمناه بعد ساعة من الزمان لأمين المكتبة كما هو الحـال بعـد تسـجيل أي برنـامج لكـي يضـعه موظـفُ المكتبـة فـي مكانـه المحدد بعد إعطائـه رقماً متسلسـلاً يميزه عن بقيـة الأشـرطة ولا يُخرجه إلا عندما يحين وقتُ إذاعتـه حسب الجدول الذي يضـعه قسمُ التنسيق. انقضى ذلك اليوم وكان لذلك الحوار ما بعده. وكان الفكرُ قد انشغل بأمر الكتاب الذي قررت إدارةُ الإذاعة تأليفَهُ ليكونَ جاهزاً في عيدها الخمسين.

سعدتُ كثيراً لذلك الخبر، خصوصـاً أنَّ الشخص الذي كُلِّفَ بوضعه رجلٌ صديقٌ وفنانٌ مطبوع ولـه بـاعٌ طويلٌ في العمل الإذاعي، حيث عايش ميكروفون الإذاعة منذ نعومـة أظفاره وعمل في كثيرٍ من أقسامها المختلفة [16]. وفوق هذا وذاك فإنه سيحمل عني عبء الكتابة، ويؤدي المهمة التي طالما أرَّقتني خلال الشهور الماضية. كان المُهِمُّ

---

14 برنامج أصداء ابتكره صلاح الدين الفاضل وكانت تعده وتقدمه فى البداية الإذاعية ليلى المغربي وعندما عُين المؤلف مذيعاً بالإذاعة فى مايو 1975م كان أول عمل إذاعي تدرب عليه هو هذا البرنامج الذى أُسند إليه تقديمه بصورة رسمية فى عام 1985م، وظلَّ يعده ويقدمه حتى عام 1990م.

15 أستديو كرومة أحد الأستديوهات الإذاعية، وسيجيءُ الحديث عنه وعن تسميته فى الفصل الثاني من هذا الكتاب ضمن الحديث عن أستديوهات الإذاعة.

16 الشخص المكلف بوضع كتاب الإذاعة هو الإذاعي ذو النون بُشرى.

عندي أن أرى كتاباً عن إذاعة أم درمان، وليس المهم أن أكون أنا أو غيري هو المؤلف. ولذا بقيت أُمَني النفسَ بصدوره في أي لحظة علَّهُ يحوي بين صفحاته ما يدور في رحاب هذه المؤسسة العريقة التي تعشقها أهلُ السودان، وأبث إلا أنْ تبادلهم حباً بحب وهياماً بهيام.

وكانت خطوات الزمان عَجْلَى، وَقْعُها أَسْرَعُ من خُطَاي، فلم يمكنني جريانُها السريع من متابعة أمر الكتاب الذي شغل فكري زماناً. وكانت المشاغل قد تكأكأت علي كتكأكؤ الأكلة على قصعتها. حيث كان لزاماً علي أن أنصب على المراجع، لأكمل بحث الماجستير الذي قد اكتمل في شهر آب أغسطس من ذلك العام 1990م. وبعد اكتماله مباشرةً ودون أي مقدماتٍ وجدتُ نفسي في قلبِ مدينة **(كوالالمبور)** عاصمة بلاد **(الملايو)**!! التي جئنا إليها في شهر أيلول سبتمبر مع كوكبة من الزملاء والأصدقاء لنعمل محاضرين في إحدى جامعاتها **(الجامعة الإسلامية العالمية)**.

كان ذلك في صيف عام 1990م. ومرت الأيام، ووجدتُ نفسي نائياً عن جدران الإذاعة وضجيج الحياة بين أروقتها العامرة على مرِّ الدهور رغمَ أنها لم تَغِبْ عن خاطري يوماً. وظلت محفورةً في الوجدان رغماً عن بُعد المسافات. وشيئاً فشيئاً بدأت تأخذنا جميعاً دوامة العمل الأكاديمي بالجامعة، فلم أعد أعرف شيئاً عن ذلك الكتاب الذي انتظرته طويلاً. وفي صيف عام 1992م، جاء إلى ماليزيا أحدُ

زملاء المهنة من الإذاعيين لينال تدريباً على الإخراج في معهد الإذاعة الماليزي، وسألته عن الكتاب، فأجابَ أنه لم يسمع عنه شيئاً. ولما كان ذلك في صيف عام 1992م، فقد ثارت في نفسي رغبةٌ جديدة وحماسٌ غامر أن أبدأ في التأليف.

وأصبح الدافعُ أقوى هذه المرة بحكم سيطرة الجو العلمي داخل الجامعة، والذي يحفل كثيراً بالبحوث والدراسات العلمية والكتابة والتنقيب بين أضابير الكتب. وأخيراً استعنتُ بالله، وقررت أن أبدأ في نقش الحروف على الورق مهما أعوزتني المراجع، ومهما خانتني الذاكرة. وسيان عندي ظهر ذلك الكتاب أو لم يظهر، لأنني أصبحت مقتنعاً بأنه لا يضير إذاعة أم درمان شيئاً أن يكتب عنها شخصان أو ثلاثة أو حتى ألف. فكل كاتبٍ له أسلوبه الخاص ورؤيته المختلفة للأمور، وزواياه التي يتناول منها الحديث.

ولا بأس من كثرة الكتاب ما دام الهدف هو توثيق المسار وتخليد الحقائق، خصوصاً وأنَّ ما قدمته الإذاعة طوال سنواتها التي امتدت لأكثر من نصف قرن من الزمان، لن يكفيه كتاب واحد مهما بذل فيه كاتبه، ومهما كانت رؤاهُ، ولذا فها أنذا أبدأ مشوار الكتابة.

وكان المنهج الأمثل لوضع هذا الكتاب هو المنهج الاستقرائي الوصفي الذي يقومُ على شقين هما: الاستقراء التاريخي للأحداث، ثم التحليل المنطقي للمعلومات بغرض الوصول إلى نتائج. وقد لجأتُ

إلى هذا الأسلوب بحكم طبيعة الكتاب الذي لم تتوفر له أي مصادر مكتوبة في المكتبة السودانية، اللهم إلا النذر اليسير من الوثائق التي وُجدت بدار الوثائق السودانية وبعضها الذي توفر من جامعة دَرَمْ. ولذلك لكي نتعرف على حقيقة الدور الذي لعبته إذاعة أم درمان في لعب كل هذه الأدوار وإعادة صياغة التركيبة الثقافية والاجتماعية لأبناء السودان فلا بد من تسليط بعض الأضواء على الخارطة البشرية والثقافية للسودان، ثم التعرف على الظروف التي أملت نشأة وتطور هذه الإذاعة على نمطٍ مغاير لمثيلاتها الأخريات لنستخلص المعلومات والنتائج من خلال السياق.

والحقيقة التي لا يعلمها كثير من الناس حتى بعض أبناء الإذاعة هي أنَّ إذاعة أم درمان دون رفيقاتها من الإذاعات في العالم الثالث كانت نموذجاً للعديد من إذاعات أفريقيا، وكان قَدَرُها أنْ تقودَ مسيرة النضال ضد المستعمرين الذين أنشأوها [17].

كما كان قَدَرُها أنْ تجمعَ شتاتَ عشراتِ القبائل التي تعيش في أرض السودان المترامية الأطراف، وكان قَدَرُها أنْ تُوَحِّدَ أكثر من مائةٍ وسبعين لساناً في لغةٍ قوميةٍ واحدة، تصنع بها الأجيالُ مستقبلاً لا

---

17 نشأت الإذاعة السودانية بقرار من الحكومة البريطانية لخدمة عدة أهداف سيجدها القارئ في مستهل الفصل الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان نشأة الإذاعة السودانية وتطورها.

تشويه مرارة الأعراق ولا تمزقه عصبية القبيلة [18]. وكان قَدَرُها أنْ ترمي ظلالاً على كل الدول المجاورة للسودان جغرافياً ووجدانياً وثقافياً. حيث إنها قد فرضت عليها كثيراً من التأثير بدا في تجارب الصومال، وإثيوبيا، وتشاد، وأفريقيا الوسطى، ويوغندا في مجال العمل الإذاعي. ولذلك جاءت إذاعات معظم هذه الدول الإفريقية المجاورة صورةً طبق الأصل لإذاعة أم درمان.

لم يكن ذلك من قبيل الصدفة، وإنما قصدت تلك الإذاعات أن تُجاري إذاعةَ أم درمان وقعَ الحافرِ على الحافر، لأنها وجدت فيها النموذج الذي يُحتذى والمثال الذي يمكنُ أنْ يُقَلَّد. وكانت مجاراتها أمراً ضرورياً حتمه واقعُ التيمن بالشقيق الأكبر، ورسخته أفضليات القناعة بما في أضابير إذاعة أم درمان من أسلوبٍ متفرد من البرمجة والخدمات المختلفة التي ظهرت على الأثير[19].

هذا قليلٌ من كثير كانَ حافزاً للكتابة عن هذه المؤسسة العريقة رغم ما في الكتابة من متاعب، ورغم خطورة مسالكها التي

---

[18] يوسف الخليفة أبو بكر وسيد حامد حريز (1982م)، اللغة العربية واللغات المحلية في خريطة جمهورية السودان الديموقراطية، المؤتمر الأول للغة العربية في السودان، ورقة بحثية، الخرطوم (سيجد القارئ رصداً كاملاً لعدد اللغات المستخدمة فى السودان بالفصل الأول من هذا الكتاب).

[19] عينت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خبيراً سودانياً لها فى عام 1982م ليعمل بإذاعة الصومال بغرض إنشاء أقسامٍ للدراما والمنوعات على غرار ما فى إذاعة أم درمان.

تجعلُ الخائضَ فيها كالخائضِ في وَحَلِ الطريق. ولكنَّ العزاء هو أنني سأكتب ما يجيش بخاطري، وأعبر عن رغبة نفس بشرية. وفي الواقع ليست هناك مراجع يمكن الاستفادة منها. وإنَّ شح المعلومات الموثقة هاجسٌ مزعج لمن يريدُ أن يكتبَ شيئاً.

والحديث عن الإذاعة السودانية تنقصه المراجع المكتوبة، ويظل معظم الاعتماد فيه على التجارب الشخصية، واجترار الذاكرة، والحوارات الشخصية مع صُناع العمل الإذاعي، الذين رحل نفرٌ عزيزٌ منهم إلى الدار الآخرة [20]، والذين بقوا على قيد الحياة منهم بعيدون الآن بعداً لا تقصره لواعج الحب والتقدير والاحترام لهم [21]. ورغم كل هذا كان هناك شيء واحد ساعدني في تأليف هذا الكتاب، وهو بحثٌ كنتُ قد أعددته عندما كنت طالباً للدراسات العليا بجامعة الخرطوم عام 1984م عن المادة السياسية بالإذاعة والتلفزيون.

---

20 استقى المؤلف العديد من المعلومات الواردة في هذا الكتاب من الإذاعي الراحل محمد صالح فهمي الذي كان مديراً للإذاعة حتى مجيء حكومة مايو 1969م.

21 أكثر الذين استقى المؤلف منهم المعلومات عن الإذاعة في فترة الستينيات وما بعدها هو محمد خوجلي صالحين الذي كان مديراً للإذاعة عندما التحق بها المؤلف، وقد ربطته به علاقاتٌ وطيدة وصداقةٌ استمرت على مدى السنوات. التحق صالحين بالإذاعة كمذيعٍ في آخر الخمسينيات ثم تدرج بها حتى وصل إلى منصب المدير العام ثم تقلد بعض المناصب القيادية خارج الإذاعة حيث أصبح وكيلاً لوزارة الثقافة والإعلام ثم وزيراً للثقافة ومديراً لوكالة السودان للأنباء (الوكالة الأولى بالدولة) ثم وزيراً للمرة الثانية ثم أميناً لأمانة العاصمة القومية في بداية التسعينيات. وهو من الشخصيات التي تُعتبرُ مرجعاً أساسياً للمعلومات حول إذاعة أم درمان.

وكان الدكتور (**إسماعيل الحاج موسى**)[22] مشرفاً على ذلك البحث، فأشار عليَّ وقتها أن أنشره في كتاب، لأنه يحسب أنَّ فيه معلوماتٍ ستفيدُ القارئ. وأعاد عليَّ الدكتور إسماعيل الحاج موسى اقتراحه بنشر ذلك البحث في صيف عام 1990م عندما كنا نتجاذب أطراف الحديث في إحدى الأمسيات العامرة مع بعض الأصدقاء في حي المهندسين بمدينة أم درمان.

وشعرتُ يومها بصدقِهِ في طرح ذلك الاقتراح. ولذلك آليتُ على نفسي أن أجعل هذا البحث مرجعاً أساسياً لتأليف هذا الكتاب. ولذا فقد يلاحظ القارئ نزوع هذا الكتاب إلى الروح الأكاديمية أكثر من الروح الأدبية التي يقتضيها المقام.

فالبيئةُ التي أكتبُ فيها الآن وهي (**بلاد الملايو**) تتضح بالعجمة والتغريب، ولا أثر فيها لبلاغة العرب ولا فصاحتهم[23]. ولذا

---

22 د. إسماعيل الحاج موسى عمل وزيراً للثقافة والإعلام فى ظل حكومة جعفر نميري. وهو الوزير الوحيد الذى اهتم بقطاع الثقافة أكثر من قطاع الإعلام منذ إنشاء الوزارة، حيث ابتكر مهرجانات الثقافة الفصلية بالسودان. وهو محامي وأستاذٌ بجامعة الخرطوم حيث يقومُ بتدريس مادة علم الاجتماع. وقد نال تعليمه فوق الجامعي بفرنسا، مما أكسبه خبرةً واسعة بالثقافة الفرانكوفونية.

23 بدأ تدريس اللغة العربية بماليزيا من خلال المدارس الدينية المنتشرة فى بعض الولايات الماليزية مثل كلانتان وترنقانو وملاكا. ثم توسع تدريس هذه المادة مع ظهور الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وبالتحديد فى عام 1987م عندما صدر قرارٌ بتدريس اللغة العربية لجميع طلبة الجامعة فى مراحلهم المختلفة.

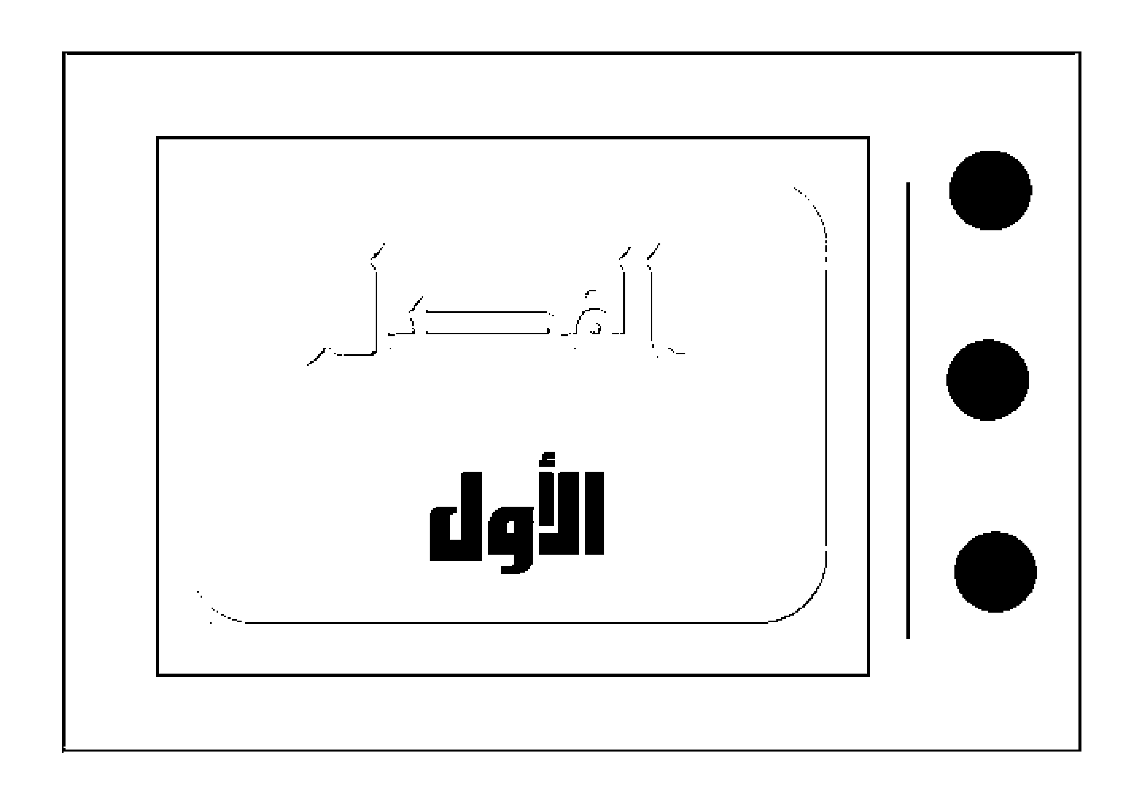
جاء كثيرٌ من أبناء العالم العربي إليها لينقلوا هذا التراث الأصيل الذي حمله إليها في غابر الأزمان أسلافهم الذين حملوا راية التوحيد. والعزاء أن هذه الديار، رغماً عن بعدها السحيق عن بلادنا إلا أنها أتاحت أعظم الفرص لنشر الثقافة العربية والكتابة العربية، حيث توفرت فيها كل مقومات الكتابة من طباعة ونشر وتوزيع، وهذا ما يسعد الإنسان حقاً. وها أنا ذا أسطر ما يجيش بخاطري، وأقول للقارئ العزيز: ((**هذا هو الكتاب بين يديك، أتمنى أن تجد فيه ما يشجعك على قراءته، وأتمنى أن يكون فيه ما ينفع، وأرجو أن يكون لبنةً في صرح التوثيق لإذاعة أم درمان. كما أرجو أن يحرك شجون زملاء المهنة والأساتذة المختصين ليكتبوا عنها، لأنها أعطت وأجزلت العطاء ولم تأخذ شيئاً**)).

وأتمنى أن يتناول أهل الدراية والمعرفة بتاريخ الإذاعة هذا الكتاب بالتحليل والتمحيص حتى نصل جميعاً إلى الغاية المنشودة التي هي تسجيل تاريخ المؤسسات الثقافية في بلادنا كل من زاويته. وإذا كانت هناك معلومات تحتاج إلى الإضافة أو التعديل فأرجو ألا يبخل بها علينا أحد.

فنحنُ جيلٌ اقتحم مجال العمل الإذاعي بكل إصرار الشباب، وعشقناه بكل تحنان الندامى، رغم أن سنوات طويلةً قد مضت على أيام البداية. وقد تضيع علينا كثير من الحقائق التي تستحق التسجيل،

ولكن سيبقى هدفنا الأول والأخير هو التوثيق للأجيال القادمة. ولكي نبدأ الحديث عن الإذاعة لا بد من التعريج في لمحة خاطفة عن التركيبة الأنثروبولوجية والثقافية لأهل السودان، لأنها ذات أهمية خاصة، في نشأة وتطور الإذاعة، خصوصاً وأن أهم دور لعبته إذاعة أم درمان قد انبنى على دعائم تلك الخلفية التاريخية المهمة. والله المستعان على إتمام المقاصد.





لمحة عن التركيبة الأنثروبولوجية للسودان

الفصل الأول

لمحة عن التركيبة الأنثروبولوجية للسودان

((السودان بلدٌ فيه رقعةٌ صحراويةٌ واسعة وغاباتٌ يصعبُ اختراقُها ومجالسُ أدبيةٌ مثقفة في الخرطوم ورقصٌ جنونيٌ في الجنوب)).

[محمد أحمد محجوب]

رئيس وزراء السودان

الأسبق

1

لقد ظل السودان عبر العصور مرتعاً لتلاقح ثقافاتٍ بشريةٍ عديدة، حيثُ تصاهرت فيه العديد من السلالات ذات السحنات المتباينة، والتي نزحت من شتى البقاع حاملةً معها الكثير من الملامح والسمات المميزة. وحوت أرضُه عدداً من القبائل القاطنة والوافدة التي استوطنت عبر الأزمنة لتخلق الجو الذي يناسبها، وتتعامل مع الطبيعة وفق إرادتها ومقدرتها على التواؤم. وقد تمركزت كل مجموعة منها في

رِقعة جغرافية اختارتها حسب طبيعتها وظروفها الحياتية وأنماطها المعيشية [24]. وبما أنَّ السودان يعتبرُ من أكبر أقطار القارة الأفريقية مساحةً وأكثرها جواراً [25] فإنه يمتاز برقعة جغرافية حفلت بالعديد من الموروثات الثقافية والفنون والسمات الحضارية التي كان لمجرى النيل فضلٌ كبيرٌ في تبايُنِها وتنوع مصادرها [26].

وقد وصف ذلك الأديبُ السوداني الراحل ورجلُ الدولة الشهير السيد محمد أحمد محجوب [27] حين قال: ((**إنَّ السودان بلدٌ فيه رقعة صحراوية واسعة وغابات يصعب اختراقها ومجالس أدبية مثقفة في**

---

24 التجاني مصطفى محمد صالح، (1995م)، عوامل تشكيل الشخصية القومية السودانية، مجلة الثقافة السودانية، العدد رقم 28، مايو 1995م، صدرت عن الهيئة القومية للثقافة والفنون، صفحة 38.

25 تبلغ مساحة السودان مليون ميل مربع، وتحده عشر دول هي: مصر، وليبيا، وتشاد، والكميرون، وأفريقيا الوسطى، ويوغندا، وجمهورية الكونغو الديموقراطية، وإثيوبيا، وإرتريا، والمملكة العربية السعودية التي يفصلها عنه من جهة الشرق البحر الأحمر.

26 عبد الغفار محمد أحمد وسامية الهادي النقر، (1995م)، السودان مستقبل التنمية والسلام، مركز الدراسات السودانية القاهرة.

27 محمد أحمد محجوب أحد رجال السياسة السودانية، ولد بمدينة الدويم عام 1908م وتخرج في كلية غردون التذكارية. عمل مهندساً بمصلحة الأشغال، ثم درس الحقوق في عام 1936م وأصبح قاضياً فمحامياً شهيراً بالسودان. في عام 1947م استقال من العمل القضائي وعمل سكرتيراً للجبهة الاستقلالية المكونة من حزب الأمة الذي ينتمي إليه وبعض المتعاطفين معه. وفي عام 1956م أصبح وزيراً للخارجية في حكومة عبد الله خليل خلفاً للسيد مبارك زروق. وبعد قيام ثورة أكتوبر 1964م عاد مرةً أخرى لكرسي وزارة الخارجية، ثم أصبح في نفس العام رئيساً للوزراء.

الخرطوم ورقص جنوني في الجنوب)) [28]. ففي الوسط الغربي توجد منطقةُ جبال النوبة التي تقطنها قبائل النوبة ذات الأعراق المتعددة، ويساكنها في نفس الرقعة مجموعة من أبناء القبائل العربية الذين نزحوا مع الهجرات القديمة وهم: (**الحوازمة، والمسيرية، والكواهلة، ودار نعيل، وبعض بطون البقارة والحَمَرْ**) [29].

كما استقرت معهم مجموعاتُ المهاجرين الذين نزحوا من غرب السودان والبقاع المتاخمة لحدوده الغربية مع دولة تشاد ودولة أفريقيا الوسطى وما جاورها من البلاد ومنهم: (**المساليت، والفور، والزغاوة، والداجو، والبرقو، والبرنو، والفلاتة**) الذين نزحوا أصلاً من نيجريا خِلال رحلاتهم السنوية للحج. وقد استوطنت معظم هذه القبائل في منطقة دارفور بغرب السودان وما جاورها من ولايات الوسط الغربي وبعض البلاد المتاخمة للسودان.

وفي الجنوب عاشت العديد من القبائل ذات الأصول الإفريقية التي لم تختلط كثيراً بالآخرين، ومنها: (**الدينكا، والنوير، والزاندي، والفرتيت، واللاتوكا**)، وغيرها من الفروع الأصغر حجماً. وقد أطلق الباحثون لفظ الأقزام على بعض السلالات البشرية التي سكن معظمها

---

28 محمد أحمد محجوب، (1973م)، الديموقراطية في الميزان، دار النهار للنشر، بيروت، صفحة 41.

29 أحمد عبد الله آدم، (بدون تاريخ)، أصول البقارة والدينكا وقضية أبيي، الناشر معامل التصوير الملون، الخرطوم.

في منطقة الجنوب الغربي من السودان وفي تخوم غابات الكنغو وما جاورها من دولة إفريقيا الوسطى[30]. وفي شرق السودان توجد قبائل البجا ومنهم: **(الأمرأر، والهدندوة، والبشاريين، والحلانقة)** الذين يعيشون في الأرض المتاخمة لساحل البحر الأحمر. وهم كغيرهم من قبائل الرُحَلْ جُبِلُوا على الترحال الذي يستمر معظم شهور السنة. ولا يكونُ استقرارهم إلا لفترات قصيرة في السنة يبدأون بعدها حياة التجوال التي أصبحت جزءاً من طبيعتهم، وتآلفوا معها إلى أبعد الحدود حتى أنهم لا يرضون بها بديلاً [31].

أما سكان أواسط السودان فقد غلبَ عليهم الدم الحامي. وظلَّت مناطقهم مرتعاً للتمازج بين الأجناس المختلفة بحكم ما تمتعت به من خيراتٍ عديدة أكسبتها خصوبة الأرض وغزارة الأمطار واعتدال المناخ سِمَةً جذبت إليها المهاجرين من مختلف البقاع لا سيما الغرب والجنوب وبعض بقاع الوسط الغربي [32]. وفي الشمال قطنت العديدُ من القبائل التي انحدر بعضها من السلالات النوبية القديمة مثل:

---

30 تنتشر تلك القبائل في الرقعة الجغرافية التي تعتبر من مناطق التداخل العرقي. ولم يكن أفرادها يتقيدون بالحدود الجغرافية في تنقلهم بين السودان والكنغو حتى قيام الحركات المسلحة في كلٍ من زائير والسودان ويوغندا، حيث انحسرت حركة التنقل التي تأثرت بالقتال الضاري وسط الغابات.

31 عبد الغفار محمد أحمد، (1919م)، السودان الوحدة في التنوع، دار النشر جامعة الخرطوم صفحات 45-60.

32 أحمد عبد الله آدم، مرجع سابق، صفحات 42-46.

(الحلفاويين، والدناقلة، والمحس، والسَكُوت). وقد انحدرَ بعضُها من جذورٍ عربية عاشت في منطقة الحجاز والجزيرة العربية ومنهم: **(الشايقية، والجعليين، والميرفاب، والرباطاب، والمناصير، والرِكابية)**.

وبذلك أصبح السودان منذُ قديم الزمان مرتعاً للتعايش البشري، امتلأت رقعته بعددٍ من الأجناسِ المتباينة التي كوَّنَتْ في نهاية المطاف الأمةَ السودانية التي أصبحت بهذا المفهوم خليطاً من أعراقٍ عِدَّة، جمعتها ظروف تاريخية وحضارية وجغرافية معينة فرضت عليها أن تتعايش فيما بينها رغماً عن التباين الواضح في سحناتها، ولغاتها، وموروثاتها الثقافية، وأساليب حياتها اليومية.

وقد تحدث عددٌ من المؤرخين ومنهم **(استرابون)** Straboو **(المقريزي)** عن هذا التباين العرقي والاجتماعي فيمن يقطنون بلاد السودان. وأكدوا حقيقته في دراساتٍ مستفيضة يمكن الرجوع إليها لمن أراد الوقوف على هذه الخاصية المميزة لبلاد السودان القديمة.

وكان دور المؤسسات الإعلامية والثقافية والسياسية في السودان أخطر من دورها في بقية البلاد العربية، لأنه كان لزاماً عليها أن تخلق توليفةً متجانسة من كل هذه السحنات التي استعصى الربط بينها في كثير من الأحيان.

وبالرغم من أنَّ هذا التباين قد أفرزَ العديدَ من النتائجِ الإيجابية التي تمثلت في إثراء الحركة الثقافية السودانية بالعديد من

أشكال الفنون والموروثات والعادات والتقاليد والسلوك الإنساني كالكرم والإثرة والتكافل الاجتماعي إلا أنه في المقابل أدخل السودانيين في إشكالية معقدة لازمتهم لسنواتٍ طويلة وهي إشكالية الإنتماء والهوية ولغة الخِطابِ القومي. وقد دار جَدَلٌ طويل عبر التاريخ حول عروبة أو أفريقية السودان.

ورغم أنَّ هذا الجدل لم يستند على منهجيةٍ علميةٍ دقيقةٍ في التصنيف الذي تبناه من تناقضٍ مزعوم بين الأفريقانية Africanism والعروبة إلا أنه قد أفرز في النهاية عدداً من المدارس الفكرية التي تسربلت برداء السياسة مثل جماعة **(أبادماك)** وجماعة **(التروبادور)** وغيرها لتنصر هذا الاتجاه أو ذاك، أو تحاول التوليف بينهما كما فعلت جماعة **(الغابة والصحراء)**.

إلا أنَّ هذا الجدل قد حسمه القرار السياسي بانضمام السودان لجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة المؤتمر الإسلامي على حدٍ سواء. ولكنَّ رواسب الفكرة قد ظلت متقدةً في كثيرٍ من الأحيان لترجحَ كفة الانتماء للأفريقانية Africanism تارةً وللعروبةِ تارةً أخرى.

اللغات واللهجات السودانية

أفرز التباين العرقي الواسع بالسودان تبايناً في الألسن التي اختلفت هي الأخرى من قبيلةٍ إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى. وترسخت عبر السنين العديدُ من اللغات واللهجات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الحضاري للأمة السودانية. وقد بذل الباحثون والمختصون جهوداً كبيرة من خلال محاولاتهم لإحصاء اللغات واللهجات المستخدمة في السودان. حيث قام بعضهم –خصوصاً المهتمين بأمر اللغات الأفريقية من غير السودانيين– بتلك المحاولات الجادة.

ثم أعادها عددٌ من العلماء السودانيين الذين حصروا عدداً كبيراً منها فاق التسعين في إحدى المحاولات التي أجريت في مطلع عِقْدِ الثمانينيات من القرن المنصرم [33]. وكانت قد جرت قبل ذلك محاولةٌ للحصر أثناء عمليات الإحصاء السكاني الذي أُجري في عام 1956م بعد استقلال السودان بشهورٍ قليلة. حيثُ كانت بطاقةُ الإحصاء تتعرض للجانب اللغوي. وفي عقد السبعينيات قام طلابُ الدراسات العليا بجامعات الخرطوم، والقاهرة الفرع، وأم درمان

---

33 يوسف الخليفة أبو بكر وسيد حامد حريز، (1982م)، قائمة اللغات المستخدمة بالسودان، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الأول للغة العربية الذي انعقد بقاعة الصداقة بالخرطوم في كانون أول ديسمبر عام 1982م.

الإسلامية بعمل دراساتٍ إحصائية لهذه اللغات وتطورها عبر العصور. وقد ظهرت بعضُ المفارقات في نتائج تلك الدراسات، حيث اتسم بعضُها بعدم التدقيق، وتأثر بعضُها الآخر بظروف الترحال الصعبة التي واجهت الدارسين، فلم يصلوا إلى المعلومات الدقيقة التي هدفوا إليها. إلا أنَّ الخلاصة في نهاية المطاف قد أكدت أنَّ عدد اللغات المستخدمة بالسودان قد تراوحت بين المائة والمائة والعشرين.

ومن أهم الدراساتِ المتخصصة في هذا المجال تلك التي قام بها طلبةُ وأساتذةُ معهدِ الخرطومِ الدولي للغة العربية باستخلاص اللغات السودانية من قائمة **(ويلمرز)** Willmorz لأسماء اللغات واللهجات الأفريقية. وقد ثبت من خلالها أنَّ العدد المستخدم بالفعل من اللغات واللهجات بالسودان هو مائةٌ وسبعون حسب الدراسة التي أجراها إثنان من المختصين هما: **(د. سيد حامد حريز، ود. يوسف الخليفة أبوبكر).**

وقدمت تلك الدراسة كواحدة من فعاليات المؤتمر الأول للغة العربية الذي انعقد بالخرطوم في كانون أول ديسمبر عام 1982م [34]. ووفقاً لتلك الإحصائية، فإن اللغات واللهجات السودانية هي: (أتشولي، أتوت، أجا، أدوك، أفتي، أفوكايا، الأميرة، أليرا، أليري، الأمهرية، أندري، أنقسنا، أنواك، أوتورو، أورومو، باداني، باريا، باقرمي، باكا،

---

34 المرجع السابق.

باندا، باي، بايقو، بجا، بداوية، بديات، براما با، برتا، برقد، برنو، بقيري، بلندا، بنقا، بودو، بوقورو، بونقو، بيلي، بيير، تابوسا، تابي، تاتشو، تاقبو، تاقوي، تالودي، تاما، تركانا، تقديني، تقلي، تم، تمتم، توتو، تورناسي، تورونا، توقوقو، تولشي، توماللي، تيدتيرا، تيما، تيمين، توري، جور، حرازة، داجو، دار الكبيري، داير، دايو، دلنج، دنقلاوي، ديدنقا، دينكا، راقوي، رشاد، زاندي، زغاوة، سانقو، سنقاي، سنقور، سنيار، سواحيلي، سوري، سيرا، شط، شلك، شواي، العربية، غلفان، فاديتشي، فازوغلي، فور، فولاني، فرنقور، فيروقي، قليز، قيطية، قبيري، قلي، قنزا، قولا، قولو، كاتشا، كاتلا، كادقلي، كدارو، كديرو، كارا، كاراموجانج، كاركو، كاروندي، كافيروندي، كاكوا، كانقا، كالكيكو، كانوري، كاو، كريش، كناما، كندو، كندوقر، كنوز، كواليب، كورونقو، كوكا، كوكو، كيقا، كيمانت، لاتوكا، لارو، لافوفا، لو (جور)، لوقاندا، لوقو، لقبارا، لوقيري، لوميا، لونقاريم، ليقوري، مابان، مادي، مارانس، مبيلي، محس، مرقي، مراريت، مروية، مساكين، مساليت، منداري، مندو، منقايا، منياقا، مورلي، مورو، موردوكو، موريب، ميتو، ميدوب، ميري، ميكان، ميمي، نخالقلقلي، ندوقو، نقبندا، نوير، نيمانج، هوسا، هوما، هيبان، والي، وورو، يولو.

ومن خلال تتبع هذه اللغات ثبت أنَّ لغة **(البِرْقِد)** التي كانت مستخدمة في إقليم دارفور بغرب السودان في طريقها للانقراض، حيث

مات معظم الذين يتحدثونها ولم يبق منهم سوى النذر اليسير على قيد الحياة [35]. أما لغة (**قُلِي**) فقد وُجد في عام 1977م أنَّ أربعة أشخاص فقط من الذين كانوا يتحدثونها مازالوا على قيد الحياة، ولم يتعلمها بعدهم أي إنسان. ولما كانت أعمارهم جميعاً قد تجاوزت السبعين فنستطيع أن نجزم الآن بانقراضها. كما انقرضت من قبلها اللغةُ (**المروية**) التي كانت مستخدمةً في شمال السودان، كما انقرضت أيضاً لغة (**حرازة**) [36].

والملاحظ أن معظم الأسرات اللغوية الأفريقية لها وجودٌ بين قبائل السودان ما عدا (**أسرة الخويسان**). حيث ثبت وجودُ ثلاثٍ من الأسر اللغوية المهمة بالبلاد هي: (***الأسرة الكنغولية الكردفانية***) و(***الأسرة النيلية***) و(***الأسرة الآفروآسيوية***).

ونتيجةً لهذا الثراء الإثني شهد السودان خلال تاريخه الحديث تحولاً واضحاً في شكل الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. حيثُ ظهرت بعضُ هذه التحولات في شكل العطاء الثقافي للسكان خصوصاً الذين تجمعوا حول المدن الكبيرة وداخلها نازحين من الأرياف المختلفة. وذلك عندما وجد هؤلاء النازحون فرصاً أفضل للحياة بحكم انخراطهم في إعمار المشاريع

---

35 المرجع السابق.

36 المرجع السابق.

الإنتاجية والمؤسسات الاقتصادية ذات العائد المادي التي غيرت أنماطَ حياتهم إلى الأفضل. وكإحدى سمات هذا التحول ظهر شيءٌ من التطور في المدن واكبه كثيرٌ من التخلف في الأرياف وأماكن القبائل المتنقلة [37]. وقد انعكس ذلك التحول على الحياة الاجتماعية، وألقى بظلاله على مستوى النمو الثقافي للسكان الذي تأثر بهذا الكم الوافر من الأعراق. حيث ظهر واقعٌ لغويٌّ متفرد ساعد على انتشار بعض اللغات وانحسار بعضها الآخر. ونتيجةً لذلك وفدت لغاتٌ جديدة من بعض دول أفريقيا وفرضت وجودها بين السكان.

ولكنَّ الأُميةَ قد ضربتْ أطنابَها بين أبناء القبائل الرعوية التي لم تستقر في مكانٍ واحد. ورزح معظمُ الأهالي في غياهب الجهل بحكم ضيق فرص التعليم. حيثُ ظلَّت نسبة المتعلمين إلى عهدٍ قريب لا تتعدى 20% من الحجم الكلي للسكان الذي كان 22 مليون نسمة [38]. وبعد أن ارتفع حجم السكان في في بداية التسعينات قلَّ حجم الأمية بنسبة ضئيلة لم تَرِدْ في الاحصاءات المعلنة بشكلٍ دقيق.

---

37 يوسف حسن سعيد، (1982م)، الإسلام ومشكلات النظام الزراعي (وضع السودان ومشكلاته الزراعية في الإطار العام المتقدم) ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الاول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم 27 نوفمبر 1982م.

38 ارتفع عدد السكان إلى 26 مليون نسمة حسب إحصاء عام 1994م (تقرير لجنة الإحصاء القومية 1995م).

ولعلَّ هذه الأُمية قد لعبت دوراً مع غيرها خلال التاريخ في خلق صراعاتٍ عديدة بين أبناء الوطن حتى بدت المجموعاتُ العرقية وكأنها شعوبٌ متفرقة لا يجمع بينها أيُّ رابط. وقد أدى هذا التمزق بدوره إلى الكثير من الجهل والخنوع وعدم المواكبة رغماً عن تعاقب الحضارات وتنوع الثقافات في هذه الرقعة الجغرافية الواسعة بقلب أفريقيا.

ولهذا السبب ظلتْ قضيةُ الوحدةِ وتأطير الهوية تمثلُ هاجساً بالنسبة للمستنيرين من أهل السودان خلال السنواتِ العشرِ الأخيرة من عمر الاستعمار البريطاني الذي استمر من عام 1898م إلى عام 1956م. ولم تكن الوحدةُ غايةً في حد ذاتها وإنما اعتبرها الوطنيونَ وسيلةً للتغلب على واقع التفكك وعدم التجانس الذي عايشته البلاد وأزكت شرارتَهُ السياسةُ البريطانيةُ التي هدفت لإزكاء القبلية وعدم التآلف بين السكان حتى تتمكن من بسط سيطرتها على أنقاض ما أقامته دولة المهدية 1885-1898م.

وفي ظل هذا التردي ما كان للبلاد أن تأتلف أو تتوحد أو تؤطر لهويتها إلا بوجودِ أداةٍ فاعلة ومؤثرة تستطيعُ أن تفرض هذا التوحد. ونحسبُ أنَّ هذه الأداة قد كانت إذاعة أم درمان وذلك للأسباب التالية:

● أولاً: كانت إذاعة أم درمان قد نشأت في ظروف صعبة واجهتها البلاد إبانَ سطوةِ النضال ضدَّ الاستعمار البريطاني في السودان، والذي وَلَّدَ كثيراً من النزاعات بين دولتي الحكم الثنائي (**بريطانيا ومصر**)، وأجج نيرانَ الخلاف بينهما حول مستقبل السودان.

وظهر في تلك الفترة 1938م مؤتمر الخريجين العام الذي انخرط بدوره في السياسة فارضاً أبعاداً جديدة على خارطة العمل الفكري والثقافي والسياسي الذي انعكس بدوره على نشأة ومسيرة الإذاعة [39].

وكان الحادبون على مصلحة السودان من الوطنيين قد أدركوا أنَّ استمرار ذلك الواقع الذي عايشته البلاد لسنواتٍ طويلة قد أصبح في عَدادِ المستحيل. فانخرط الجميع في حركةٍ سياسية واكبتها حركةٌ فكريةٌ وثقافية من أجل التحرر.

إلا أن هذه الحركة بدورها أصبحت فريسةً للصراعات والخلافات بين الفعاليات الوطنية التي انخرطت فيها، والتي لم يجمعها غيرُ هدف الاستقلال بحكم تباين رؤاها السياسية القائمة على أساس الطائفة والفكر الأيديولوجي وأحياناً على أساس حمية الإرث الثقافي أو

---

39 عوض إبراهيم عوض، (1983م)، المادة السياسية بالإذاعة والتلفزيون، بحث لنيل درجة الدبلوم العالي في الإعلام، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم 1983م، ص 20.

الاجتماعي أو المُعْتَقَد الديني[40]. كما حاول كلّ منها أن يعبر عن ذاته من خلال هموم الوطن وعكس الواقع من خلال قناعاته التي ليست بالضرورة قناعاتٍ للآخرين. ولذا كان لزاماً على إذاعة أم درمان منذ البداية أن تلعب دوراً مزدوجاً في تثقيف الناس، وتوحيد الكيان الوطني على صعيدِ الأُمة الواحدة المترابطة على أساسٍ غير قبلي أو جهوي لأنَّ القبلية والجهوية لن تفعلَ غيرَ تمزيقِ هذا الكيان [41].

● ثانياً: خلقت عقبةُ الأمية واقعاً متفرداً بالسودان اقتضى أن تتكيف وسائل الاتصال والمعرفة والتعليم فيه بالشكل الذي يستوعبُه الأميون وأنصافُ المتعلمين. وبالطبع فإنَّ تلك الوسائل لم تكن الكتاب الذي لم يتوفر بالشكل المطلوب، ولا الصحيفة التي ظلت محدودةً بحدود المدن، ولا المجلة التي غلا ثمنها في معظم الأحيان، ولا السينما التي لم تدخل معظم قرى السودان إلا مؤخراً.

كما لم تكن التلفاز الذي ظهر حديثاً نسبياً ولم يتغلغل في حياة كثيرٍ من القبائل بالشكل المؤثر. وقطعاً لم تكن الكومبيوتر ولا

---

40 الإسلام في السودان، (1982م)، بحوث مختارة من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، قاعة الصداقة الخرطوم، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، نوفمبر 1982م.

41عوض إبراهيم عوض، أبعاد الصراع السياسي حول استقلال السودان، تحت الطبع كوالا لمبور، ماليزيا.

الإنترنت التي لم يعرفها معظم الأهالي إلى يومنا هذا. إذن فالراديو كان هو الوسيلةَ الأنسب والأنجع في مثل هذه الظروف. ولذلك فقد لعبت الإذاعة دوراً لم تلعبه الجامعاتُ ولا المدارسُ ولا دواوين الحكومة في توحيد أهل السودان [42] كما يتضح من خلال هذه الصفحات. ولكن كيف استطاعتْ أن تلعب هذا الدور؟ وما هي نتائجُ كل ذلك على تأطير الهوية السودانية ودفع مسيرة الوحدة؟ لقد كانت الإدارةُ البريطانية طوال سنوات الاستعمار التي امتدت لما يُقاربُ الستين عاماً تُشجع الأهالي على تعلم اللغة الإنجليزية التي أصبحت لغة الدواوين والتعليم في البلاد وفقاً للمقررات الاستعمارية.

ولم يكن هناك مكانٌ لمن تَخَصَّصَ في اللغة العربية إذا لم ينسلخ عنها ويتعلم الإنجليزية. وكان على الجميع أن يُذعنوا لذلك الواقع إذا أرادوا أن يجدوا مَصدراً ثابتاً للرزق داخل وطنهم. ولم تكن اللغات المحلية مكتوبةً، وإنما ظلت لغاتٍ شفاهيةً للتخاطب اليومي بين أفراد القبيلة الواحدة.

ووسط هذه القيود الاستعمارية والظروف الصعبة التي مرت بها البلاد، انحسر إلى حد كبير دور اللغة العربية داخل دواوين الحكومة، وتراجعت هيبتها في المحافل العامة إلى حدٍ بعيد.

---

42 أنظر عوض إبراهيم عوض، (2000م)، لغة الإذاعة دراسة تحليلية، دار جامعة الخرطوم للنشر والتأليف، صفحة 41.

وبدأ تشجيع اللهجات المحلية ولغات الأقليات في بقاع السودان المختلفة ليس بغرض تطويرها وإنما بغرض إزكاء روح الانقسام والقبلية والجهوية بين المواطنين حتى لا تقودهم نزعة التوحد والقومية للتمرد على مُقرراتِ القوى الاستعمارية [43]. إلا أنَّ رجالَ اللغة العربية الذين استماتوا من أجلها لم تتكسر شوكتهم، رغماً عن تلك الحرب المعلنة أحياناً والمستترة في معظم الأحيان.

وظلَّ نفرٌ منهم يقاومون تفتيت الكيان والاستخفاف بهيبة اللغة العربية. وقد بدأ بعضُهُم يكتبون عن تاريخ العربية في السودان وتطورها وفنونها المختلفة عبر صفحات الجرائد والمجلات والمؤلفات الداعية لتخليدها وإزكاء جذوتها إما بدافع حمية الدين، أو بدافع توحيد المزاج الوطني، أو بدافع ترسيخ الهوية، أو بالثلاثةِ معاً.

وكانت البداية عندما أصدر الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير في مطلع العشرينات كتابه الشهير **(العربية في السودان)**، والذي عرض من خلاله فصولاً من الشواهد التي تؤصل لعروبة اللسان لدى غالبية أهل السودان. وقد اعتمد على فصاحة أسلوب السودانيين التي تمثلت في البلاغة، وعمق العبارة المستقاة من جذور العربية القُحة، والأمثال الشعبية، والقصائد الشعرية، وأدوات التعبير الرصين الذي اشتُهر به شعراء بادية السودان.

---

43 المرجع السابق، صفحة 45.

وقد ظهر كل ذلك من خلال المنتديات والمجامع التي خرجت منها قصائد الشيخ الطيب السراج الذي لم يعترف بغير العربية لساناً لأهل السودان، وكتابات خضر حمد الذي ناصر قضية العربية رغماً عن انشغاله بهموم السياسة، والتيجاني يوسف بشير، وجماعة مدرسة الفجر، ورواد الجمعيات الأدبية في ود مدني والهاشماب وأبي روف، والتي كانت تنزع في مجملها للتأصيل والتوثيق لآداب وفنون اللغة العربية بالسودان.

وظلّ القاسم المشترك بين المثقفين آنذاك هو التمسك بالعربية رغماً عن خطط بريطانيا لتفكيك كيانها. صحيحٌ أن هناك مَنْ كانوا على النقيض من ذلك وهم المتمسكون بأهداب الأفريقانية وعدم الخوض في غمار العروبة التي حسبوها طمساً لهويتهم الأصلية، ولكنَّ هذه الأصوات لم تجد الأذن الصاغية أثناء تلك المرحلة الحرجة سياسياً والمستعرة ثقافياً والمضطربة وجدانياً.

ولم يجد الجميع حينها غير الرضوخ لدعوة التوحد ونسيان الخلاف رغماً عما كان يعتملُ في النفوس. ولذلك انخرط الجميعُ في ركاب الدعوة لتبني العربية.

وحمل لواء تلك الدعواتِ نفرٌ من أبكار خريجي كلية غردون وطلبة الأزهر وخريجي المدارس الحديثة أمثال: **(إسماعيل العتباني، وأحمد يوسف هاشم، ومعاوية محمد نور، ومحمد عبد القادر كرف،**

ويوسف مصطفى التِنّي، وسعد الدين فوزي، وعبد الله الطيب، وأبو القاسم عثمان، ومصطفى طيب الأسماء وغيرهم). حيث كان إصرارُهم شديداً على تبني اللغة العربية كلغةٍ وطنية تجمع كيان السودانيين في إطارٍ ثقافيٍ واحد. وبنفس ذلك الحماس انتقل الأمر من أعمدة الصحف وأبواب المجلات إلى ميكروفون الإذاعة عندما نشأت في أبريل عام 1940م.

ولعل قضية التوحيد هذه قد كانت الهاجس الأكبر للمستنيرين من أهل السودان، خاصةً وأن الظروف الجغرافية والطبيعية والسياسية التي عايشوها قد قسمتهم إلى شيع وطوائف وقبائل، ما كان لها أن تلتقي وأن تتوحد لولا جهد القائمين على الأمر والجهود التي بذلتها بعض القنوات التعليمية والثقافية وعلى رأسها **(إذاعة أم درمان)** [44]. شيء آخر، هو أن الإذاعة قد نشأت في ظروف صعبة واجهتها البلاد وهي ظروف النضال ضد الاستعمار البريطاني في السودان، والذي ولد كثيراً من النزاعات بين دولتي الحكم الثنائي **(بريطانيا ومصر)** وأجج الخلافات بينهما حول مستقبل السودان. وفي تلك الفترة ظهر مؤتمر الخريجين العام الذي انخرط بدوره في السياسة، فارضاً أبعاداً جديدة على خارطة العمل الفكري والثقافي والسياسي، الذي انعكس

---

44 عوض إبراهيم عوض، المادة السياسية بالإذاعة والتلفزيون، بحث لنيل درجة الدبلوم العالي في الإعلام، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم 1983م، ص 20.

بدوره على نشأة ومسيرة الإذاعة. كان الحادبون على مصلحة السودان قد أدركوا أن استمرار الواقع الذي كانت تعيشه البلاد في تلك الفترة من المستحيلات، فانخرط الجميع في حركة سياسية كبيرة فرضتها إرادة الشعب التي كانت أقوى من إرادة البريطانيين الطامعين في مواصلة احتلال البلاد [45].

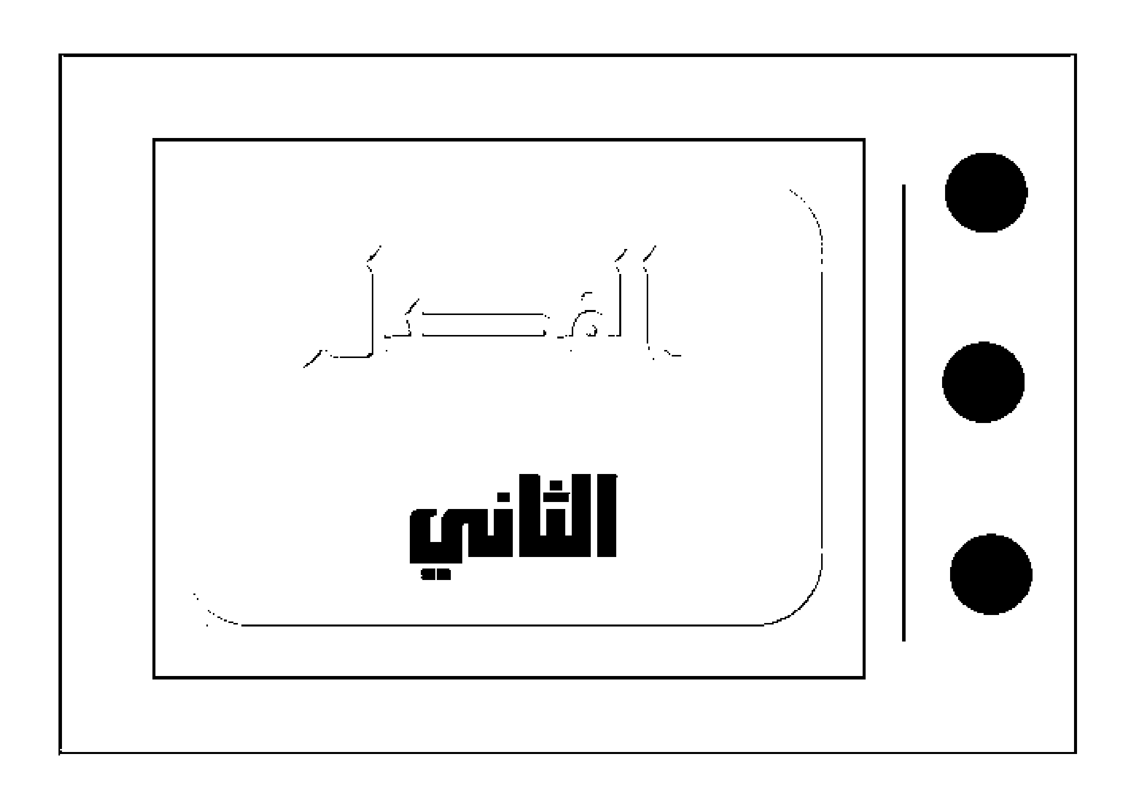
وأفرزت تلك المرحلة أبعاداً أخرى للخلاف والتناحر بين بعض الفعاليات الوطنية التي جمعها هدف الاستقلال. كما أفرزت العديد من القنوات التي كان كل منها يحاول أن يعبر عن ذاته من خلال هموم الوطن، ويحاول عكس الواقع من خلال قناعاته التي ليست بالضرورة قناعات الآخرين [46]. ولذا كان على إذاعة أم درمان منذ البداية أن تلعب دوراً مزدوجاً في تثقيف وتوحيد الكيان الوطني. ولكن كيف استطاعت أن تلعب ذلك الدور؟ فهذا ما نخصص له الفصل التالي من هذا الكتاب.

&●&

---

45 الإسلام في السودان، بحوث مختارة من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، قاعة الصداقة الخرطوم، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، نوفمبر 1982م.

46 عوض إبراهيم عوض، أبعاد الصراع السياسي على استقلال السودان، كوالا لمبور، ماليزيا 1997م.



نشأة الإذاعة السودانية وتطورها

الفصل الثاني

نشأة الإذاعة السودانية وتطورها

((لا بد لأبناء الوطن أن يضعوا أيديهم الآن على كل المرافق التي يسيطر عليها الإنجليز وعلى رأسها الإذاعة لأننا مقبلون على مرحلة مهمة وخطيرة هي مرحلة استقلال السودان)).

[الزعيم إسماعيل الأزهري]

2

في تمام الساعة السادسة من مساء اليوم الأول من شهر نيسان أبريل عام 1940م عانق مسامع بعض المحظوظين من أبناء أم درمان –العاصمة الوطنية للسودان– أول صوت يعلن ميلاد إذاعة صغيرة تحمل اسم السودان. ووقف الناس بين الدهشة والفرح الممزوج بالتأمل، نصف ساعة من الزمان، يرهفون السمع لما كان يبث عبر مكبرات الصوت، التي وزعت في أنحاء مختلفة من المدينة، خصوصاً الساحات الكبيرة والميادين الواسعة. كان الجميع يتطلعون لأن يلتقطوا ما تبثه الإذاعة من أخبار ومواضيع وجدت هوىً في نفوسهم.

وبالمقابل كان المسؤولون يأملون أن يتمكن أكبر عدد من المواطنين من التقاط ما يذاع من برامج تلك الإذاعة الوليدة. وانقضى ذلك اليوم الجميل، والأيام التي تلته، ولا يزال صوت الإذاعة يطرق آذان المستمعين في كل حين، ويواصل بثه ليكسب كل يوم عشرات المعجبين الجدد.

أسباب إنشاء الإذاعة

كانت تلك الفترة تشهد حرباً ضروساً بين الحلفاء بقيادة بريطانيا ودول المحور بقيادة ألمانيا. وكانت بريطانيا تحكم قبضتها على السودان وتسيطر على مقاليد الامور السياسية والعسكرية وغيرها. وقد لجأت ألمانيا في حربها إلى أسلوب لم يكن مألوفاً من قبل، وهو أسلوب الدعاية عبر أجهزة الإعلام فيما كان يطلق عليه (The German Propaganda).

وقد استخدمت كل وسائل الإعلام والحرب النفسية، بما فيها الراديو للتأثير على معسكر الحلفاء. وبالمثل قامت بريطانيا بمجاراة ذلك الأسلوب الدعائي، طمعاً في كسب المزيد من الحلفاء وكسب الحرب ذاتها في نهاية المطاف.

وقررت حكومة قصر بكنجهام Buckingham تبعاً لذلك أن تنشيء محطات إذاعية في بعض مستعمراتها ذات الأهمية. وقد تقرر

بذلك إقامة خدمة إذاعية في السودان، تكون قناة الوصل بين الحكومة البريطانية والمواطنين السودانيين. ودار حديث مستفيض عن اختيار المدينة التي تنشأ فيها هذه الإذاعة الجديدة، واستقر الرأي أخيراً على إقامتها بمدينة أم درمان بدلاً من الخرطوم التي ظَلَّتِ العاصمة طوال فترة الحكم البريطاني[47].

وأم درمان بالطبع هي المدينة الشعبية الأولى التي حوت كل سحنات الوطنيين من أبناء السودان بحكم تكوينها الوطني منذ نشأتها في عام 1885م على أيدي رجالِ المهدية. وقد شهدت كل نضال الحركة الوطنية من خلال نادي الخريجين الذي نشأ بها في عام 1918م. حيث مارس بها الوطنيون كل أنشطتهم السياسية والفكرية التي تتوجت بإنشاء مؤتمر الخريجين العام في سنة 1938م أي قبل عامين فقط من إنشاء الإذاعة التي نصَّ مشروعُ تأسيسها على أن تخدم ثلاثة أهداف رئيسية هي:

1/ نقل أخبار انتصارات الحلفاء في الحرب.

2/ خدمة الإدارة البريطانية في السودان.

3/ تكذيب ما تنشره الصحف الوطنية ضدَّ بريطانيا.

---

47 كان السودان أحد أهمّ تلك المستعمرات لموقعه الجغرافي الاستراتيجي وسط المستعمرات التي تقاسمتها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا.

معنى ذلك أن الإذاعة قد بدأت منذ ميلادها دِعائيةً للدول الحليفة لبريطانيا ضد ألمانيا النازية ومن دار في فلكها من دول المحور. ولذا فقد حرصت منذ البداية، على بث الأخبار التي تدعم موقف الحلفاء في الحرب ومقابل ذلك التعتيم على الأخبار التي تخدم دول المحور [48]. ولعل ذلك قد كان سبباً رئيسياً في اهتمام الإدارة البريطانية بأمر الإذاعة وما تقدمه من مواد خبرية وتعليقات. إذ أنَّ دول المحور كانت تبني دعايتها على تحطيم كل ما هو بريطاني، وتبث الكراهية ضد الإنجليز في كل مستعمراتهم خصوصاً في مصر والسودان وفلسطين [49].

وكانت تقارير المخابرات الألمانية تركز على وجود نزعات استقلالية متأججة في نفوس الشباب في هذه الدول، وتؤكد أنَّ تحتَ الدُخانِ وميضَ نار. وفي الوقت الذي كانت ألمانيا تزرع بذور الكراهية ضد الإنجليز وقادتهم، كانت تخلق هالةً من الاحترام، الذي وصل إلى

---

48 كانت الأخبار تتضمن فقط تحركات القوات البريطانية في مواقع الأحداث وحجم الخسائر التي تُمنى بها جيوش الألمان وإحصائيات بعدد القتلى والمصابين من جانب الجيش الألماني إلى جانب الأنباء التي تستنهض همم المواطنين لموالاة بريطانيا على أساس أنها الحليف المنتصر والإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

49 هذه هي الدول العربية الأولى التي أسهم أبناؤها إسهاماً مباشراً في الحرب داخل ميادين القتال.

حد التقديس حول شخصية **(موسوليني)** الذي وصفته بأنه حامي السلام. بل وقد ذهب الإيطاليون إلى أبعد من ذلك حينما وصفوه من خلال إذاعتهم بأنه **(حامي الإسلام)**. ولتلك الأسباب قررت الحكومة البريطانية أن تنشئ القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية بلندن BBC، وهو أول قسم أجنبي ينشأ لخدمة هذه الأهداف الدعائية بهيئة الإذاعة البريطانية. ثم جاءت إذاعة أم درمان لتؤدي نفس ذلك الدور بعد ذلك [50].

ولما كان الهدف من إنشاء الإذاعة دعائياً فقد بدأت خدماتها سياسيةً صارخة في تمجيد الحكومة البريطانية. حتى أن أحد المذيعين الشهيرين وهو **(يونس بحري)** الذي عمل بإذاعتي ألمانيا وإيطاليا قد كان يسخر منها ويقول: ((**أسمع حشرةً تطن من أدغال أفريقيا تقول هنا أم درمان**)).

كان ذلك التعليق الساخر مؤشراً على استفحال العداء بين الحلفاء ودول المحور في معركة الأثير. ولم يكن بأي حال من الأحوال إساءةً أو تنقيصاً من شأنِ إذاعة أم درمان، وإنما كان على العكس تماماً مؤشراً على أنها قد بدأت تغيظُ الألمان.

---

50 أنشئ القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية في عام 1937م وبدأ عمله بصورةٍ رسمية في ربيع عام 1938م.

وفي نفس الوقت كان مؤشراً على أن تلك الإذاعة الصغيرة قد كسرت الحواجز، ووصلت إلى كثير من البقاع المؤثرة، مما جعل المعلق يونس بحري يقول تلك العبارة. وكان **(مكتب الاتصال العام)** التابع للسكرتير الإداري لحكومة بريطانيا بالخرطوم هو المشرف على الأخبار التي تبثها الإذاعة الوليدة. ويعتبر ذلك المكتب بمثابة جهاز الأمن الذي يحفظ مسار النظام.

وفي شهر حزيران يونيو عام 1940م، أي بعد شهرين من إنشاء الإذاعة قررت الإدارة البريطانية إشراك الوطنيين في مسألة الإشراف عليها. فبعث سير جيمس روبرتسون James Robertson المشرف على مكتب السكرتير الإداري بالخرطوم برسالة إلى السكرتارية العامة للجنة مؤتمر الخريجين [51]. جاء فيها: **(إنَّ الحكومة تطلب من سيادتكم اختيار شخص سوداني من لجنة مؤتمركم لكي يكون ممثلاً لها في هيئة الإشراف على الإذاعة).**

وما أن وصلت تلك الرسالة إلى سكرتارية مؤتمر الخريجين، حتى انقسم الأعضاء إلى فريقين أحد عارض الفكرة والآخر أيدها.

---

51 مؤتمر الخريجين العام هو أول تنظيم للخريجين السودانيين، تأسس في عام 1938م ليُسهم في تنسيق النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني. وقد سمي ذلك التنظيم مؤتمر الخريجين Graduates Congress تأسياً بالمؤتمر الهندي The Indian Congress الذي كان له دوره التاريخي وتأثيره الكبير على معظم شباب الحركات الوطنية في معظم البلدان الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية آنذاك.

فلجنة الخريجين لم تقم إلا بغرض القضاء على الوجود البريطاني في السودان، في حين أن الإذاعة لم تقم إلا بغرض خدمة ذلك الوجود. هذا ما كان رآه أبكار الخريجين الذين رفضوا فكرة المشاركة في الإذاعة. ورأى الطرف الآخر أهمية تلك المشاركة، من حيث أن لهذه الإذاعة أهميتها وخطورتها في مستقبل الأيام، خصوصاً وأن تلك الفترة العصيبة كانت تشهد نضالاً مستميتاً في الداخل من أجل الاستقلال وحرباً ضروساً في الخارج يشارك فيها نفر من أبناء السودان المنخرطين في جيش الحلفاء.

إذن فالإذاعة لا تخدم البريطانيين وحدهم، وإنما تذيع كل ما له صلة بحياة السودانيين المنضوين تحت لواء الحكم البريطاني. ثم إنها طال الزمان أم قصر ستؤول للوطنيين ما دام النضال مستمراً ضد الوجود البريطاني بالسودان. إذن فالضرورة تقتضي المشاركة في أمر هذه الإذاعة، حتى لا تستغل بشكل كلي ضد مصلحة الوطن الآنية والآجلة.

كانت تلك هي حجة الجانب الآخر من أعضاء مؤتمر الخريجين الذي رأى أهمية المشاركة بعد أن تسلمت الإدارة رسالة السكرتير الإداري [52]. وكان الرأي الأخير هو الذي ترجح. وقررت الهيئة أن تشارك في هيئة الإشراف لتحقيق هدفين أساسيين هما:

---

[52] يحيى الفضلي في حديث للإذاعة السودانية حول الاستقلال، 31 ديسمبر 1976م.

أولاً/ العمل قدر المستطاع على ضبط ما تبثه الإذاعة، حتى لا يضر بمصالح الوطنيين في حركاتهم التحررية ضد الاستعمار.

ثانياً/ الاستفادة من الخبرات العلمية في مجال العمل الإذاعي لمستقبل الأيام التي ستشهد حتماً سيطرة الوطنيين على مقاليد الأمور في بلادهم طال الزمان أم قصر.

وبالفعل بعثت لجنة مؤتمر الخريجين بأسماء من يمثلونها في هيئة الإشراف على الإذاعة، التي استطاعت في فترة وجيزة أن تثير اهتمام الكثير من الوطنيين والبريطانيين على السواء. حيث إنها تمكنت من نقل معظم ما يدور في ساحات الحرب.

لم يكن للناس شغل في تلك الأيام غير متابعة الأحداث وما ينجم عنها من آثار وإفرازات رمت بظلالها سلباً وإيجاباً على كل بقاع العالم. إلا أنَّ الإذاعةَ وحسبما هو مرسومٌ لها كانت تمثل انعكاساً لمواقف الحكومة البريطانية في ساحات الحرب لأنها نشأت خصيصاً لأداء هذه المهمة، فضلاً عن الهيمنة الكاملة لمكتب الاتصال على كل صغيرة وكبيرة من الأخبار والمعلومات التي تُذاع من خلالها في تلك المرحلة المبكرة. وفي تلك الأثناء كانت الصحف السودانية تثير

القضية الوطنية بشكل منتظم على صفحاتها وبأقلامٍ وطنيةٍ غيورة. وكانت تؤلب السودانيين بشتى الأساليب حتى لا يخضعوا لسياسة الأمر الواقع التي فرضها البريطانيون، وأنْ يعملوا من أجل الانعتاق من ربقة الاستعمار. ولذلك اتخذت الإدارة البريطانية في أحد اجتماعاتها الغاضبة قراراً صارماً بخصوص البرمجة الإذاعية قضى بأنْ تعمل الإذاعة باستمرار على تكذيب ما تنشره الصحف الوطنية ضدَّ حكومة بريطانيا.

وبالفعل ظل شغل الإذاعة الشاغل في تلك الفترة هو متابعة الصحف، وتفنيد أعمدتها، ثم الرد على الآراء والانتقادات التي تحتويها مهما كان شكلها من خلال التعليقات السياسية والأحاديث الإذاعية التي تعقب نشرات الأخبار[53].

وكانت الصحف في واقع الأمر تمثل المصدر الوحيد المتاح للأخبار وسط جمهرة القراء. حيثُ كانت عنصراً متطوراً وفاعلاً في تلك الحقبة. وتأثر معظمها بشجاعة الطرح الذي تناول به الكُتَّابُ أمورَ الوطن بدءاً بكتابات الأستاذ **(حسين شريف)** حول المسألة السودانية

---

53 كانت أول الصحف الوطنية الرئيسية بالسودان هي (حضارة السودان) التي يملكها السادة الثلاثة عبد الرحمن المهدي، علي الميرغني، والشريف يوسف الهندي، قد بدأت في عام 1919م، ثم جاءت عدد من الصحف مثل (النيل) لسان حال الأنصار و(السودان) لسان حال الختمية، والرأي العام لإسماعيل عتباني والسودان الجديد لأحمد يوسف هاشم وكردفان للفاتح النور وغيرها.

وما أثارته من تحريك الوجدان والمشاعر الوطنية في جريدة **(حضارة السودان)** التي كان يرأس تحريرها، ثم ما تلاها من إرهاصات فترة الصحافة الأدبية خلال عقد الثلاثينات، الذي ظهرت فيه صحيفة **(الفجر)** لعرفات محمد عبد الله، و**(السودان الجديد)** لأحمد يوسف هاشم و**(الرأي العام)** لإسماعيل عتباني، و**(كردفان)** للفاتح النور، وغيرها من الصحف اليومية والأسبوعية.

وقد أصبحت الصحافة بفضل المتعلمين الوطنيين سلاحاً قوياً في وجه الاستعمار، ما لبثت أن انتقلت عدواه إلى كثير من السودانيين. مما ألهب الحماس فيما بعد في مؤتمر الخريجين العام وما أعقبه من الثورات والانتفاضات الوطنية الكبرى [54]. وقد انعكس كل هذا على الإذاعة والعاملين فيها.

أحسَّ الإذاعيون الوطنيون الذين كانوا قد انخرطوا في العمل بعد سنوات البداية أي في أوائل الأربعينيات وأوائل الخمسينيات بأنَّ دورهم سيكون دور الخائن للقضية إذا هم انصاعوا لرغبة الحكومة البريطانية الاستعمارية وانتقدوا الأصوات الوطنية التي تظهر من خلال أعمدة الصحف الوطنية.

---

54 كانت أكبر الانتفاضات هي انتفاضة عطبرة التي قادها الشيخ الطيب السراج وانتفاضة الأبيض وانتفاضة جزيرة توتي التي دعمتها القوى السياسية الكبرى ممثلة في قادة مؤتمر الخريجين.

كان هؤلاء الوطنيون قد أدركوا تماماً خطورة الموقف، وعرفوا أنهم إذا تمردوا على قرار مكتب الاتصال الذي هو قرارالحكومة البريطانية فسوف تكون العواقب وخيمة. ولذلك رأوا أن يحتكموا لصوت العقل ويعالجوا تلك القضية بما تحتاجه من الحكمة والروية.

كان القرار الذي اتخذوه فيما بينهم هو أن ينفذوا قرارات الحكومة البريطانية، ولكن بشيء من الدهاء. حيث إنهم لا بد أن يقوموا من خلال ذلك التنفيذ بدور معاكس لما تريده بريطانيا. وذلك بتجاهل بيانات مكتب الاتصال العام التي تصدر عن الحكومة لإدانة الحركات الوطنية المناوئة والمظاهرات الطلابية والعمالية والإضرابات وكل أساليب العصيان ضد الحكومة.

لم يكن ذلك الموقف بتجاهل بيانات مكتب الاتصال بالأمر الهين. وإنما ظل يعرض العاملين بالإذاعة لكثير من المساءلات والمراقبة الصارمة. وقد تفاقم الأمر أكثر فأكثر عندما علم مكتب الاتصال بأن بعض الإذاعيين كانوا يخبئون الأخبار التي ترسلها الحكومة ولا يذيعونها. وفي بعض الأحيان كانوا يمزقونها ويتظاهرون بأنها ضاعت وسط زحام العمل اليومي.

أدركت الإدارة البريطانية تماماً أن كل الأخبار التي لا تذاع بدعوى ضياعها، هي الأخبار المناوئة للحركات الوطنية بالسودان، والتي لا تصب في إطار مصلحة الوطنيين. ولم يكن ذلك الأمر سهلاً

بالنسبة للحكومة البريطانية، ولذلك عقدت عدة اجتماعات بمكتب الاتصال بالخرطوم، أصدرت من خلالها تنبيهاً شديد اللهجة للإذاعيين يحذرهم من خطورة ذلك الأسلوب الذي بدأوا يمارسونه في التعامل مع تلك الأخبار المهمة والحساسة.

وحذر المندوب البريطاني علناً من مغبة الوقوع تحت طائلة القانون الذي سيطالُ كل فرد دون هوادة إذا اتضح أن الإذاعيين لا يؤدون واجبهم بالشكل الذي ترضى عنه الحكومة. وهو بالطبع الشكل الذي يمجد الحاكم البريطاني ومن يعملُ تحت إمرته من أبناء جلدته من موظفين وإداريين وعسكريين[55]. وعموماً فقد كان اهتمام السودانيين كبيراً بتلك الإذاعة الوليدة التي ظلوا يتابعونها بشغف شديد، لأنها كانت بمثابة الفتح الجديد في عالم الثقافة والمعرفة بالنسبة لهم، خصوصاً وأنها قد حملت اسم السودان بغض النظر عن أهدافها.

ولكن كانت المشكلة الكبرى التي واجهت المستمعين هي شح أجهزة الاستقبال التي تساعد على التقاط البرامج. لذلك قامت الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها بتوزيع عدد كبير من أجهزة الاستقبال **(الراديو)** في المنتديات والأماكن العامة. وذلك بهدف تسهيل الاستماع على المواطنين الذين لم يكونوا يملكون تلك الأجهزة. وكان الناس يحرصون على الحضور إلى الأماكن العامة والمقاهي بغرض متابعة

---

55 أبو عاقلة يوسف، حديث صحفي لجريدة السودان الحديث أول يناير 1995م.

البرامج بشكل منتظم. ولا يكاد يتخلف أحد من المستمعين المواظبين، إلا إذا حدث له أمر جلل أقعده عن الحضور للاستماع. حتى أن أندية الاستماع قد أصبحت أنشط من كل الأندية الأخرى في المدينة.

وتشجعت الحكومة بعد ذلك فزادت عدد مكبرات الصوت التي وزعتها على كثير من الساحات العامة، بدأتها بساحة (**ميدان البوستة**) الواقع في قلب مدينة أم درمان متوسطاً الدكاكين والمقاهي ومواقف الحافلات والتاكسي [56]. وكان أكثر ما جذب انتباه المستمعين للإذاعة هو أخبار الحرب التي لم تكن تخلو منها نشرة من نشرات الأخبار. ذلك لأن الشعب السوداني ظل معروفاً بولعه الشديد وتحمسه للسياسة وكل ما يدور في فلكها، حتى لا يكاد يضارعه شعب من الشعوب العربية ولا الأفريقية في هذا المضمار. فالكلُ في السودان مُغرمٌ بحديث السياسة، مؤيداً كان أم معارضاً. وحتى ليالي الأنس والأفراح والمآتم عندهم كثيراً ما يكونُ قاسمُها المشترك هو حديث السياسة، حيث إنها تتحول في معظم الأحيان إلى منتديات لسرد الأخبار وتناول الأحداث والتعليق عليها.

لكل هذه الأسباب كان اهتمامُ السودانيين شديداً بمتابعة أخبار الحرب التي تبثها الإذاعة. حيث كان الجميع يجلسون في تلك الميادين

---

56 كان الناسُ يتقاطرون كل يومٍ من أنحاء العاصمة المختلفة ويجلسون على الأرض ليستمعوا إلى برامج الإذاعة المبثوثة على الهواء في الساحة المجاورة لمبنى البوستة بمدينة أم درمان.

يستمعون للأخبار، ثم يحللون محتوياتها ويتفاكرون حول ما دار فيها. وظهر من خلال تلك المنتديات أنَّ هناك عدداً كبيراً من السودانيين كانوا يتعاطفون مع ألمانيا لا لشيء إلا لأنها كانت تحارب الإنجليز عدوهم اللدود الذي جثم على صدورهم وأبى الرحيل من الديار.

وكان هناك سببٌ آخر وراء الاهتمام بتلك الإذاعة وهو أن عدداً كبيراً من السودانيين كانوا منخرطين فعلياً في الحرب. حيث كانت **(قوة دفاع السودان)** وهو الاسم الذي كان يطلق على الجيش السوداني إبان فترة الاستعمار تحارب مع الحلفاء في جبهات القتال خصوصاً في شمال أفريقيا وشرقها. صحيح أنَّ كثيراً من السودانيين لم يكونوا متعاطفين مع بريطانيا ولا مَنْ والاها بحكم سيطرتها على السودان، ولكنها حمية العلاقة التي ربطت بين المتناقضات، حيث جمعت أهلَ المُستعمراتِ ومَنْ استعمروها.

وشيئاً فشيئاً وجد الناسُ أنَّ قدَرَهم أن يُدافعوا عَمَّنْ استباح حريتهم عبر السنوات، وأن ينصروا من ظلمهم في وضحِ النهار، وأن يقاتلوا لبقاء من سلبهم الإرادة بدون ذنب، وأن يتحدثوا بإيجابٍ عمن سامهم سوء العذاب[57].

وكأن واقع الحال في تلك الفترة العصيبة قد فرض على الجميع أن يتمثلوا بعبارة: (**أنا وأخي على ابنِ عمي، وأنا وابنُ عَمِّي**

---

57 كانت الحاميات العسكرية السودانية تقاتل في طُبرق والسلوم والحبشة.

على الغريبْ). والغريبُ هنا بالطبع هو **(مِحورُ النازية)** الذي سام أهل الأرض عذاباً وتنكيلاً فاق كثيراً ويلات الاستعمار البريطاني كما وصفه معظم المؤرخين.

وفي تلك الظروف وجدت الإذاعة مرتعها الخصيب كأول ناقل للأحداث من مواقعها. وقد استمرت في تقديم تلك الخدمة اليومية لمستمعيها، وفقاً لجدولٍ زمنيٍ تضمن شكل ومواقيت البرامج. وقد كان أول هيكل للبرامج أصدره مكتب الاتصال العام على النحو التالي:

الساعة 00 :6 مساءً افتتاح الإذاعة

الساعة 01 :6 مساءً القرآن الكريم

الساعة 10 :6 مساءً نشرة الأخبار

الساعة 20 :6 مساءً أغنية سودانية

الساعة 30 :6 مساءً ختام البرامج

استمر هذا الهيكل لفترةٍ من الزمن ثم تعدل فيما بعد عندما ازداد اهتمام الناس والتصاقهم بالإذاعة. وكان من دواعي ذلك الاهتمام أنَّ مصادر الأخبار قد كانت شحيحةً جداً، في حين كان الناسُ شغوفين بمعرفة كل ما يدور في ساحة الحرب وغيرها من المحافل الدولية والمحلية. وكانت أصواتُ الإذاعاتِ الأجنبية لم تكن من القوة

بحيث تصل إلى كل المستمعين في ربوعهم المختلفة، ولم تكن هناك إذاعاتٌ عربيةٌ أو أفريقية بالعدد الكافي [58]. مما لم تتوفر معه أيٌّ مُنافسةٍ في مجال الاستماع. وفي أخريات عام 1945م كانت الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها بعد أن فعلت ببني الإنسان ما فعلت. وبدأ العالم كله يتنفس الصعداء بعد نصف عقد من الزمان قضاه بين الموت والدمار وسفك دماء الأبرياء وغير الأبرياء.

وكان الناس أجمعهم سعداء بنهاية الحرب إلا السودانيين!! ليس لأنهم مغرمون بساحات الوغى وقعقعة السلاح، أو أنهم دُعاة حرب، وإنما كان الحزنُ قد تملكهم بحكم أنهم قد علموا أنَّ إذاعتهم ستتوقف لأنَّ الحربَ قد انتهت.

نعم بكل هذه البساطة ستتوقفُ الإذاعة، والسبب هو كما أعلنه مستر **(إيفانس)** Evance أحدُ مسؤولي الإدارة البريطانية بالخرطوم أنَّ ميزانية الحكومة البريطانية التي رصدتها لوزارة المستعمرات لا تسمح باستمرارها لأنَّ تكاليف التسيير ليست بالأمر الهين. وقال للإذاعين

---

58 دخلت الإذاعة في الدول العربية متأخرةً بعض الشيء بعد دخولها السودان. حيث لم يسبق السودان في هذا المضمار إلا الجزائر التي دخلتها الإذاعة عام 1925م ومصر التي دخلتها الإذاعة عام 1925م وبدأ إرسالها الرسمي من خلال الإذاعة الحكومية في 1934م والمغرب 1928 وتونس 1935م ثم العراق في أواخر الثلاثينيات. أما بقية الدول العربية فقد دخلتها الإذاعة تباعاً بعد إذاعة أم درمان، حيث بدأت في سوريا 1941، السعودية 1941، الأردن 1948، الكويت 1951، قطر 1968، أبو ظبي 1969، وعُمان 1970.

والعاملين: معه في مكتب الاتصال: ((**إنَّ حكومتي بصدد إيقاف هذه الإذاعة نهائياً، لأن بريطانيا خرجت من الحرب مُنهكةً، وأصبح اقتصادُها يعاني ما يعاني من الكساد والتدهور، مما اقتضى مُراجعة الحسابات لإعادة التوازن لخزينة الإمبراطورية. وفوق هذا وذاك فإنَّ هذه الإذاعة لم توضع لها ميزانية أصلاً**)) [59].

كان لهذا الخبر وقعُ الصاعقة على نفوس الذين ارتبطوا وجدانياً أو ثقافياً أو فنياً أو اجتماعياً بذلك الصوت الحبيب إلى نفوسهم صوت إذاعة (**هنا أم درمان**). ولم يكن بمقدور أحدٍ أن يتصور حياته بدون سماع هذا الصوت الذي ظلَّ يُهاجر إليه في المقاهي والأندية والمحلات التجارية وميادين الاستماع ليقضي بعضاً من ساعات المساء معه. فهل يجوز أن يتلاشى هذا الصوت الجميل بكل هذه البساطة؟!

وسط ذلك الجو المشوب بالحزن على مصير الإذاعة قال مستر (**إيفانس**) Evance لمن معه من الإذاعيين والفنانين والأدباء الذين أزعجهم ذلك النبأ بإيقافها: ((**دعوني أصارحكم بأنني أيضاً قَلِقٌ مثلُكم على مصير هذه الإذاعة، وقد أحزنني جداً سماع ذلك الخبر من حكومتي التي اضطرت اضطراراً لاتخاذ هذا القرار، ولكن دعوني**

---

59 سبقت الإشارة إلى أنَّ ميزانية الإذاعة كانت جزءاً من ميزانية الدعاية المرصودة للحرب وبعد انتهاء الحرب لابد من إيقاف تلك الميزانية.

أناقش المسؤولين وأحاول إقناع حكومتي بعدم تنفيذه)). ولم يمض وقت طويل حتى عاد مستر إيفانس يبشر أصدقاءه والمقربين منه بموافقة حكومته على استمرارية الإذاعة. وكان من الأسباب التي ساعدت على التراجع من ذلك الأمر أنَّ القرار الذي حتمته إرهاصاتُ الواقع الاقتصادي المتردي لبريطانيا بعد انتهاء الحرب لم يصدر في الأساس وإنما كان وشيك الصدور. وإذا أقدمت بريطانيا على إيقاف كل المؤسسات التي لم تجد لها ميزانيةً بسبب كساد الحرب فإنها قد تضطر حتى لإغلاف المستشفيات والمدارس. وكان لا بد من إيجاد حلول عاجلة لمعالجة الموقف حتى ولو على حساب المستعمرات نفسها. وقد كان متوقعاً أن تراجع الحكومة البريطانية نفسها في قرار إيقاف الإذاعة. وذلك لأنها قد بدأت بالفعل تلعب دوراً سياسياً واستراتيجياً هاماً وخطيراً بالنسبة لها.

ولعل التطور الحتمي الذي حدث للبشرية جمعاء قبل وأثناء وبعد الحرب كان يقتضي الأبقاء على مثل تلك القنوات الإعلامية والدعائية المهمة وليس إغلاقها.

صدر قرار الحكومة البريطانية بالإبقاء على الإذاعة. وقد تضمن فقرةً بالتصديق على ميزانيةٍ منفصلة حددتها وزارة المالية في لندن لتكون ضمن مخصصات وزارة المستعمرات لكي تساعد في تسيير أعبائها وتمويل مشاريعها في المستقبل. وبعد صدور ذلك القرار

أصبحت الإذاعة جزءاً من مسؤوليات حكومة السودان التي كانت بريطانيةً مائة في المائة [60]. وقد ظل دور الإذاعة في هذه المرحلة أيضاً كما هو في السابق (**خدمة الإدارة البريطانية في السودان**).

استقر الحال كثيراً في الإذاعة بعد صدور قرار التصديق باستمرارها. وبدأ دورها الفاعل يظهر بصورة أكبر وسط المستمعين. وظل برنامجها طوال العام الأول لا يتجاوز نصف الساعة في اليوم. ولعلَّ ذلك لم يُرْضِ طُموحَ المستمعين ولا القائمين بأمرها. وظلَّ مكتبُ الاتصال طوال تلك الفترة يتحاور مع المهتمين ولجنة مؤتمر الخريجين المشاركة في الإشراف على الإذاعة بشأن زيادة ساعات البرمجة اليومية. وفي العام التالي 1941م تقررَ أنْ يكونَ الإرسالُ أكثر من نصف ساعة في اليوم. ولكن كيف تم ذلك؟

في واقع الأمر كانت الإذاعة تعمل بواسطة بعض المتطوعين من الشباب عند بداية إنشائها [61]. ولم يكن لديها مذيعون ولا فنيون ولا محررون خاصون بها. ولما كان تطويرها واستمرارها يقتضي تعيين ذلك الكادر من العاملين فقد صدر لأول مرة قرارٌ إداري بتعيين

---

60 تبعت الإذاعة في تلك المرحلة للحكومة البريطانية، ولكنْ كان جميع العاملين فيها من الوطنيين.

61 لم يكن بالإذاعة كادرٌ وظيفيٌ ثابت لا في مجال تحرير الأخبار ولا قراءتها ولا حتى في الجانب الفني والهندسي.

موظف رسمي بها في أوائل عام 1941م هو (**عبيد عبد النور**)[62].
كان الأستاذ عبيد أول موظف بالإذاعة، وهو المذيع الوحيد الذي يقرأ نشرات الأخبار، ويقدم الفقرات كمذيعٍ للربط، ويدير الأحاديث والحوارات مع الشخصيات التي تستضيفها الإذاعة، ثُمَّ يختتم الإرسال. ولم يكن مذيعاً فحسب، وإنما كان أديباً ووطنياً شهدت له أروقةُ كليةِ غردون صولاتٍ وجولاتٍ مع أقرانه من الوطنيين، حيث أَرَّقَ مضاجعَ الحكومةِ البريطانيةِ بشعره المعبر وقلمه الناقد [63].

وقد أشرف بعد تعيينه بالإذاعة على برنامج مُدتُه خمسون دقيقة يقدم ثلاث مرات في الأسبوع في أيام (**السبت والإثنين والأربعاء**). أما في بقية أيام الأسبوع الأخرى وهي (**الأحد والثلاثاء والخميس**) فقد كان هناك برنامج آخر مدته ربع ساعة يُقَدَمُ بالتناوب مع برنامجه.

خَلَفَ الأستاذ عبيد عبد النور في منصب المذيع الأول بالإذاعة الأستاذ الأديب (**صالح عبد القادر**) [64]. الذي كان واحداً من المناضلين في ثورة 1924م التي قادها الضابط الشاب (**علي عبد اللطيف**) ورفاقُه، والتي كانت نقطة تحول في مسار العمل الوطني

---

62 أنظر ص 266.

63 محجوب عمر باشري، شخصيات سودانية، الطبعة الأولى الخرطوم.

64 صالح عبد القادر أحد فحول الشعراء في فترة النضال ضد الاستعمار. وكان شعره يفيض وطنيةً وحماسةً.

بالسودان. ولم يكن صالح عبد القادر وحده الذي عمل بالإذاعة بعد الشاعر عبيد عبد النور وإنما تعاون معه عدد من الأساتذة هم: **(حسين طه زكي)**، و**(متولي عيد)** الذي ترقى في العمل الإذاعي حتى أصبح أول مدير سوداني لإذاعة أم درمان، و**(محمد عبد الرحمن الخانجي)** الذي أصبح هو الآخر مديراً للإذاعة فيما بعد.

وكانت الإذاعة في بداية نشأتها قد استقبلت عدداً من الإداريين البريطانيين الذين تعاقبوا على الإشراف عليها. حيث جاء في البداية **(مستر كرترك)** Mr. Kertrek الذي أشرف عليها خلال السنوات الخمس الأولى من عملها.

وكان أول قرار يصدر بتعيين مدير رسمي لها بعد سلسلة المشرفين هو قرار تعيين **(فنش دوسون)** Vinsh Doson البريطاني الجنسية كمديرٍ لها في شهر نيسان أبريل عام 1945م. وقد أختير المدير من إنجلترا رأساً ليقوم بهذه المهمة التي ظل مكتب الاتصال العام البريطاني يعين لها مشرفين من موظفي السلك الإداري الموجودين بالخرطوم، فيمارسون الدور القيادي للإذاعة رغم أنهم لم يكونوا يتمتعون بصفة المدير.

استمر مستر فنش دوسون Vinsh Doson يمارس أعباءه كأول مدير رسمي للإذاعة، ولكنه وبدون أي مقدمات تقدم باستقالته للحكومة

البريطانية. وقد قبلت الحكومة تلك الاستقالة [65]، ثم أصدرت قراراً فورياً بتعيين الأستاذ **(متولي عيد)** مديراً للإذاعة خلفاً لمستر دوسون. كان الأستاذ متولي عيد هو أول مدير سوداني يتولى ذلك المنصب. ثم توالى بعده عدد من المديرين السودانيين على قيادة الإذاعة [66]. وبالطبع فإن طبيعة الإدارة في تلك المراحل الأولى تختلف عنها في السنوات اللاحقة، خصوصاً في فترة ما بعد الاستقلال.

البداية والمقر

كان كل الناس يتساءلون في البداية، من أين يأتي هذا الصوت الذي ينساب عبر المايكروفون؟ وسرعان ما تبين لهم أنه ينبعث من غرفة صغيرة داخل مكتب **(البوستة والتلغراف)** بأم درمان Omdurman Post Office. بدأت إذاعةً صغيرةً متواضعة، تبث برامجها المحدودة **(مرةً واحدةً)** في الأسبوع، ثم سرعان ما تطورت خلال **(الشهر الأول)** لإنشائها إلى **(ثلاث مرات)** في الأسبوع.

---

65 كانت تلك الاستقالة لغزاً محيراً للكثيرين الذين لم يتصوروا أن يتنحى أحد البريطانيين عن مثل ذلك المنصب المهم في تلك المرحلة الدقيقة التي شهدت تنامياً في الحركة الوطنية وصل إلى حد الاشتباك في مراتٍ عديدة.

66 كان مستر فنش دوسون هو المدير البريطاني الوحيد لإذاعة أم درمان، حيث لم يتم تعيين أي بريطاني كمديرٍ بعد ذلك، وإنما تم تعيين سودانيين لذلك المنصب. ولكن في واقع الأمر ظلت بريطانيا هي المسيطرة على زمام الأمور حتى في مرحلة تعيين المدراء الوطنيين.

وكان مستر بني Mr. Penny مدير المخابرات البريطاني بالسودان هو المشرف الأول عليها منذ اليوم الأول لتأسيسها. وتم تعيين مشرفين آخرين يتبعون له هم إدوارد عطية Edward Atiya، وميشيل عيساوي Metchael Esawi ومستر ين Mr. Yenn.

وكان هؤلاء الثلاثة هم المشرفين الفعليين الذين ارتبطوا بالإذاعة ارتباطاً وثيقاً، في حين ظل مستر بني المشرف الأول منفذاً لسياسة الحكومة البريطانية من على البعد، ولم يتدخل حسب توجيهات الحكومة البريطانية بشكل مباشر.

وكان إدوارد عطية وميشيل عيساوي من المسيحيين اللبنانيين، الذين استجلبتهم حكومة بريطانيا للعمل في دواوين الحكومة بالسودان، شأنهم في ذلك شأن العديد من السريان والأرمن والأقباط الذين جاءوا لأداء نفس المهمة. وبعد فترة من الزمن أعفي مستر بني Penny من منصبه كمشرف عام على الإذاعة لِتُسند إليه مهمةٌ أخرى لا علاقة لها بالعمل الإذاعي، وعين بدلاً منه مستر آربر Mr. Arber [67].

---

67 كان مستر آربر Mr. Arber يشغل منصب ضابط الاتصال العام للحكومة البريطانية بالسودان.

انتقال الإذاعة لبيت الأمانة

بعد سنتين من إنشائها، وبالتحديد في عام 1942م انتقلت الإذاعة من مباني بوستة أم درمان إلى منزل صغير تم استئجاره بمدينة أم درمان ليكون مقراً مؤقتاً لها. وقد كان ذلك المنزل متواضعاً إلى أبعد الحدود. وموقعه بالقرب من **(مدرسة القابلات)** بمدينة أم درمان، بمنطقة مدرسة **(بيت الأمانة)** [68].

ولم يكن ذلك المنزل مقراً مناسباً لإذاعة على الإطلاق بحكم تصميمه البسيط وشكله المتواضع. ولكن لم يكن بالإمكان في تلك الظروف أن يتم تغييره بأحسن منه. وكان يحوي أربعَ غُرفٍ صغيرة، واحدة منها بمساحة 4×4 أمتار وهي أكبر الغرف، وقد استخدمت كأستديو لبث البرامج على الهوا. وبقية الغرف كانت مساحتها 3×3. وقد أصبحت واحدةٌ منها مكتباً خاصاً بالأخبار، والثانية مكتباً لحفظ المواد والأرشيف، والثالثة كانت بمثابة مكتب للعاملين[69]. ورغماً عن تواضع ذلك المنزل إلا أنه كان أفضل بكثير من موقعها السابق

---

[68] مدرسة بيت الأمانة من أعرق المدارس بأم درمان، وتعود تسمية بيت الأمانة إلى أيام دولة المهدية، حيث أطلقت كثير من الأسماء على أحياء ومباني المدينة من خلفيات إسلامية فرضتها طبيعة الدولة المهدية مثل بيت المال والملازمين والعرضة وبيت الأمانة.

[69] هذه المعلومة رواها للمؤلف الأستاذ البروفيسور **(علي شمو)** في كوالا لمبور عند زيارته لماليزيا في يوم 5 آب أغسطس عام 1997م لحضور مؤتمر الاتصال الذي نظمته منظمة ألسكو ALESCO.

بمباني البوستة. وقد لعبت ظروف الموقع وقيمة الإيجار دوراً في اختيار هذا المكان الجديد الذي يتوسط الحي الذي سبق أن أقام به جهاديةُ المهدي عندما أسسوا مدينة أم درمان العاصمة الوطنية في عام 1885م.

وبالطبع لم تكن هناك مكاتب وثيرة، ولا أجهزة تكييف تبث الهواء العليل كما هو حال الإذاعة اليوم، وإنما كان الإذاعيون يجلسون في تلك الغرف الصغيرة يؤدون عملهم بكل همة وهم يتصببون عرقاً. وقد أطلق عليها أحدُ الظُرفاء اسم **(أبراج الحمام)** [70] لضيقِ جدرانها وعدم وجود نوافذ صحية بها.

وكان الأساتذة **(صالح عبد القادر، ومتولي عيد، وحسين طه زكي، ومن بعدهم علي شمو)** -وهم الرعيل الأول من الإذاعيين- يجلسون في تلك الأبراج، يكتبون البرامج والأخبار وهُمْ لا يكادون يتبينون سطور الأوراق من ضعف لمبات الإضاءة والعرق المتصبب من وجوههم. ورغم ذلك كان الحماس وحرارة القلوب أشد من حرارة الشمس، فيخرج الحديث من أفواههم عَذْباً كما الماء الزلال. وكانوا يتبارون في كسب ود المستمعين الذين يرهفون السمع بدقة وجدية لالتقاط كل ما يُبثُ عبرَ الأثير من برامج وأخبار وغيرها. في تلك الفترة بدأت الإذاعة تستقبل عدداً من الزوار من مستمعيها المغرمين

---

70 أطلق عليها ذلك الاسم الأستاذ المرحوم متولي عيد.

بما تقدمه من برامج. ولذلك كثيراً ما ضاق المكان بالضيوف، فضلاً عن ضيقه بالموظفين وعدم مقدرته على استيعاب حجم العمل. وظلت البرامج الحية تذاع من ذلك المنزل الصغير، رغمَ أنها لم تكن بالوضوح والصفاء المطلوب، حيثُ ظلَّتْ تتخللُها بعضُ الأصوات الدخيلة من هنا وهناك أثناءَ ساعات الإرسال. وكان المستمعون يلتقطون أصواتَ بعضِ الحيوانات التي تمر بشارع الإذاعة كالحمير والحصين والأغنام وغيرها. وكثيراً ما استمع الناس لصوتِ ديكٍ شهير ظل يصيح طوال ساعات الإرسال الصباحية، حتى حسب البعض أن الإذاعة قد استجلبته ليوقظ النائمين أثناء تقديم البرامج.

وكانت الإذاعة في تلك الفترة في غاية البساطة والتواضع من حيثُ شكل المباني والأثاثات، رغم أنها كانت في غاية الخطورة والأهمية من حيثُ الدور الملقى على عاتقها. ولما لم يكن بالإمكان إنشاء أستديوهات رسمية في ذلك المنزل الذي كان مُستأجراً فقد اكتفت الإذاعة بذلك الأستديو الصغير والوحيد بها، والذي لم يكن قد بُنيَ بمواصفات الأستديوهات الحقيقية. ولذلك تم إنشاء أستوديو آخر لتسيير العمل في داخل مكتب الاتصال العام بالخرطوم، مما جعل الإذاعيين يتنقلون بين أم درمان والخرطوم كلما دعت الحاجة إلى ذلك. في تلك الفترة كانت إذاعة **(ركن السودان)** بالقاهرة قد بدأت إرسالها

الذي عانق آذان المستمعين لأول مرة في أواخر عقد الأربعينيات [71].
فخلقت شيئاً من التنافس على الأثير، الشيء الذي أفاد المستمعين كثيراً. حيث إنه كلما كثرت قنوات الإرسال الإذاعي كلما زاد حجم البرامج والخدمات المقدمة، وبالتالي يزيد حجم المنافسة على جذب المستمعين [72].

وقد بدا أن إذاعة ركن السودان قد سعت جاهدةً لكسب ود المستمعين السودانيين لأنها أنشئت خصيصاً لخدمتهم. ولما كان المستمعون لا يجدون غير إذاعة أم درمان التي ظلوا يتحلقون حولها في الأمسيات ليستمتعوا ببرامجها فقد وجدوا في إذاعة ركن السودان إضافةً مقبولةً ومحببةً لهم فيها المزيد من الجرعات السودانية، خصوصاً في مجال الغناء والمواد الثقافية وبرامج المنوعات.

وكانت ركن السودان مدعاةً للفخر والاعتزاز والفرح، لأنها قد بدأت تجاري إذاعة أم درمان في تقديم مواد شبيهة كالأغنيات والقصائد السودانية، فضلاً عن المعلومات الثقافية، وألوان التراث المحلي لكثيرٍ من بقاع السودان التي أسهمت في إثراء المكتبة الصوتية [73]. وقد دعمتها في ذلك خبرة مصر الواسعة في مجال العمل

---

71 بدأ إرسال إذاعة ركن السودان لأول مرة في يوم 15 كانون أول ديسمبر عام 1948م.

72 مجلة هنا أم درمان، عدد الخميس أول مارس 1962م، حديث مع الأستاذ متولي عيد عن تاريخ الإذاعة، ص 17.

73حديث الذكريات، أبوعاقلة يوسف الإذاعة السودانية 15 مايو 1979م.

الإذاعي التي سبقت السودان بأكثر من خمسة عشر عاماً كاملة، حيث بدأت الإذاعة المصرية بثها منذ منتصف العشرينيات. وكانت منافسة الأثير هذه المرة برداً وسلاماً على المستمعين، وليست كمعركة الأثير التي دارت رحاها بين بريطانيا وألمانيا والتي رمت بآلاف الأبرياء في أتون الجحيم.

التسجيل على الأسطوانات

كانت الإذاعة السودانية، شأنها شأن كل الإذاعات الوليدة، قد بدأت بأسلوب بث البرامج على الهواء مباشرةً دون تسجيل. وذلك الأسلوب كان يقتضي أن يكون مقدم البرامج أو قارئ الأخبار أو المغني موجوداً بالأستديو لحظة بث المادة المذاعة ليقدمها على الهواء مباشرةً.

ورغم أنَّ هذا الأسلوب قد كان صعباً ولا يخلو من الخطورة، إلا أنه لم يكن بالإمكان آنذاك إجراء التسجيل بشكله الذي نراه اليوم. وذلك لأنَّ أشرطة التسجيل المغنطيسية الحديثة التي تستخدم الآن بالإذاعات لم تكن متوفرة.

ولم يكن بمقدور الإذاعة أن تشتري أي تقنية متقدمة، بحكم ضعف الميزانية المرصودة لها آنذاك. وحتى الأستديوهات التي يتم فيها إنتاج البرامج لم تكن بشكلها الحديث الذي نراه اليوم، وإنما كانت

في غاية التواضع. وفوق هذا وذاك فإنَّ الإذاعة الحية على الهواء ليست من الأمور السهلة، بل هي في غاية الصعوبة. وتكمن خطورتها في حالة ما إذا خرجت للمستمعين مادةٌ لا ترغبُ الإذاعةُ في خروجها، فهذه المادة لا يمكن لحاقها إلى الأبد.

كان جميع الإذاعيين والفنانين حذرين إلى أبعد الحدود عندما يكونون على الهواء حتى لا يقع المحظور الذي قد يكلف الشخص وظيفته إن لم يكلفه حياته ذاتها. ورغم أن أسلوب البث المباشر الذي نتحدث عنه الآن قد فرضته ظروف البداية المتواضعة، إلا أنه وللمفارقات الطريفة أصبح هو الأسلوبَ الأفضل في عالم اليوم. حيث عادت معظم إذاعات العالم في السنوات الأخيرة لأسلوب البث المباشر على الهواء الذي اعتبرته أفضل الأساليب للعمل الإذاعي، لأنه الوسيلة الوحيدة لملاحقة الأحداث الدائرة في عالم اليوم لحظةً بلحظة. بل وإنَّ الإذاعات التي تبث برامجها حيةً الآن، تعتبر هي الأحدث والأقوى والأكثر جمهوراً، لأنَّ ذلك يعني المواكبة وسرعة الخدمة وعدم التأخر في ملاحقة الأحداث.

بعد تلك المرحلة التي استمرت تسع سنوات أدخلت الإذاعة في عام 1949م ولأول مرة منذ تأسيسها نظام **(التسجيل على الأسطوانات)**. فقامت بتسجيل عدد من الأحاديث المهمة. ثم سجلت بعد ذلك البرامج والتمثيليات الإذاعية والأغاني والموسيقى والتعليقات

وغيرها من المواد. ولم تكن عملية التسجيل على الأسطوانات عملية سهلةً على الإطلاق، بل كانت هي الأخرى في غاية الصعوبة والخطورة لمن يقوم بها من الفنيين. حيث كان الفنيون يبذلون جهداً خارقاً حتى يخرج التسجيل بالمستوى المطلوب.

وكان أكثر ما يزعجهم هو الأخطاء التي قد يرتكبها المتحدث أو المغني، والتي تحتاج إلى إعادة تسجيل الأسطوانة من جديد [74]. فتسجيل الأسطوانة ليس كتسجيل الشريط المغنطيسي الذي يمكن مسحه وإعادة تسجيله، وإنما هي محفوفة بالمخاطر في كل مراحل إنتاجها. ذلك أن الأسطوانة تعتبر كتلةً متماسكة من البلاستيك المقوى الذي لا يسهل مسحه ولا إعادة التسجيل عليه.

وفوق هذا وذاك، كان استخدام الأسطوانات محفوفاً بخطر آخر يتمثل في قابليتها للشروخ والكسور أثناء نقلها أو تنظيفها أو حتى إذا سقطت من رفوف المكتبة. فضلاً عن ذلك، كانت المادة التي تصنع منها الأسطوانات حساسةً جداً لتقلبات الطقس من حرارة وبرودة ورطوبة. ولكن رغم كل ذلك، فقد ظل التعامل مع الأسطوانات مستمراً في الإذاعة طوال تلك الفترة. كان تواضعُ المنزل الذي بدأت فيه الإذاعة، والصعوبات التي واجهها العاملون قد جعلت المسؤولين

---

74 حديث إذاعي للمرحوم النور موسى أحد أوائل الفنيين الذين عملوا بالإذاعة في أواخر الأربعينيات. وقد أذيع هذا الحديث الذي ضم ثلاثةً من الإذاعيين هم حسن القاسم وبكري مشي والنور موسى ضمن برامج عيد الأضحى عام 1976م.

يفكرون في استبدال ذلك المنزل الصغير بجوار مدرسة القابلات بمقر آخر يكون أكثر رحابةً وأكثر هدوءاً ليتوافق مع طبيعة وحجم العمل الإذاعي الذي ظل يزداد أهميةً وتعقيداً كل يوم. حيث صدر قرار من مكتب الاتصال العام قضي بنقل الإذاعة من ذلك المنزل إلى مقر جديد أكبر وأفضل يمكنه أن يستوعب حجم الأعباء المنوطة بالإذاعيين. وبالفعل حزم الإذاعيون أمتعتهم وانتقلوا إلى المبنى الجديد.

انتقال الإذاعة لمقرها الدائم

كانت تلك الانتقالة الكبرى في مجال العمل الإذاعي قد تمثلت في افتتاح مباني الإذاعة الرسمية بالقرب من مجرى نهر النيل بمدينة أم درمان. وهي المباني التي تمثل المقر الدائم لها، والتي ظلت بها الإذاعة إلى اليوم. وقد كان ذلك الانتقال في صيف عام 1957م [75]. حيث بنيت بها أحدث الأستديوهات الواسعة وجلبت لها أجهزة جديدة، وزودت المكاتب والأقسام المختلفة بالأثاثات التي غيرت وجه الإذاعة تغييراً جذرياً.

كان ذلك الحلم قد راود جميع العاملين الذين تعشقوا عملهم وأخلصوا له في الظروف الصعبة التي سبقت تلك الانتقالة. وقد استمرت عملية البناء زهاء الأربع سنوات، حيث كان الكثير من سكان

---

75 رصدت الإذاعة مبلغ ثمانين ألف جنيه لإنشاء الإذاعة الحديثة في ذلك العام.

أم درمان يمرون على العمال وهم يبنون صرح الإذاعة، فيستحثونهم على إكمال العمل حتى يسمع صوت السودان في كل مكان. وكان أسعد الناس بذلك الإنجاز هم أهل الإذاعة أنفسهم، الذين اكتووا بنيران المقر القديم بكل سلبياته ومشاكله.

وبافتتاح المباني الجديدة عام 1957م كان أول ما لاحظه المستمعون هو اختفاء تلك الأصوات التي كانت تفرض نفسها على المايكروفون، عندما كانت الإذاعة بالقرب من مدرسة القابلات وبيت الأمانة. واختفي صوت ذلك الديك من أثير الإذاعة، وأصبح بالإمكان الاستماع إليها بوضوح أكثر.

تطل المباني التي انتقلت إليها الإذاعة على نهر النيل الذي ينساب بجانبها في دعة تشبه دعة الفاتنات الرائعات اللائي خمجن دلالـيكهن ذات مساء جميل قاصدات سورها العظيم عند الأصيل، ليقدمن فروض الولاء والطاعة لمن نضحت عن ثوبها غبار السنين، وتوشحت في ليلة عرسها قلادات الفرح والبهجة والتباهي. إنها عروس النيل التي ما فتئت تقول للطوابي الرابضات بقربها [76] على ضفة النيل: { ***إذا كان قدركن أيتها الطوابي الرابضات على المداخل أن تحرسن العرين من غدر المستعمرين في قديم الزمان، فإنَّ قدري أنْ***

---

[76] هذه الطوابي بناها جنود المهدي في عام 1885م لحماية واجهتهم من مدافع الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الجهادية ببنادقهم من منطقة المقرن بالخرطوم وجزيرة توتي على النيل الأزرق.

أبقـي بجـانبكنَّ أحـرس التـراثَ والهويـة، أذود عـن العِرْضِ والشـرف، وأحمل بين جوانحي أصالة الشعب الأبي وتراثـه الأصيل، ويا لـه من قدرٍ جميل}.

أستديوهات الإذاعة

بُنِيَتْ داخـل الإذاعـة عنـد افتتاحهـا أربعـة أسـتديوهات كبيـرة، كانـت تكفـي آنـذاك لتلبيـة متطلبـات العمـل مـن تسـجيل ومونتـاج وبـث علـى الهـواء. منهـا إثنـان بحجـم كبيـر تـم تشـغيلهما خصيصـاً لتسـجيل المواد الغنائية والموسيقى والدراما هما أستوديو (A) وأستوديو (B)، في حـين ظـل الأسـتوديوهان الآخـران وهمـا أسـتوديو (C) وأسـتوديو (E) يعمـلان بشـكل منـتظم فـي خدمـة البـث الإذاعـي المباشـر أي نشـرات الأخبـار والـربط ومـا إلـى ذلـك مـن فقرات البـرامج الحيـة التـي لا تمـر بقنوات التسجيل العادية [77].

وعنـدما أصـدرت حكومـة الفريـق **(عبـود)** فـي عـام 1962م قرارهـا بإنشـاء تلفزيـون السـودان، لـم تكـن هنـاك أسـتديوهات خاصـة تستوعب العمل التلفزيوني الجديد، خصوصـاً وأن التلفزيون قد بدأ عملـه الرسمي من مباني **(لكونـدة المسرح القومـي)** المجاورة للإذاعة. فتبرع

---

[77] المعلومـة مـن المؤلـف وقد استقاها مـن خـلال تجربتـه العمليـة بالإذاعـة التـى امتـدت سـتة عشر عاماً.

مدير الإذاعة بأستديو (B) الذي يعتبر أكبر أستديوهات الإذاعة على الإطـلاق، ومنحـه للتلفزيـون ليكـون أول أسـتديو يبـث إرسـال تلفزيـون السودان. وظلَّ التلفزيـون يعمل من داخل أستديو (B) بالإذاعة حتى بنيت لـه أستديوهات خاصـة في مقره بلكونـدة المسرح القومي، التـي ظلت مقراً دائماً للتلفزيون إلى يومنا هذا. وعندئذ انتقل إرسال التلفزيون من أستديو (B) الذي عاد مرةً أخرى لأمه الإذاعة.

فـي شـهر شـباط فبرايـر عـام 1976م تـم افتتـاح أربعـة أستوديوهات إذاعيـة أطقت عليهـا أسـماء **(كرومـة)**، **(خليـل فـرح)**، **(سرور)** و**(عائشـة الفلاتيـة)** [78]. وهي أسماء المطربين الأوائل الذين تعاملوا مع الإذاعة في بداياتها.

فأستديو كرومـة وأسـتديو خليـل فـرح من الأسـتديوهات الكبيـرة نسبياً، حيث يستخدمان للبرامج التـي يؤمهـا الجمهـور أو المسلسـلات الإذاعيـة التـي يشـارك فيهـا عدد كبيـر من الممثلين، إلـى جانـب تسـجيل الأغنيات التـي يشـارك فيهـا عدد من العـازفين أعضـاء الفـرق الموسيقيـة الكبيـرة. أمـا أسـتديو سـرور وأسـتديو عائشـة الفلاتيـة فهمـا مـن

[78] حضر المؤلف افتتاح هذه الأستديوهات الذي قام به رئيس الجمهورية جعفر محمد نميري فى احتفالٍ حضره وزراء الثقافة والإعلام والمالية والمواصلات ومستشار الرئيس الصحفي. وكان هناك قرارٌ سابق بأن يتم افتتاحها فى أعياد 25 مايو، إلا أنَّ وزير الثقافة رأى أن تفتتح حالما ينتهي العمل في تشييدها، لتواكب التطور الملحوظ الذى طرأ على العمل الإذاعي في تلك المرحلة.

الأستديوهات الصغيرة الحجم، والتي تستخدم عادةً في تسجيل الأحاديث والبرامج الكلامية، كالمقابلات والتعليقات المختلفة والبرامج السياسية والرياضية والأدبية وما إلى ذلك.

وكان هذان الأستديوهان كثيراً ما أسهما في بث الإرسال المباشر عند تعطل أستديوهات البث الرئيسي (C) أو (E). إلا أن أستديو الفلاتية قد أصبح في السنوات الأخيرة من القرن المنصرم لا يُستخدم إلا لتسجيل أشرطة الكاسيت الخاصة التي تقدمها الإذاعة بين الحين والآخر هديةً لبعض الشخصيات. ويضم الأستديو في داخله عدداً من أجهزة التسجيل التالفة التي يبدو وأن الإذاعة قد آثرت أن تجعل من هذا الأستديو مخزناً لها.

وفي يوم 27 أيار مايو عام 1977م تم افتتاح أربعة أستديوهات أخرى بالإذاعة أطلق عليها أسماء: **(محمد بابكر)**، **(السماني)**، **(خانجي)** و**(الدوحة)**. وأصبحت هذه الأستديوهات تُعرف باسم **(مجموعة الدوحة)**. وقد جاءت أحدث وأفضل عطاءاً من **(مجموعة كرومة)** التي سبقتها في الإنشاء. حيث روعي في تصميمها ألا تتداخل فيما بينها.

والتداخل هنا نعني به المدخل الرئيسي للأستديو، حيث إنَّ لكل واحد من أستديوهات هذه المجموعة مدخلاً منفصلاً ومستقلاً تماماً عن الأستديو الذي يليه. ولذا فهي ليست كأستديوهات مجموعة كرومة

التـي تشـترك جميعـاً فـي مـدخلٍ واحـد، ممـا سـبب كثيـراً مـن الإزعـاج للعـاملين داخلهـا أثنـاء التسـجيل. وقـد جـاءت أسـماء هـذه المجموعـة الجديدة من بعض المعالم والأفراد الذين لعبوا دوراً فـي مسيرة الإذاعة وهي كما يلي:

- **أستوديو الدوحة:** وهو قد أخذ من اسم العاصمة القطرية المعروفة تقديراً للمساعدات الفنية التي قدمتها دولة قطر للإذاعة السودانية.

- **أستديو خانجي:** مأخوذ من اسم محمد عبد الرحمن الخانجي رابع مدير للإذاعة.

- **أستديو السماني:** مأخوذ من اسم الشيخ السماني أحمد عالم أحد كبار المنشدين السودانيين الذين أثروا مكتبة الإذاعة بعشرات القصائد الدينية.

- **أستديو محمد بابكر:** مأخوذ من اسم الشيخ محمد بابكر أحد كبار قـارئي القـرآن الكـريم بالإذاعـة. وكـان لصـوته حـلاوة وطـلاوة تحلـق بالسامعين في عوالم من العرفان القرآنـي السـامي. وكـان النـاس يذرفون الـدموع مـن الوجـد الـذي يثيـره صـوت ذلـك الشـيخ الجليـل الممتلـئ

بالخشوع والمهابة. وبافتتاح هذه المجموعة من الأستديوهات **(مجموعة الدوحـة)** أصبح لدى الإذاعـة عدد لا يستهان بـه مـن الأسـتديوهات الجيدة، بلـغ عددها الإثنـي عشـر. واستطاعت أن تقدم خدمـةً إذاعيـةً أفضل، تمثلت في تطور أساليب الإخراج والمونتاج والتسجيل. وأتاحت فرصـاً أكبر للإعداد وتجويد الأداء. فقد صممت أستوديوهات الإذاعـة الحالية على أحدث الأساليب. وجلبت لها معدات حديثة من **(ألمانيا وهولندا واليابان)** فضلاً عن الأجهزة **(البريطانيـة)** التي كانت تستخدم في الماضي وهي أجهزة شركة **(ماركوني)** Marconi.

وأستوديو الإذاعة كما هو معروف في كل بقاع الدنيا ينقسم إلى غرفتين مختلفتين، واحدة للمذيع، والثانية للفني أو مهندس الصوت كما يسمى في بعض الأحيان. حيث تضم غرفة المذيع أهم عنصر في العملية الإذاعيـة وهو المـايكروفون، وسماعةً لترجيـع الصـوت الخـارج من الأستوديو، ومنضدةً يجلس خلفها المذيع لتقديم الفقرات المختلفة من أخبار ومواد إذاعية.

ويزود الأستديو الإذاعي بلمبة إشارة حمراء تضاء إيذاناً ببدء قراءة المادة التي لديه سواء أكانت نشرةً للأخبار أو تعليقاً أو غيرها. ولعل هذه الإشارة تبدو مغايرةً لكل الإشارات المتعارف عليها، حيث إن الإشارة الحمراء تعني لكل بني الإنسان التوقف عن المسير خصوصاً عند شارات المرور وغيرها، إلا أنها في الإذاعة تعني بداية الانطلاق.

وفي داخل غرفة المذيع بأستديوهات الإذاعة يوجد جهاز صغير على المنضدة لا يستطيع المذيع أن يستغني عنه أبداً وهو قاطع الصوت أي (Mic cut). حيث يستخدمه المذيع لقطع الإرسال أثناء المواد الحية خصوصاً نشرات الأخبار، وذلك إذا داهمه سعال مفاجئ أو دخل عليه محرر الأخبار بخبر جديد أثناء قراءة النشرة أو ما إلى ذلك.

أما غرفة الفني فهي تحتوي على جهاز خلط الصوت (Mixer)، وعدد من أجهزة التسجيل وإعادة التلعيب (Player)، وجهاز أو اثنين لتشغيل الأسطوانات (Phonograph) التي تحوي بعض المؤثرات الصوتية والمواد الخفيفة مثل الموسيقى. وتوجد بغرفة الفني أيضاً سماعات كبيرة ذات كفاءة عالية يستطيع من خلالها فني الصوت متابعة المواد المذاعة على الهواء.

وفي داخل الأستديوهات يتم كل شيء يخص البرمجة في جو أشبه بخلية النحل. فالإذاعة لا تعرف السكون أو الهدوء أوالخمول أو الكسل. كما أنها لا تعرف العطلات الرسمية ولا الأعياد مثل بقية المؤسسات الحكومية وغير الحكومية. وذلك لأنَّ وقتها كله قد خُصص للعمل.

والناس فيها لا يشغلهم عن إعداد البرامج أي شاغل مهما تكن الظروف الخاصة أو العامة. بل وإن معظمهم قد أصبحوا جزءاً من

أدوات العمل، وضحّوا بكثير من علاقاتهم الأسرية والاجتماعيات وأصبح بيتهم هو الإذاعة. حيث إنهم لا ينقطعون عنها نهاراً أو ليلاً، يدخلونها مع ظلام الفجر ويغادرونها مع ظلام الليل.

ساعات البث عبر السنوات

رأينا فيما سبق أن إرسال الإذاعة قد بدأ بنصف ساعة يومياً ثم خمسين دقيقةً ثم ساعة ثم تطورت إلى أربع ساعات إلا ربعاً. كانت هذه الساعات الأربع توزع بالشكل التالي:

- من الساعة السادسة والنصف حتى التاسعة والنصف مساءً، ثم بعد ذلك تبدأ الخدمة الغنائية اليومية.

- ثم في عام 1956م، أي بعد استقلال السودان قفز حجم الإرسال الإذاعي إلى عشر ساعات وربع. فأصبحت الإذاعة تبدأ يومياً في السادسة صباحاً وتستمر حتى الثامنة إلا ربعاً. ثم تتوقف لتبدأ عند الساعة الثانية بعد الظهر. وتستمر حتى الثالثة. ثم تبدأ مرةً أخرى في الرابعة عصراً وتستمر حتى السادسة مساءً ومن السادسة والنصف حتى الحادية عشرة ليلاً. وبعد ذلك صدر قرار من وزارة الاستعلامات

والعمـل وإدارة الإذاعـة بـأن تـزاد الفتـرة الصـباحية لتنتهـي فـي العاشـرة صباحاً بدلاً عن الثامنة إلا ربعاً.

- وفـي شـهر آذار مـارس عـام 1962م وصـلت سـاعات الإرسـال الإذاعي إلـى سبع عشرة ساعةً تبدأ فـي السادسـة صباحاً وتنتهـي فـي الحادية عشرة ليلاً.

- ثم بعد ذلك أُضيفت ساعةٌ أخرى لبرامج الإذاعة لينتهي الإرسال في الثانيةَ عشرةَ منتصفِ الليل.

- استمر ذلك الحال إلى مطلع عام 1990م حيث أضافت الإذاعة ساعةً صباحيةً أخرى ليبدأ الإرسال في الخامسة صباحاً ويستمر إلى منتصف الليل [79].

- أما في شهر شُباط فبراير 1995م فقد صدر قرار لأول مرة في تاريخ الإذاعة بأن يكون الإرسال لمدة أربعٍ وعشرينَ ساعةً بلا انقطاع. وكان ذلك خلال شهر رمضان، حيث استمرت التجربة طوال الشهر، ووجدت قبولاً طيباً بين أوساط المستمعين خصوصاً أبناء السودان

---

79 تقرير قسم العلاقات العامة بالإذاعة، مايو 1976م ص 3.

الذين يعيشون بعيداً عن أرض الوطن والذين كثيراً ما تحرمهم فروقاتُ التوقيت من مُتابعة برامج إذاعتهم الوطنية [80]. إلا أنَّ الإرسال قد عاد مرةً أخرى لأسلوبه القديم الذي ينتهي في الساعة الواحدة صباحاً. ولعلَّ هذا التغيير المستمر في ساعات البث قد فرضته كثير من الظروف التي مرَّت بها الإذاعة. ولكن ظل الطموح هو أن يستمر الإرسال أربعاً وعشرين ساعة تيمناً بمعظم الإذاعات العربية والعالمية.

سور الإذاعة

بُنِيَتْ إذاعةُ أم درمان في مقرها الحالي، وهو مبنىً كبيرٌ له سورٌ ضخمٌ شأنه شأن كل المنازل السودانية التي قلما تجد فيها منزلاً بلا سور. والإذاعة بهذا السور تفردت بين إذاعات العالم التي لا يملك معظمها أسواراً، وذلك لأن إذاعة السودان قد تأثرت بشكل المعمار التقليدي في السودان [81].

---

80 صدر القرار من مدير عام الهيئة القومية للإذاعة السيد صلاح الدين الفاضل بعد التشاور مع وزير الثقافة والإعلام ومدير الإدارة الهندسية بالإذاعة.

81 زار المؤلف عدداً من إذاعات العالم منها: إذاعة لندن وإذاعة القاهرة وإذاعة الكويت وإذاعة بغداد وإذاعة موسكو ودار الإذاعة الرومانية والإذاعة الماليزية وإذاعة قطر والإذاعة التركية وإذاعة المملكة العربية السعودية. ولم يجد سوراً إلا بإذاعة أم درمان ودار الإذاعة الماليزية التى تضم مجمع الإذاعة والتلفزيون فى هيئة واحدة هي RTM.

ويحوي هذا السور في داخله كل المباني التابعة للإذاعة من أستديوهات ومكاتب للعاملين وورش الصيانة وأقسام المهندسين والفنيين والإداريين ومرافق عامة وغيرها من المكاتب التي كانت في الماضي بمكتب الاتصال العام بالخرطوم وقد تم تحويلها بعد اكتمال المقر الدائم في عام 1975م. كما يضم سور الإذاعة مكاتب إدارة الإنتاج التجاري التي كانت تابعةً لوزارة الثقافة والإعلام، ثُم صارت جزءاً من الإذاعة والتلفزيون في مرحلةٍ لاحقة بحكم طبيعة العمل الذي تؤديه. وقد أُلحق بسور الإذاعة في عام 1991م مَسجدٌ صغير يؤدي فيه العاملون الصلاة.

وتتوسط السور حدائقُ الإذاعة التي شهدت كثيراً من الأحداث واللقاءات الفنية والثقافية والاجتماعية وأحياناً السياسية، لاسيما في المواسم والمناسبات القومية. وقد أسهم هذا السور في إعطاء الإذاعة شيئاً من الخصوصية في تعاملها مع المستمعين. حيث جعل منها ملاذاً لأهل الفن والثقافة والأدب. يتقاطرون صوبها كل صباح، ليلتقوا تحت ظلالها الوارفة.

❖ يلتقي الشعراء تحت أشجار النيم الكثيفة بسور الإذاعة، فيعرضون قصائدهم على النقاد والمطربين الذين يتوافدون في كل صباح إلى ذلك

المكان المريح ليقضوا معظم ساعات اليوم، حتى سماه البعض سوق عكاظ.

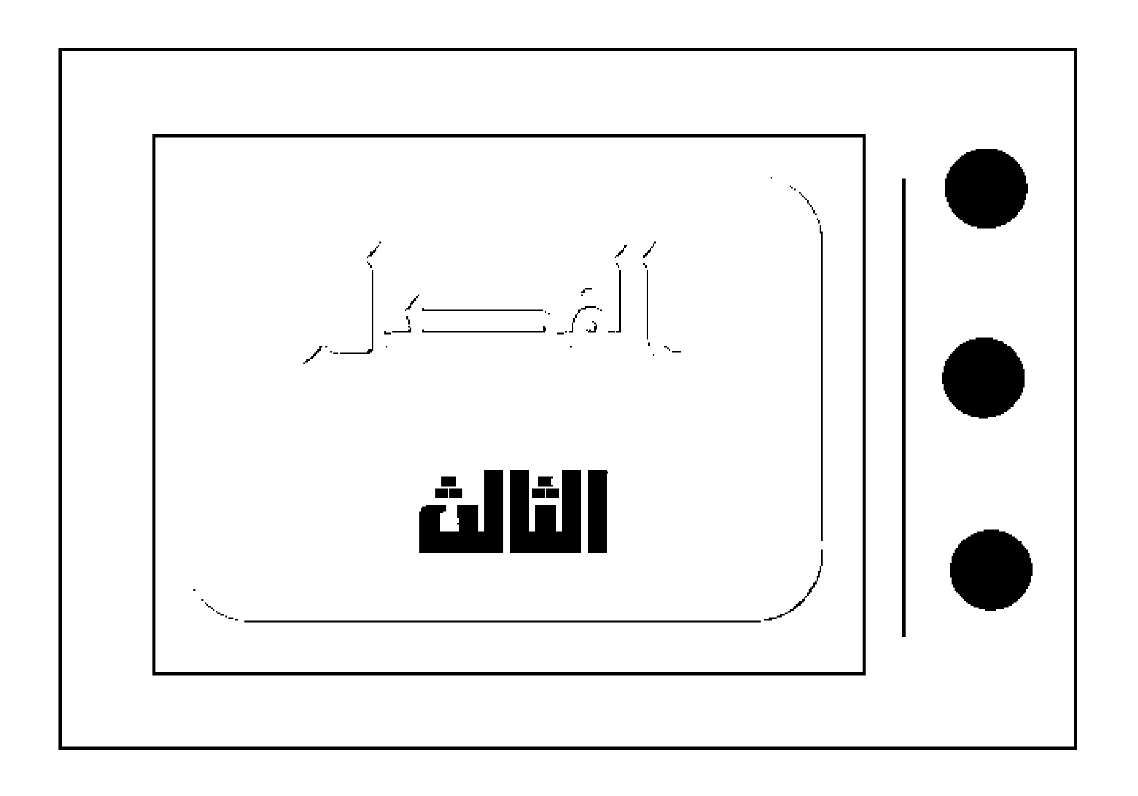
❖ ويلتقي المطربون بمعجبيهم، فيجلسون على الكراسي التي وضعتها الإذاعة في ذلك المكان، فتناثرت تحت الأشجار التي يجلس تحتها كثير من الفنانين والأدباء والإعلاميين يتحدثون عن الفنون ويستعرضون ما لديهم من نتاج أدبي وثقافي قُبيلَ دخولِ الأستديوهات للتسجيل.

❖ ويلتقي الإذاعيون مع أهل الإبداع بمختلف ألوانهم ومشاربهم، فيتفقون على إجراء التسجيلات في البرامج والمقابلات المختلفة. وبذلك يكون سور الإذاعة قد اختصر المسافات للمتعاملين مع الإذاعة في زمانٍ لم تكن فيه وسائلُ الاتصال سهلةً كما هي اليوم.

لقد ساعد سور الإذاعة في إقامة العديد من الحفلات والمهرجانات المختلفة التي لا يمكن أن تتسع لها الأستديوهات. وكانت معظم البرامج الجماهيرية تُسجل في فناء الإذاعة مثل **(جرب حظك)** للراحل محمد خوجلي صالحين، و**(ساعة سمر)** لعمر عثمان، و**(على الطبيعة)** الذي قدمه عمر عثمان أيضاً بعد أن توقف برنامج ساعة

سمر، و(**جُراب الحاوي**) لمحمد سليمان، و(**نادي للجميع**) الذي قدمه بالاشتراك عوض إبراهيم عوض والزبير عثمان الطيب وغيرها وغيرها من البرامج الجماهيرية التي كانت تُقدمُ حيةً على الهواء ومسرحها هذا السور.





الإدارات الرئيسية
والمتخصصة بالإذاعة

الفصل الثالث

الإدارات الرئيسية والمتخصصة بالإذاعة

((عدتُ للسودان لأسهم في حركة تحرير البلاد من خلال الإذاعة، ولذلك كنا نخفي أحياناً بيانات مكتب الاتصال البريطاني التي تدين الحركات الوطنية في بلادي)).

[أبوعاقلة يوسف]

المدير الأسبق لإذاعة أم درمان

3

أنشأت الإذاعة السودانية عدداً من الإدارات والأقسام الرئيسية والمتخصصة، مهمتها إعداد وإنتاج البرامج المختلفة. وكل قسم من هذه الأقسام والإدارات تقع عليه مسؤولية إعداد الهيكل التابع له، وتنسيق المواد الإذاعية التي تعد تحت إشرافه قبل أن تخرج للمستمعين في صورتها النهائية. وكل إدارة من هذه الإدارات بها عدد من الإذاعيين المدربين على أداء العمل الذي تنتجه الأقسام المختلفة. ففي حين أن بعض الإدارات لها جوانب تقنية كالإدارة الهندسية، نجد أن

هنـاك إدارات ذات طبيعـة إنتاجيـة تعمـل علـى خلـق البـرامج إعـداداً وتقديماً. ومن ذلك إدارة الدراما والمنوعات، وإدارة الأخبار والسياسـة، وإدارة البـرامج، وغيرهـا. وبعـد أن ينـتج كـل قسـم مـن هـذه الأقسـام والإدارات برامجه يسعى بتفاصيل مواده إلى قسم التنسيق الذي يهيمن علـى توزيـع الوقت لكل البـرامج الإذاعيـة بغض النظـر عـن شـكلها ومضمونها. حيث إنهـا لا بد أن تمر عليه لكي يضعها فـي هيكلهـا اليومي. كما يقوم قسم التنسيق بوضـع الأوقات المحددة لإعادة إذاعة كل حلقة من حلقات هذه البرامج.

ويتوخى موظفو التنسيق وضع البرامج حسب طبيعتها وطبيعة الجمهور المقدمة لـه. حيث لا يمكن وضـع برنـامج الأسرة مـثلاً فـي سـاعات الليل التـي لا تتفرغ فيها الأسرة للمتابعـة، أو برنـامج الأطفال الذي لا يمكن تقديمه أثناء ساعات الدوام المدرسي، وهكذا. ومن خلال الصفحات التالية نقف مع طبيعة العمل الذي تؤديه كل واحدة من هذه الإدارات والأقسام والتي نقسمها على النحو التالي:

- إدارة البرنامج العام.
- إدارة الإذاعات الموجهة والإقليمية والمتخصصـة.
- إدارة الشئون الفنية والهندسية.
- إدارة الشئون المالية والإدارية.

أما الإدارات المتخصصة فهي:

- إدارة الأخبار والسياسة.
- إدارة الموسيقى.
- إدارة التدريب.
- إدارة البحوث والإحصاء الإذاعي.
- إدارة المتابعة.
- إدارة التوثيق والمعلومات.
- إدارة الإنتاج التجاري والاستثمار.
- إدارة الخدمات الإنتاجية.
- إدارة المكتبات.

ولكي نقف على تفاصيل العمل التي تقوم بها كل واحدة من هذه الإدارالت لابد أن نشير أولاً إلى أن هناك تعاوناً كاملاً وتنسيقاً متصلاً بين كل هذه الإدارات فيما بينها. وهذا التنسيق قد فرضته طبيعة البرمجة الإذاعية نفسها، حيث إنها تقتضي ذلك التعاون والتنسيق. وفي نفس الوقت فإن إدارة الإذاعة ظلت تشرف بشكل مباشر أو غير مباشر على أداء كل واحدة من هذه الإدارات من خلال متابعة نواب المدير ورؤساء الأقسام والمشرفين للأداء اليومي. وفي

الجزء التالي نقف على طبيعة ودور كل واحدة من هذه الإدارات أو الأقسام على حده.

إدارة الأخبار والسياسية

منذ أن خلق الله الإنسان على وجه الأرض وهو شغوف بمعرفة ما لا تدركه حواسه العادية. وقد فرضت ظروف الحياة ومشاكلها على النفس البشرية استقصاء المكنونات، واستقراء المجهول، من أجل البقاء. فهذا هو إنسان الغاب يترصد خطا صيده الثمين من أجل وجبة تسد الرمق، ويستخدم أبسط وسائل المعرفة المتاحة له في محيطه المغلق من أجل الظفر به.

ورويداً رويداً تتسع حوله دائرة الحياة، فيصبح التخاطب بينه وبين الآخرين ضرورة، سواء أكان ذلك في محيطه الشخصي الذي لا يتعدى الأم والأبناء والعشيرة، أو في محيط الجماعة التي تسعى لتأمين الحماية من الخطر المتربص بها.

وبالطبع كان الاتصال ضرورياً وحتمياً، رغماً عن بدائية الوسائل المتاحة في تلك الظروف. فتارةً نرى النار المشتعلة في الخلاء تشير إلى قرب الخطر المحدق بالإنسان، وتارةً نسمع الصراخ الذي يرمز إلى استنفار القبيلة للتصدي للخطر الداهم أو ما شابهه. وتمضي مسيرة الزمن، فيصبح الرسول الآدمي قناة اتصال بين مكان

وآخر، أو بين سلطان ورعاياه. ولا يتوقف الكفاح من أجل معرفة الخبر، حتى أطل في سماء الإنسان استخدام وسائل أكثر فاعليةً وسرعةً من سابقاتها، كالحمام الزاجل، والسيارات، والخيول، وغيرها. والغاية في كل الأحوال هي توصيل المعلومة والخبر من مصدر إلى متلقي[82]. وخلال السنوات أصبح الإعلام حقاً لكل إنسان، حسب ما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. وأصبح تدفق الأخبار شيئاً واقعياً من مختلف المصادر، وبشتى الوسائل، حتى أن تلقي الأخبار أصبح من أوجب واجبات الحياة.

الأخبار

ليس أهم من الأخبار في عالم اليوم، لكل بني الإنسان. ولنا أن نتصور شخصاً لا يلتقط الأخبار من أي وسيلة، بمعنى أنه يعيش منعزلاً عما يجرى حوله في العالم، بالطبع إن هذا الإنسان يستطيع أن يبقى على ذلك المنوال، طالما أنه عضو فاعل في المجتمع.

والأخبار هي الوسيلة الواسلة التي توجه الإنسان لمعرفة حوائجه الحياتية اليومية. فصدور الأوامر والقوانين الواجبة الاتباع، وتغيير مواعيد سفر الطائرات أو القطارات أو السيارات، وفتح محلات جديدة للخدمات أياً كان نوعها، واتباع إرشادات صحية بالوقاية من

---

82 أنظر إبراهيم وهبي، الخبر الإذاعي، دار الفكر العربي الطبعة الأولى 1980م.

وباء، أو الإقلاع عن استخدام سلعة ثبت تلفها، أو قرار فتح أبواب الدراسة، أو فتح باب التقديم لأمر من الأمور، أو دخول شهر الصيام، أو ما شابه ذلك من عشرات الأمور التي يمكن إدراكها بغير الأخبار سواء أكانت منقولةً بالراديو أو غيره من وسائل الاتصال يحتاج إلى متابعة الأخبار، رضي الإنسان أم أبى. ذلك لأن أهمية الأخبار أمر حتمي وضروري، ولا يمكن إنكارها لشعب من الشعوب.

وإذا تتبعنا مسار الأخبار بالإذاعة السودانية، نجد أنها كانت الهدف الرئيسي الذي قامت الإذاعة أساساً من أجله. فالإذاعة كما رأينا قد نشأت لأجل أخبار الحرب الدائرة بين الحلفاء ودول المحور، والتي عرفت تاريخياً باسم الحرب العالمية الثانية. حيث ظلت طوال سنوات الحرب ترتع في ميادين القتال مع الجنود، تذيع أخبار انتصارات الحلفاء بقيادة بريطانيا، وهزائم دول المحور بقيادة ألمانيا، وقرارات القيادة العسكرية البريطانية، وتحركات القوات العسكرية عبر شمال أفريقيا ودول حوض البحر الأبيض المتوسط الخ..[83].

كانت نشرات الأخبار هي العنصر الأهم في خدمات الإذاعة طوال تلك الفترة، وظلت إلى يومنا هذا. حيث كانت نشرات الأخبار الرئيسية تعتمد إلى حد كبير في فتراتها الأولى على أسلوب الالتقاط. وكان المذيع نفسه هو المحرر في معظم الأحيان، حتى نشأ قسم

---

[83] راجع صفحة 44 وما بعدها.

الأخبار فيما بعد ليقوم بإعداد النشرات. كان قارئ النشرة يبدأ عمله بالاستماع إلى نشرات الأخبار التي تذيعها إذاعة الشرق الأدنى أو هيئة الإذاعة البريطانية BBC، ثم يكتبها على الورق سواء أكانت مذاعةً باللغة العربية أو الإنجليزية، ثم يقوم بعد ذلك بإذاعتها على الهواء.

ولم يكن إعداد النشرة بالأمر الهين في ذلك الوقت. حيث إن أجهزة الاستقبال Radio لم تكن متطورةً كما هي الآن. ثم إن عملية الإعداد نفسها تمر بعدة مراحل تبدأ بالمتابعة والنقل إلى الورق، ثم الترجمة في حال الأخبار المنقولة بلغة غير العربية، ثم إعادة الصياغة، ثم الطباعة، ثم القراءة على الهواء.

ولما كان ذلك العمل لا يقوم به إلا ذوو الدراية والإلمام الكامل باللغتين العربية والإنجليزية فقد قامت الإذاعة بتعيين شخصيات لها الموهبة والقدرة لتؤدي ذلك العمل الدقيق. في تلك الفترة كانت هناك إذاعة تسمى **(إذاعة الشرق الأدنى)** تبث برامجها من محطة أقيمت على البحر الأبيض المتوسط بجزيرة رودس. وكانت بعد أن تقدم برامجها اليومية ونشراتها المعتادة تذيع نشرةً خاصةً للأخبار بطريقة إملائية[84]، حيث كان مذيعها يقرأ الأخبار كلمةً كلمة وكأنما يمليها

---

84 يس حسن معني، محاضرات غير منشورة عن إعداد الخبر الإذاعي أُعدت لتدريب الإذاعيين الجدد، يونيو 1975م.

على تلاميذ المرحلة الابتدائية. ولم يكن العديد من المستمعين يدركون الغرض من إذاعة تلك النشرة بتلك الطريقة الإملائية. ولكن الحقيقة هي أن تلك الإذاعة كانت تؤدي تلك الخدمة خصيصاً للإذاعات المحلية التي ظهرت بمختلف الدول العربية، والتي لم تكن لها مصادر خاصة للأخبار أو وكالات في بلدانها. حيث جعلت تلك الإذاعة من نفسها مصدراً يومياً للأخبار لتلك الإذاعات، شأنها شأن وكالات الأنباء.

ولذلك فقد ظلت أقسام الأخبار بمختلف الإذاعات العربية تنتظر موعد تلك النشرة الإملائية، فتتابعها وتدونها على الورق بكل سهولة ويسر ثم تعيد إذاعتها لمستمعيها. وقد كانت تلك النشرة الإملائية بالفعل مصدراً مهماً من مصادر إذاعة أم درمان في تلك الفترة استقت منها الكثير من الأخبار خاصةً تلك التي تتماشى مع سياسة الدولة.

وبالمقابل تأثر بعض المذيعين بأسلوب وطبيعة تلك الإذاعة ومذيعيها الذين كانوا يقرأون بذلك الشكل المتفرد. وهذا بالطبع أمر عادي ووارد في مجال العمل الإذاعي في كل أنحاء الدنيا. حيث يتأثر المذيعون في كثير من الأحيان بالأساليب والطرق التي يستمعون إليها من رفقائهم بالإذاعات الأخرى، كما يتأثر اللاحقون منهم بالسابقين ويستمر هذا التسلسل عبر السنوات. وقد ذهب بعض المتابعين إلى أن

تلك الإذاعة كانت تقرأ بتلك الطريقة الإملائية حتى يفهمها المستمعون حديثو العهد بتعلم اللغة العربية. أي كأنما قد سبقت إذاعة صوت أمريكا وإذاعة لندن فيما لجأت إليه في السنوات الأخيرة من إذاعة برامج خاصة موجهة إلى بعض الشعوب حديثة العهد بتعلم اللغة الإنجليزية فيما يسمى بالإنجليزية الخاصة Special English.

وعلى العموم ساعد ذلك الأسلوب في قراءة الأخبار من إذاعة الشرق الأدنى محرري الأخبار بإذاعة أم درمان مساعدةً كبيرة. حيث تمكنوا من متابعة الأخبار بشكل دقيق، وكتابتها ثم إعادة إذاعتها مرةً أخرى من خلال نشرات الأخبار.

بعد ذلك ظهرت أجهزة التسجيل Recorders، فساعدت على تسجيل نشرات الأخبار، ثم إعادة كتابتها واختيار ما يناسب الإذاعة منها. وكانت معظم الأخبار التي تؤخذ من الإذاعات الخارجية هي الأخبار ذات السمة العالمية التي تغذيها بها وكالات الأنباء الكبري مثل رويتر Roeter وتاس Tass وأسوشييتدبرس Associated Press [85].

أما الأخبار الداخلية، فقد كانت تصل إلى محرري الأخبار بالإذاعة عن طريق مكتب السكرتير الإداري، الذي كان يشرف عليه سير **(جيمس روبرتسون)** Sir James Robertson، أحد موظفي الإدارة

---

85 عبد العظيم عوض، الخدمات الأخبارية بالإذاعة والتلفزيون، بحث تكميلي لنيل درجة الدبلوم التخصصي في مادة الإعلام، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، نوفمبر 1983م.

البريطانية بالسودان. وشيئاً فشيئاً بدأ العمل الأخباري يتطور بشكل ملحوظ بازدياد حجم الخدمات وتطور أسلوب التغطية الخبرية للأحداث التي واكبت المراحل المختلفة من خلال العمل السياسي ثم نشأ قسم الأخبار كقسم مستقل وقائم بذاته، وكان ذلك في صيف عام 1956م عام استقلال السودان من قبضة الاستعمار البريطاني.

كان أول رئيس لقسم الأخبار بعد تأسيسه هو الأستاذ (**علي محمد شمو**) ثم خلفه الأستاذ (**أحمد الزبير**)، ثم تولى رئاسته بعد ذلك الأساتذة (**بخيت أحمد عيساوي**)، (**عبد الحميد عبد الفتاح**)، (**التجاني إبراهيم**)، (**محمدورداني حمادة**)، (**حسين أبو العائلة**)، (**فائقة إبراهيم**)، (**عمر عبد المنعم**) ثم (**ميري ماليت**).

وبعد التطور الكبير الذي طرأ على قسم الأخبار في عام 1991م والذي اقتضى دمجه مع القسم السياسي في إدارة واحدة، تولى رئاسة الإدارة الجديدة الأستاذ (**عبد العظيم عوض**) الذي سرعان ما ترك العمل بالإذاعة تاركاً المجال للأستاذة (**فائقة إبراهيم**) حيث انتقل للعمل ملحقاً بسفارة السودان بالقاهرة ثم عاد بعد ذلك إلى السودان لينخرط من جديد في سلك العمل الإذاعي.

إلى جانب هؤلاء الرؤساء الذين كان معظمهم قد تدرج من وظيفة محرر بالقسم، عمل نفر آخر من المحررين بقسم الأخبار. حيث ظل عددهم يتراوح بين عشرة وخمسة عشرة في معظم الأحيان.

ومن هؤلاء المحررين الذين عملوا بقسم الأخبار منذ تأسيسه وإلى اليوم:(علي محمد شمو، أحمد الزبير، بخيت أحمد عيساوي، حمد محمد أحمد، عباس بانقا، الخير عبد الرحمن، التجاني إبراهيم، محمد ورداني، فيصل عريبي، السنوسي إبراهيم، قرشي الطاهر، فائقة إبراهيم، ناصر عبد الرحمن، عبد الله الأمين، عبد الله حسين، محمد كتي، الصادق بخيت [86]، زين العابدين صالح الذي غادر السودان واستقر بمصر ضمن قوى المعارضة لحكومة الإنقاذ 1989م، محمد الطاهر حمدان، ليلى مبارك، عماد الدين مأمون، نور الدين محمد، سيدة سابل، فاطمة إبراهيم، محمد لطيف، جمال الصادق، هادية عبد الغفار عشابي، صلاح محمد أحمد، ميري ماليت، بهاء الدين علي بشير، حسان الشيخ سلامة، وغيرهم). وقد نال معظم المحررين تعليماً جامعياً في كليات الإعلام أو الآداب أو حتى القانون، ثم تدريباً عملياً على فنون تحرير الأخبار وصياغتها في ألمانيا أو مصر[87].

كانت الإذاعة في بدايتها تقدم ثلاث نشرات رئيسية للأخبار، الأولى في الساعة السادسة والنصف صباحاً ومدتها خمس دقائق، والثانية في الساعة السادسة مساءً ومدتها عشر دقائق، والثالثة في الساعة التاسعة إلا ربعاً مساءً ومدتها خمس دقائق.

---

86 انتقل الصادق بخيت من العمل الإذاعي وعُين مستشاراً لرئيس الجمهورية.

87 يتم تدريب الإذاعيين السودانيين وغيرهم من الوافدين من مختلف إذاعات العالم العربي في معهد الإذاعة والتلفزيون التابع لهيئة الإذاعة المصرية في ماسبيرو بالقاهرة.

وازداد عدد نشرات الأخبار فيما بعد، فأصبحت تغطي كل أوقات الاستماع الحية. كما أصبح قسم الأخبار هو الجهة المسؤولة عن إعداد النشرات لجميع الخدمات الإذاعية الموجهة والمتخصصة التي نشأت لاحقاً. وظل قسم الأخبار طوال السنوات من 1974م وحتى 1989م يقدم أربع فترات إخبارية هي:

أولاً/ الفترة الأخبارية الأولى: وتقدم في الساعة السادسة والنصف صباحاً ومدتها نصف ساعة. وهي تتضمن نشرة الأخبار الداخلية والعالمية، ثم التحليل الأخباري، والعناوين البارزة للصحف السودانية اليومية التي كانت في تلك الفترة هي الصحافة والأيام والقوات المسلحة الأسبوعية، ثم تُختتم بموجز لأهم الأخبار التي ترد فيها.

ثانياً/ الفترة الأخبارية الثانية: وتقدم عند الساعة الثالثة بعد الظهر، وتتضمن نشرةً للأخبار الداخلية والعالمية، والتعليق السياسي، والتقارير الصوتية، وأقوال الصحف، وأضواء، ونشرةً للأخبار المحلية، وموجزاً للأنباء في نهاية الفترة التي تستغرق 45 دقيقة.

ثالثاً/ الفترة الأخبارية الثالثة: وتقدم في الساعة الخامسة مساءً، متضمنةً نشرةً للأخبار الداخلية والعالمية، وبرنامجاً سياسياً ظل يتغير

من فترة لأخرى عبر دورات الإذاعة المختلفة. حيث قدمت الإذاعة من خلال هذه الفترة برنامج (**العرض الثالث**)، ثم برنامج (**منبر الصحافة**)، وبعده قدمت فقرة (**التقارير الإخبارية**). وكل هذه الفقرات تُقدم بالتناوب وليست مجتمعة مع بعضها. ثم يقدم في نهاية الفترة كالعادة موجز للأخبار، ومدة هذه الفترة ثلاثون دقيقة.

رابعاً/ الفترة الأخبارية الرابعة: وهي الفترة الأخيرة، حيث تقدم في الساعة التاسعة والنصف مساءاً ثم تحولت فيما بعد لتبدأ في العاشرة. وهي تتضمن نشرةً للأخبار الداخلية والعالمية، وملخصاً للأخبار الداخلية التي أذيعت خلال نشرات الأخبار لكل اليوم. ثم يذاع من خلالها أيضاً برنامج من صحافة العالم، ثم تختم بنشرة موجزة للأخبار. وقد أضيف لها في عام 1984م عرض يومي لأحكام محاكم العدالة الناجزة، وهي المحاكم التي أنشأتها الدولة بموجب قوانين أيلول سبتمبر 1983م الجنائية المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية في فترة حكم الرئيس جعفر نميري. وهذه الفترة مدتها 45 دقيقة. أما نشرات الأخبار العادية فقد ظل قسم الأخبار بالإذاعة يقدم عدداً منها خلال اليوم وهي كما يلي:

- موجز للأخبار في الساعة السابعة والنصف صباحاً.

● نشرة للأخبار المحلية في الساعة العاشرة صباحاً، ما عدا يوم الجمعة حيث تتحول إلى نشرة كاملة للأخبار الداخلية والعالمية.

● نشرة في الساعة الثانية عشرة منتصف النهار تُقدمُ يومياً ما عدا أيام الجمعة [88].

● نشرة في الساعة السابعة مساءً.

● نشرة للأنباء المحلية في الثامنة مساءً وتتضمن أخبار الوفيات.

● نشرة رئيسية في الساعة التاسعة والنصف مساءً تتضمن عرضاً للأخبار الداخلية والعالمية.

● نشرة في الثانية عشرة إلا ربعاً مساءً.

وينظم العمل بقسم الأخبار تقسيم اليوم إلى ثلاث نوبات رئيسية:

- الأولى من الساعة 5 صباحاً حتى الحادية عشرة صباحاً.
- الثانية من الساعة 11 صباحاً حتى الساعة 30 – 5 مساءً.
- الثالثة من الساعة 30 – 5 مساءً حتى نهاية الإرسال.

---

88 تقتصر نشرة الساعة الثانية عشرة ظهراً على الأخبار العالمية فقط إلا في بعض الأحيان التي تطرأ فيها بعض الأحداث فتقدم بها بعض الأخبار الداخلية.

إعداد نشرات الأخبار

لإعداد نشرة الأخبار يقوم المحرر بجمع الأخبار من مصادرها المختلفة قبل وقت كاف، وهذه المصادر هي:(**وكالات الأنباء، وقسم الالتقاط، ومراسلو الإذاعة من مواقع الأحداث**). وبعد أن تتجمع المادة الخبرية لدى المحرر يقوم بفرزها واختيار ما يريد إذاعته منها، ثم يعيد صياغة بعضها وفقاً لأسلوب الإذاعة المتعارف عليه.

وصياغة الأخبار في الإذاعة السودانية، شأنها شأن معظم إذاعات العالم الثالث، تأتي مستلهمةً سياسة الدولة. فعلى سبيل المثال إذا التقط المحرر خبراً من إذاعة صوت أمريكا يقول: (***استقبل الرئيس الأمريكي جورج بوش بمكتبه بالبيت الأبيض رئيس الوزراء الاسرائيلي السيد إريل شارون. وأشاد الرئيس بوش بالحكومة الاسرائيلية وشعب إسرائيل الصديق لدوره في مسيرة السلام في المنطقة***). فقبل إذاعة هذا الخبر من الإذاعة يقوم المحرر بإعادة صياغته، حيث يمكن أن يتحول نصه فيصير كما يلي:

استقبل الرئيس الأمريكي جورج بوش بمكتبه بالبيت الأبيض رئيس وزراء العدو الاسرائيلي إريل شارون. وأشاد الرئيس الأمريكي بحكومة الكيان الصهيوني وبما أسماه شعب إسرائيل الصديق لدوره فيما يسمى بمسيرة السلام في المنطقة.

فالملاحظ هنا أن مضمون الخبر لم يتغير، ولكن إعادة الصياغة أوضحت موقف الإذاعة أو دولة السودان المغاير لموقف الدولة صاحبة الخبر. وبعد تجميع الأخبار من مصادرها المختلفة، وإعادة صياغتها، يقوم المحرر بتحويلها إلى الطابعين Typist، ثم تعود مرةً أخرى إلى المحرر الذي يقوم بترتيبها حسب أهميتها التي تحددها نظم وضوابط معينة لا بد أن يكون كل محرر ملماً بها، وهي ما يسمى بضوابط السياسة الإعلامية.

وفي هذا المجال نجد أن كل دول العالم الثالث، لا سيما الدول العربية، تضع أخبار حكوماتها في صدر نشراتها الإخبارية، مهما كانت أهمية الأخبار التي تأتي لاحقةً لها. وحتى أخبار الحكومات الداخلية يحكمها بروتوكول ونظام داخلي بقسم الأخبار، حيث تبدأ بأخبار رئيس الدولة، ثم نوابه، ثم أعضاء الجهاز التنفيذي حسب ترتيبهم السياسي وهكذا.

وبالطبع فإن هذا الأسلوب ليس موجوداً بالإذاعات ذات الطابع العالمي أو الإذاعات الموجهة للدول الخارجية. وهو أسلوب معيب لا شك. حيث إن المهم للمستمع الحدث الإخباري أكثر من شخص الزعيم أو الوزير.

الترجمة بإذاعة أم درمان

لم يكن في الإذاعة السودانية قسم خاص بالترجمة، وإنما ظل دور الترجمة يقوم به بعض المحررين من ذوي الدراية باللغة الإنجليزية مثل الخير عبد الرحمن وعمر عبد المنعم وطارق أبو الفضل وعبلة محمود بخات وغيرهم من المحررين. حيث يقوم هؤلاء المحررون بترجمة الأخبار من اللغة العربية لكي تذاع من خلال الخدمات المتخصصة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية.

ومن عادة قسم الأخبار أن يسلم النشرة للمذيع المختص بقراءتها قبل ساعة من موعد إذاعتها. وفي بعض الأحيان تقصر هذه المدة إلى بضع دقائق، خصوصاً في فترة أخبار الساعة الثالثة مساءً، والتي يحرص قسم الأخبار على أن تكون دائماً حيةً وجديدةً وسريعة في تغطية آخر الأحداث الدائرة على الساحتين الداخلية والعالمية.

وبعد أن يتسلم المذيع أوراق النشرة، يقوم بمراجعتها وتشكيلها، ثم يذهب بها إلى الأستديو ليقرأها حيةً على الهواء، حيث لا تعرف نشرات الأخبار التسجيل الذي يحدث لبقية البرامج. وقد استخدمت الإذاعة طوال سنواتها أستديو (C) لبث الأخبار.

شعار الأخبار

تذاع نشرة الأخبار في الإذاعة السودانية دائماً مصحوبةً بشعار الأخبار الذي هو عبارة عن مقطوعة موسيقية قصيرة، لا تتجاوز مدتها نصف الدقيقة، تقدم بعد دخول دقات الساعة وإعلان الزمن مصحوباً باسم المحطة. وهذا بالطبع تقليدٌ متبع في معظم إذاعات العالم. وقد كان شعار الأخبار في إذاعة أم درمان في أول الأمر مأخوذاً من إحدى المارشات العسكرية الإنجليزية التي تعود السودانيون على سماعها منذ أيام الاستعمار البريطاني.

وفي عام 1984م صدر قرار بالاتفاق بين وزارة الثقافة والإعلام وإدارة الإذاعة بتغيير ذلك المارش بشعار سوداني هو **(مارش شلكاوي)** أحد المارشات العسكرية التي قدمها سلاح الموسيقى منذ سنوات طويلة. واستمر مارش شلكاوي شعاراً لنشرة الأخبار في الإذاعة حتى عام 1994م. حيث تم استبداله بقطعة موسيقية مأخوذة من لحن أنشودة وطنية ذات طابع إسلامي هي **(في حماك ربنا)**.

البرامج الإخبارية

كما رأينا فإن إذاعة أم درمان ظلت تقدم عدداً من الفقرات الثابتة في فتراتها الإخبارية المختلفة على مدار اليوم. حيث إن هذه الفترات كانت من ابتكار الأستاذ **(محمد خوجلي صالحين)** عندما كان

مديراً للإذاعة. وكان في الأيام الأولى للتجربة يحرص على تقديم فقرات الفترة الأخبارية بنفسه مع عدد من المذيعين يتراوح بين اثنين وثلاثة. وقد بدأت هذه التجربة بنشرة أخبار الساعة الثالثة بعد الظهر. وكانت الإذاعة قبل ذلك تقدم نشرات أخبار عادية، إلى أن بدأ صالحين تلك التجربة في أواخر عقد السبعينيات.

بدأ مع صالحين تلك التجربة في أول يوم لها المذيع عبد الكريم قباني، ثم انخرط فيها بعد ذلك كبار المذيعين. وقد درجت الإذاعة على إعطاء الفترة الإخبارية في الظروف المعتادة مدة نصف ساعة. إلا أنه وفي بعض الظروف الاستثنائية فإن مدة الفترة تزيد إلى أربعين دقيقة وأحياناً إلى ساعة أو أكثر [89]. وتتضمن الفترات الأخبارية بالإذاعة السودانية عدداً من الفقرات الثابتة، والتي تظهر في معظم الفترات، وهي على النحو التالي:

---

[89] من تلك الفترات التي زاد زمنها بشكل ملحوظ فترة أخبار الساعة الثالثة بعد الظهر، والتي قدمتها الإذاعة السودانية يوم الأحد 14 حزيران يونيو 1982م يوم وفاة الملك خالد بن العزيز عاهل المملكة العربية السعودية. حيث استمرت الفترة لساعتين إلا خمس دقائق. وتلتها كأطول فترة أخبارية في تاريخ الإذاعة فترة أخبار الثالثة يوم الثلاثاء 21 تموز يوليو عام 1992م يوم إعلان تحرير مدينة توريت من أيدي قوات الجيش الشعبي بقيادة جون قرنق. حيث استمرت هذه الفترة لمدة ثلاث ساعات كاملة، من الثالثة بعد الظهر حتى السادسة مساءً.

1/ التعليق السياسي

يعتبر التعليق السياسي معبراً عن رأي الإذاعة، الذي هو رأي الدولة بالضرورة. وبالطبع فإن الإذاعة تركز على الجانب السياسي في تعليقاتها لما للسياسة من أهمية خاصة في مجال الخدمات الإخبارية. وللتعليق السياسي أسلوبه الخاص الذي يعتمد على دقة المعلومات وانتقاء العبارات القوية ذات التأثير الفعال على المستمع.

ورغماً عن تضارب مواقف الحكومات التي مرت على السودان خلال الحقب التي أعقبت الاستقلال، إلا أن الإذاعة ظلت تجاري تلك السياسات رغماً عن تباينها. فموقف السودان من مصر وإثيوبيا وبقية دول الجوار على سبيل المثال تأرجح كثيراً بين المودة والجفوة، والوئام والخصام. ولكن الإذاعة ظلت دائماً تعبر في تعليقاتها عن موقف الدولة في كل المراحل.

ولأهمية التعليق السياسي ظلت الإذاعة السودانية تستكتب أشخاصاً معينين يمتازون بجمال الأسلوب والمقدرة على الكتابة والتحليل. وعلى مر السنين استكتبت الإذاعة عدداً من ذوي الخبرة في هذا المجال. ففي أواخر عهد الاستعمار كان أشهر كتاب التعليق السياسي هم: (**محمد أحمد السلمابي، يحيى عبد القادر، ومحمد الخليفة طه الريفي**). وفي مرحلة الاستقلال كان أشهر كتاب التعليق السياسي هم: (**أبو عاقلة يوسف، محمد صالح فهمي، والفريق أحمد**

محمد أول قائد عام للجيش السوداني بعد سودنة الجيش وخروج القادة البريطانيين). والفريق أحمد محمد تقلد منصبه كقائد عام للجيش السوداني في عام 1956م عام استقلال السودان. وقد كان رصين العبارة، بليغ اللفظ، قوي الكلمة حيث أفاض أكثر ما أفاض في تعليقاته السياسية، التي كان يكتبها للإذاعة أيام تفاقم مشكلة حلايب، في عهد رئيس الوزراء السيد عبد الله خليل. ولم يتوقف عن تعليقاته إلا بعد قرار الرئيس جمال عبد الناصر بسحب القوات المصرية من حلايب وتسوية الأمور بين البلدين.

وفي مرحلة الحكومات الوطنية، خصوصاً بعد أيار مايو 1969م كان أكثر كتاب التعليق السياسي للإذاعة هم: **(محمود أبو العزائم)** الصحفي المعروف ومدير عام الإذاعة والتلفزيون فيما بعد، والدكتور **(إبراهيم دقش)** الصحفي القديم، ومدير وكالة الأنباء الأفريقية بانا فيما بعد، والأستاذ **(إبراهيم عبد القيوم)** أحد كبار الصحفيين والإداريين بصيفة الأيام، والأستاذ **(حديد السراج)** [90]، والدكتور **(محمود قلندر)** الذي كان ضابطاً بالقوات المسلحة ورئيساً لتحرير صحيفة القوات المسلحة لسنوات عديدة قبل أن يسافر للولايات المتحدة وينال درجة الدكتوراة في الإعلام، التي تحول بعدها إلى أستاذ

[90] عمل حديد السراج مذيعاً بقسم المذيعين بالإذاعة. ثم عمل بالقسم السياسي لمدة طويلة بعدها انتقل للتلفزيون ليعمل رئيساً للقسم السياسي به، ثم أصبح مديراً للتلفزيون، ثم مديراً لمعهد التدريب الإعلامي، ثم مديراً للإذاعة، ثم أميناً لوزارة الثقافة والإعلام فيما بعد.

بالجامعة في مادة الإعلام وغيرهم. وقد استفادت الإذاعة في كثير من الأحيان من بعض العاملين فيها بالقسم السياسي في كتابة التعليقات، ومنهم **(حسب الرسول بانقا، محمد الكبير الكتبي، الزبير عثمان أحمد، نجم الدين محمد أحمد)** وغيرهم.

وفي كل العهود السياسية التي مرت بالسودان ظل التعليق السياسي يحمل وجهة نظر الدولة المتمثلة في السياسة التي تعلنها الحكومة منذ أول يوم لتوليها مقاليد السلطة. وفي كثير من الأحيان يركز التعليق على أحد الأحداث المهمة التي تحدث بالدولة أو خارجها، فيبين رأي الدولة في الحدث وأسلوب معالجته وما يترتب عليه من توجهات أو قرارات ستتبناها الدولة.

وقد كانت أهم التعليقات التي أوضحت سياسة الدولة والتي بثتها الإذاعة تعليقها على استيلاء اليهود على المسجد الأقصى في عام 1967م، وتعليق الإذاعة في يوم وفاة الزعيم جمال عبد الناصر، وتعليقها يوم إعلان ميثاق طرابلس بين مصر والسودان وليبيا، وتعليقها يوم استيلاء جماعة أيلول الأسود على مقر السفارة الأمريكية بالخرطوم، وتعليقها يوم توقيع اتفاقية أديس أبابا للسلام بين الحكومة وفصائل المتمردين في 3 مارس 1973م. ولعل أشهر التعليقات السياسية التي قدمتها إذاعة أم درمان لفترات طويلة ومنتظمة خلال

تاريخها الطويل هي ثلاثة تعليقات شغلت الرأي العام في أوقات ومناسبات مختلفة، وهذه التعليقات حسب تسلسلها الزمني هي:

أ/ حديث الأربعاء

{لكاتبه أبو عاقلة يوسف}

كان حديث الأربعاء من أخطر الأحاديث السياسية التي قدمتها الإذاعة السودانية في تاريخها الطويل. فقد كان حديثاً قوي العبارة، دامغ اللهجة، يعبر بصدق عن شخصية كاتبه ومقدمه القوية، وذلك لأنه كان يصدر من قلم بارع وصوت جهوري، هو صوت الأستاذ أبو عاقلة يوسف[91].

وقد ظهر حديث الأربعاء كأحد المعالم البارزة في إذاعة أم درمان في عام 1954م، عندما اشتدت المناوشات بين مصر والسودان حول عدد من الأمور السياسية. وكان النزاع قد اشتد في مؤتمر باندونق[92]. حيث كان السودان مشاركاً في ذلك المؤتمر، وممثلاً بوفد على مستوىً عال برئاسة السيد إسماعيل الأزهري. ولم تكن القوات البريطانية قد أكملت انسحابها بعد من أرض السودان التي

---

91 أنظر صفحة 297.

92 انعقد مؤتمر باندونق بأندونيسيا في أبريل 1955م. لتأسيس حركة عدم الانحياز بمبادرة من الرؤساء: اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو، والهندي جواهر لال نهرو، والمصري جمال عبد الناصر.

ظلت مستعمرةً منذ عام 1898م. ولما لم يكن السودان قد أعلن استقلاله الكامل بعد، طلب الرئيس جمال عبد الناصر من هيئة المؤتمر في باندونق أن يكون علم مصر هو المرفوع أمام وفد مصر ووفد السودان، بدعوى أن مصر كانت شريكةً في الحكم الثنائي.

غضب الزعيم إسماعيل الأزهري رئيس وفد السودان، والذي كان قد انتخب لرئاسة الحكومة الانتقالية في انتخابات ديموقراطية حرة من اقتراح الرئيس عبد الناصر وقال: ((**إننا نرفض جملةً وتفصيلاً هذا الاقتراح الذي تقدم به الرئيس عبد الناصر وإذا لم يكن لدينا علم حتى الآن فإنني أطالب سكرتارية المؤتمر أن ترفع أمام وفدنا قطعة قماش بيضاء**)).

انقضت أيام مؤتمر باندونق التأسيسي لحركة عدم الانحياز، ولم يبرح صدى ذلك الحادث يعتمل في نفوس السودانيين، وكان سبباً في تأجيج نيران المناوشات بين السودانيين والمصريين. حيث لم يقبل أبناء السودان ذلك الموقف من الزعيم جمال عبد الناصر، الذي ارتأت فيه معظم القيادات السودانية أملاً جديداً لتوطيد العلاقات بين البلدين بعد الإطاحة بحكومة الملك فاروق وكل ما خلفته من الأحقاد لدى السودانيين بمناداتها بإعلان تبعية السودان للتاج المصري. وتطور الأمر إلى مناوشات وسباب عبر الصحف والإذاعة في كل من مصر

والسودان. حيث كان صلاح سالم [93] يشن حملةً عدائيةً شرسة على كل الأصوات السودانية المنتقدة لمواقف الحكومة المصرية والرئيس عبد الناصر من خلال إذاعة **(ركن السودان)** بالقاهرة التي أنشئت أساساً لتخدم العلاقات الأخوية بين البلدين. وقد ألهبت تلك الشرارة مشاعر القائمين بأمر الإذاعة، فتصدى لها الأستاذ **(أبوعاقلة يوسف)** بتعليقه الأسبوعي الصارخ **(حديث الأربعاء)** الذي كان يسرد الحقائق في مواجهة صلاح سالم. وكانت عبارات حديث الأربعاء تكيل الصاع صاعين لصلاح سالم، الذي لم يملك إزاءها إلا الرد بما هو أقذع وأقسى، مما أجج تلك الحملة المستعرة عبر الأثير.

كان المستمعون من مصريين وسودانيين يترقبون ذلك الحديث الشديد اللهجة أسبوعياً، ويلتقطونه بأنفاس متلاحقة، مما زاد التوتر على جبهة الصراع السياسي بين البلدين.

ولما كانت الإذاعة هي صوت الضمير الحي، ومنبر الشعور المتوقد وداعية الوفاق الأبدي، فما كان من الأستاذ أبو عاقلة الذي أجج نيران تلك الحملة إلا أن بدأ بمخاطبة صوت العقل في الحكومة المصرية، وبدأ يتحدث بلهجة فيها الكثير من الدعوة للعمل على تحقيق مصلحة العلاقات الحميمة وحسن الجوار بين الشعبين. فما كان

93 الصاغ صلاح سالم هو وزير الإرشاد القومي في حكومة جمال عبد الناصر الأولى، وهو المسؤول عن شئون السودان داخل الحكومة المصرية.

من الرئيس جمال عبد الناصر إلا أن أصدر قراراً بإبعاد الصاغ صلاح سالم الذي قاد تلك الحملة. فتوقفت على الفور الحملة الإذاعية بعد ذلك القرار، وعاد الوئام على طيات الأثير. كان حديث الأربعاء من البرامج الإذاعية القوية التي أسهمت في إزكاء الحس الوطني لدى قطاعات المستمعين. وأسهم في وضع اللبنات القوية للاستقلال. وكان كثيراً ما يدعو للانعتاق التام من ربقة الاستعمار، مع الارتباط القوي مع مصر، دون تبعية لها، كما كان ينادي بذلك رئيس الوزراء صدقي باشا من داخل سرايا القصر الملكي قبل اندلاع ثورة تموز يوليو 1952م. وظل حديث الأربعاء داعياً لتحكيم صوت العقل وبناء الوئام في كثير من المنتديات.

ب/ العقيد (معمر القذافي)

{لكاتبه سعد الدين جلال}

كان هذا التعليق الخاص، من التعليقات السياسية القوية التي قدمتها الإذاعة في عام 1976م، إبان فترة حكم الرئيس جعفر نميري. وكان مقدم التعليق هو الأستاذ **(سعد الدين جلال)** أحد الذين تعاونوا مع الإذاعة السودانية من خارجها حيث كان موظفاً حكومياً خارج وزارة الثقافة والإعلام. كان يعتمد في تعليقه على تفنيد أقوال الرئيس **(معمر القذافي)** التي سبق أن أدلى بها في الخرطوم أيام زيارته لها مع

الرئيس جمال عبد الناصر، بعد توقيع ميثاق طرابلس، الذي جمع بين الدول الثلاث؛ ليبيا ومصر والسودان في دولة اتحاد واحدة [94]. حيث كانت تلك الأقوال قد أخذت من خطب طويلة ألقاها العقيد وسط حشود من الجماهير السودانية التي خرجت لاستقباله بالمطار أو في ساحة القصر الجمهوري. وقد كانت في مجملها تمجد حكومة مايو وتفند مزاعم الرافضين لها. كما كانت تلك الخطب تؤكد عمق العلاقات بين الشعبين الليبي والسوداني، وتمجد حركة الضباط الأحرار التي أوصلت جعفر نميري للسلطة في مايو 1969م.

وفي حقيقة الأمر كان هناك تشابه كبير بين حركة العقيد القذافي وحركة جعفر نميري من حيث تقارب التوقيت والأطروحات السياسية لدى كليهما. حيث كان القاسم المشترك بينهما تبني واستلهام أطروحات الزعيم عبد الناصر في بناء الوحدة العربية. ولكن تلك العلاقات ما لبثت أن تدهورت بين الجماهيرية الليبية والسودان إلى درجة النزاع المسلح في بعض المراحل.

أدى ذلك التنازع إلى إيواء الزعيم القذافي وحدات المعارضة لنظام نميري ممثلةً في رجال الجبهة الوطنية التي ضمت حزب الأمة والحزب الاتحادي الديموقراطي وجبهة الميثاق الإسلامي، وبعض الوطنيين الذين انخرطوا في سلك تلك الجبهة المسلحة التي قادت

---

94 هو ميثاق للوحدة بين مصر والسودان وليبيا. وكان شعاره (قوة، إشتراكية، وحدة).

انقلاباً في يوم الجمعة 2 تموز يوليو عام 1976م أطلق عليه رجال التوجيه المعنوي اسم الغزو الأجنبي، وأطلقوا على منفذيه اسم المرتزقة لكي يسهل الانقضاض عليه. وقد تمكن رجالُ التوجيه المعنوي بتدبير من (**محمد محجوب سليمان**) مسؤول التوجيه المعنوي آنذاك وعقل نميري المدبر فيما بعد من إقناع الشارع والرأي العام بأنَّ ذلك غزوٌ أجنبي. وقد كان ذلك الانقلاب بقيادة العميد (**محمد نور سعد**)[95].

كل ذلك قد دعا الإذاعة لتبني ذلك التعليق السياسي. حيث استنفرت الدولة آنذاك كل أجهزة الإعلام في حملة قوية ومنتظمة ضد شخصية العقيد معمر القذافي وحكومته. وكان ذلك التعليق واحداً من إفرازات تلك الحملة. وقد استمر لمدة طويلة بلا انقطاع، حتى هاجر مقدمه إلى دولة اليمن، فتوقف عن البث.

وفي تلك الفترة ثارت الشائعات بأن العقيد كان يدبر لاغتيال مقدم التعليق. وكانت تلك الشائعات مؤشراً واضحاً لقوة تأثيره. ولم يكن ذلك التعليق يقدم من خلال الفترات الإخبارية اليومية كبقية التعليقات، وإنما كان يذاع كفقرة مستقلة قائمة بذاتها تحت إشراف القسم السياسي. وكان يذاع في فترات الإذاعة الحية، ثم تعاد إذاعته في اليوم التالي.

---

95 كانت العلاقات السياسية بين حكومة العقيد القذافي وحكومة جعفر نميري قد وصلت إلى أسوأ حالاتها في تلك الفترة، وتفاقمت بعد اتهامات السودان لليبيا بالتورط في ما سُمي بحركة المرتزقة التي دعمتها الجبهة الوطنية المكونة من حزب الأمة والحزب الاتحادي الديموقراطي وجبهة الميثاق الإسلامي لتغيير نظام حكم نميري بالمواجهة المسلحة.

وقد دخل ذلك التعليق التاريخ كأحد الأعمال الإذاعية ذات الأثر الواضح في حينها.

ج/ الحديث السياسي

{لكاتبه يونس محمود}

يعتبر هذا التعليق واحداً من أخطر وأشد ما قدمت الإذاعة السودانية في مسارها الطويل. وهو قد بدأ في يوم 15 تموز يوليو 1989م بعد مجيء حكومة الإنقاذ إلى السلطة. ومقدمه (**الرائد يونس محمود**) أحد الضباط الشباب بالقوات المسلحة. ويتناول هذا التعليق جميع الأمور المطروحة على الساحة السياسية السودانية والعربية والإسلامية.

يلجأ المعلق في أسلوبه القوي إلى تضمين تعليقه الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم وبعضاً من عيون الشعر العربي القديم، حيث يقوم بتوظيف النصوص بشكل فني دقيق لخدمة الأهداف السياسية. وتتبع أهمية هذا التعليق من أنه جاء في زمان تفاقمت فيه الصراعات السياسية بين السودان والعديد من الدول الأجنبية والمجاورة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ومصر والسعودية ودول الخليج. وبالمقابل نمت علاقات السودان بدول أخرى كليبيا وتشاد والصومال وإثيوبيا التي ما فتئت أن قلبت ظهر

المجن لنظام الحكم في السودان، واصفةً إياه بعرقلة مسيرتها السلمية وتأييد الجماعات المنشقة عن الحكم في إثيوبيا وإيواء ثلاثة أشخاص متهمين في محاولة اغتيال الرئيس المصري محمد حسني مبارك إبان انعقاد مؤتمر القمة الأفريقي بأديس أبابا في شهر حزيران يونيو 1995م.

ولعل كل هذه الأحداث والمستجدات السياسية التي طرأت بعد حرب الخليج وغيرها قد أكسبت هذا التعليق أهميةً خاصة. حيث أصبح الناس يتابعونه بشكل منتظم، رغم أن بينهم من ينتقده أشد الانتقاد حتى من داخل النظام السياسي وقبة البرلمان ومجلس الوزراء، مما أدى في النهاية إلى إيقافه نهائياً.

لقد ساعد في قوة هذا التعليق السياسي حجم الحرية غير المحدود الذي تمتع به كاتبه يونس محمود في رسم المواقف وتحليل الأحداث السياسية للدرجة التي أحس فيها الكثيرون أن هذا التعليق يعمل ضد أهداف الدولة المعلنة، واتهم أحياناً بأنه يقوض ما تبنيه الدبلوماسية الرسمية.

وعلى العموم ظل هذا التعليق، رغم اختلاف الآراء حوله أحد المعالم البارزة في خدمات الإذاعة السودانية في المرحلة الأخيرة التي أعقبت مجيء حكومة الفريق البشير إلى السلطة. وحتى أن بعض رؤساء الدول المجاورة قد أبدوا امتعاضهم من هذا التعليق اللاذع الذي

طال كراسيهم وسب شخصياتهم بشكل علني ما كان يحدث في الماضي، بل ولم يكن متصوراً أن يكون.

2/ أضواء

هي عبارة عن برنامج أخباري في حدود خمس دقائق يركز على أحد المواضيع التي تؤثر في السياسة الدولية. ويتم تسليط الضوء عليها وفقاً لملابسات الحدث وتطوراته وما يدور حوله في مختلف الدول والأنظمة. ومن أهم الأحداث التي تناولها البرنامج مشكلة الشرق الأوسط، معاهدة كامب ديفيد، حرب الفوكلاند، اجتياح جنوب لبنان، مشكلة الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا، حرب الخليج، النظام العالمي الجديد، الغارات الأمريكية على ليبيا، تفكك يوغسلافيا، انهيار الاتحاد السوفيتي، الغارات الصربية على البوسنة، تسليم الإرهابي كارلوس بواسطة حكومة السودان لفرنسا، وصول كابيلا إلى الحكم في زائير وخروج موبوتو سيسي سيكو، وغيرها من الأحداث الساخنة التي تجري بشكل يومي في كل أنحاء العالم.

والاختلاف بين برنامج أضواء والتعليقات السياسية أن أسلوب الطرح في أضواء يعتمد على التحليل أكثر منه على إبداء الرأي، ثم إن أضواء تتناول دائماً الأحداث العالمية في حين يهتم التعليق السياسي بالشئون الداخلية في معظم الأحوال. وأضواء بطبيعته لا

يعبر بالضرورة عن رأي الإذاعة أو رأي الحكومة القائمة مهما كان شكلها، وإنما هو خدمةٌ تحمل في كثير من الأحيان وجهة نظر كاتبه، شريطة أن تكون موضوعية وجادة وبها عرض موثق للمعلومات والأحداث التي يتناولها.

3/ أقوال الصحف

تهتم هذه الفقرة الخبرية بعرض ما تكتبه الصحف الحكومية اليومية من أخبار وتعليقات وتقارير. وهذا العرض يكون ملخصاً لبعض ما يختاره محرر القسم السياسي من المواضيع المطروحة بصفحات الجرائد المحلية. وغالباً ما يكون اختيار المواضيع حسب أهميتها السياسية والدور الذي تلعبه في الشارع العام. وهي في ذلك تكمل دور النشرة الأخبارية والتعليق السياسي.

لجأت الإذاعة في عام 1979م إلى نقل بعض المواضيع ذات الطابع الاجتماعي والثقافي وأذاعتها من خلال عرض الصحف. حيث اتخذ رئيس القسم الأستاذ حمزة مصطفى الشفيع قراراً بعرض تلك المواضيع لأهميتها للمستمع. وبرر ذلك القرار بأن دور هذه الفقرة (أقوال الصحف) أن توصل الصحيفة إلى الأماكن التي لا تصل إليها، والصحيفة ليست كلها سياسة وإنما هناك مواد اجتماعية وفكرية قد تفوق أهميتها أهمية التحليل السياسي. إلا أن ذلك الأمر سرعان ما

توقف تحت ضغوط المسؤولين الذين رأوا فيه خروجاً على المألوف في تلك الفقرة، وليتهم ما فعلوا، حيث عادت الآن معظم الإذاعات الكبيرة كإذاعة لندن وصوت فرنسا وغيرها إلى تقديم مثل تلك المواضيع من خلال عرض الصحف، وكانت إذاعة أم درمان قد سبقتها إلى ذلك بسنوات طويلة.

ويتراوح طول أقوال الصحف بين خمس وعشر دقائق، وهي تقدم ضمن الفترات الأخبارية المختلفة. إلا أن هذا الطول ليس ثابتاً، حيث وصلت في بعض الأحيان إلى ما يزيد عن الربع ساعة. أما في الفترة الصباحية فقد كانت الإذاعة تقدم العناوين البارزة لبعض الصحف الرئيسية دون الخوض في تفاصيل أعمدتها أو تعليقاتها.

4/ التقارير الصوتية

هي إحدى المواد الأخبارية التي تذاع في شكل توسيع نقاط أو توضيحات حول حدث من الأحداث الجارية على الساحة أو موضوع بعينه. ويتحدث فيه أحد المسؤولين أو المختصين بصوته للإذاعة. وهذه الفقرات يعدها ويسجلها قسم الأخبار الصوتية التابع لإدارة الأخبار والسياسة. ويكون التقرير الصوتي قصيراً في حدود دقيقتين أو ثلاثة على أطول تقدير.

/5 التحليل السياسي

هو شكل من أشكال التعليق السياسي، من حيث إنه يحمل وجهة نظر محددة، ويطرق موضوعات بعينها، تندرج تحت الإطار السياسي المؤثر في سياسة الدولة. وهو يعتمد على استقصاء الحدث السياسي وتوضيح أبعاده ومراميه وأهدافه. وفي معظم الأحيان كانت الإذاعة السودانية تعهد بكتابة هذا التحليل لأحد المختصين في مجال الكتابة السياسية شأنه شأن التعليق السياسي.

والملاحظ أنه في بعض الفترات كان القسم السياسي لا يفرق كثيراً بين التعليق والتحليل السياسي. حتى أن إدارة القسم كانت في بعض الأحيان تتسلم التعليق من كاتبه فيسجله المذيع على أساس أنه تحليل سياسي والعكس. وكان أكثر التحليلات السياسية قوةً ورصانةً ما ظلت تذيعه الإذاعة السودانية خلال الجزء الأول من عقد الثمانينات، والذي كان يكتبه الوزير الراحل محمد محجوب سليمان في الصحف تحت عنوان **(المحرر السياسي)** أيام حكومة جعفر نميري.

/6 رسائل المندوبين والمراسلين

رسائل المندوبين أو المراسلين عرفت في كل إذاعات العالم، وهي عبارة عن تقارير حية يعدها مندوبو ومراسلو الإذاعة المنتشرون في أماكن مختلفة. وفي الإذاعة السودانية درج المحررون على

تسميتها في بعض الأحيان برسائل الأقاليم نسبةً لأنها ترد من أقاليم السودان المختلفة. وفي هذه الأحوال كانت الإذاعة تعتمد على بعض المراسلين العاملين في مكاتب الإعلام الإقليمية، الذين يبعثون برسائلهم الصوتية عبر الهاتف من خلال خط مخصص لهذه الخدمة يحمل الرقم (90)، وقد ظل هذا الخط متصلاً بجهاز تسجيل خاص في قسم الإدارة الهندسية التي تقوم باستلام الرسائل أثناء ساعات العمل اليومية وتسجلها، ثم تسلمها لإدارة القسم السياسي، الذي يطلع على محتوياتها، ثم يقرر مدى صلاحيتها للبث، ومن ثم يسلمها لقسم الأخبار الذي يضعها ضمن الفترة الإخبارية المحددة.

تعاملت إذاعة أم درمان طوال مسيرتها مع عدد من المراسلين من خارج إطار العاملين بها. حيث إنها ظلت تقدم كثيراً من الخدمات التي تتعلق بالأقاليم المختلفة أوبالمواطنين السودانيين الذين يعيشون خارج حدود السودان. مما استدعى وجود مراسلين أو مندوبين يتابعون الأنشطة المختلفة، ويمدون الإذاعة بالأخبار التي تحتاجها من تلك الأماكن. وقد لجأت الإذاعة لمكاتب الإعلام الإقليمية المنتشرة في عواصم الولايات والمحافظات وعينت بعض العاملين بها من ذوي الدراية كمراسلين للإذاعة.

ساعد على ذلك كون هؤلاء المراسلين قد تدربوا أصلاً في الإذاعة الأم لفترات مختلفة. حيث جرى العرف على ابتعاث عدد من

إعلاميـي مكاتـب الإعـلام الفرعيـة لينـالوا قسـطاً مـن التـدريب العملـي بالإذاعة في مجال إعداد الأخبار وصياغتها وقراءتها ثم تسجيلها على الأشرطة وإرسالها بالبريد أو عن طريق التلفون لتذاع من أستديوهات الإذاعة.

وقد ظهر من خـلال تلك الرسـائل عدد من المراسلين الذين يعملـون بمكاتـب الإعـلام مثـل عبـد المـنعم الكتيـابي بـإعلام عطبـرة، عوض محمداني بإعلام الأبيض وغيرهم. أما في حالـة إقامـة بعض المناسبات المهمـة في العواصم أو المدن المختلفة فقد درجت الإذاعـة على إرسال مندوبين من مذيعيها ليكونوا مرافقين للبعثات الرئيسية التي تقوم بتغطية الحدث من موقعه.

وأكثر ما ظلت تغطيه الإذاعـة فـي هذه الأمـاكن هو زيـارات رئيس الدولة أو كبار المسؤولين، وإقامة الأعياد القومية ببعض المدن، ومشاركة الولايات في مؤتمراتها المختلفة واحتفالاتها بأعياد الحصـاد أو المواسم الزراعيـة أو الدينيـة، أو اللقـاءات التـي يـتم فيهـا الصـلح بـين المتحاربين، وغيرها من المناسبات.

ومن خلال هذه التغطيات فقد دخل مايكروفون الإذاعة جميع مدن وقرى السودان بـلا استثناء نـاقلاً أفراح وهموم النـاس أينمـا كـانوا وكيفمـا كـانوا. وفـي مثل هذه المناسبات ظل مندوبو الإذاعـة يحملـون معهم أجهزتهم من مسجلات الناقرا وأجهزة خلط الصـوت Mixer لنقل

الأحداث من مواقعها. وكثيراً ما يلجأ المندوبون في الرحلات الخارجية إلى خطوط التلفون المباشرة لبث رسائلهم وموادهم الإذاعية التي يقومون بإعدادها في تلك الدول.

وفي السنوات الأخيرة بدأت الإذاعة السودانية ترسل وفوداً بشكل منتظم إلى بقاع السودان المختلفة يسجلون العديد من المواد الإذاعية من مواقع الأحداث، ويجرون اللقاءات من الشخصيات السياسية والفنية من كل بقاع السودان. وذلك بغرض عكس التطورات التي تحدث في البلاد نتيجةً لتطبيق النظام اللامركزي والفدرالية، مما أفرز عدداً من المؤسسات والأنظمة التي استدعت تكثيف العمل الإعلامي وعكس ما يدور فيها للمستمع.

وقد ساعد إرسال تلك الوفود في إثراء مكتبة الإذاعة بعدد من المواد التراثية والثقافية من مختلف المدن. حتى أن مدير الإذاعة في عام 1983م أمر جميع المندوبين الذين يسافرون إلى الأقاليم أن يسجلوا الأذان بأصوات المؤذنين المنتشرين في بقاع السودان المختلفة. وكانت النتيجة أن حصلت الإذاعة في وقت وجيز على تسجيلات للأذان بأصوات ثلاثين مؤذناً، مما شجع على بث نداء الصلوات بأصوات مختلفة طوال شهر رمضان لذلك العام والأعوام التي تلته. وقد حرصت إدارة الإذاعة في معظم المراحل على اختيار مندوبيها من الأشخاص الذين لهم إلمامٌ بالعمل الإذاعي سواءٌ من

خلال الاحتكاك المباشر أو التدريب اللاحق. ولذلك كان معظم الإذاعيين الذين عملوا في هذا المجال من ذوي الكفاية والدراية والمقدرة على تغطية الأحداث بل والاستعداد للابتكار في مجال العمل الإذاعي. حيث اشترطت أن يتمتع المندوب بالحاسة الخبرية، والشخصية القوية التي تمكنه من الحصول على المعلومات، وإمكانية الوصول إلى مصادرها. وقد وضعت الإذاعة الشروط التالية لاختيار المناديب:

1/ المقدرة على ملاحقة الشخصيات السياسية المهمة.

2/ المقدرة على الحوار مع الشخصيات الأجنبية المهمة التي تزور البلاد أو تزورها وفود من السودان.

3/ إجادة اللغة العربية كتابةً ونطقاً.

4/ المعرفة التامة بالمكاتب والمؤسسات الحكومية المهمة خصوصاً تلك التي تستقي الإذاعة منها أخبارها ومعلوماتها كالقصر الجمهوري ودار البرلمان ومجلس الوزراء والوزارات والوكالات المختلفة.

وإذا كان هذا هو المندوب فإن المراسل الإذاعي يؤدي نفس المهمة. إلا أن الفارق يظهر في التسمية، حيث إن المراسل غالباً ما يكون خارج البلد الذي تعمل فيه الإذاعة. وكثيراً ما يكون هذا المراسل

خارج نطاق الدولة ذاتها. إلا أن هذا النمط من المراسلين لم تتعامل معه الإذاعة السودانية إلا في بعض الحالات النادرة. حيث كانت في أيام الإدارة البريطانية تستقي بعض الأخبار عن طريق أولئك المراسلين. وذلك لأن الدولة نفسها كانت تستقي قراراتها السياسية والعسكرية وغيرها من خارج حدود الوطن. وكان يشترط فيمن يتصدى لعمل المراسل ما يلي:

1/ أن يكون ملماً بلغة الدولة التي يراسل منها.
2/ أن يكون واسع الاطلاع وملماً بشئون البلد الذي يعمل فيه.
3/ أن تكون له علاقات واتصال بجهات صنع القرار.
4/ أن تكون لديه المقدرة على سرعة الحركة والاتصال.
5/ أن يكون ملماً بفن التحرير الإذاعي والكتابة والإلقاء.

6/ مداولات البرلمان

لقد ظلت الإذاعة تنقل مداولات البرلمانات السودانية في مختلف مراحلها لمستمعيها بشكل منتظم دون تحيز لأي واحدة من الكتل السياسية المتصارعة داخل البرلمان. وكانت البداية هي نقل جلسات البرلمان الأول، الذي شهدت جلساته إعلان الاستقلال. وكان شكل الانتقال في بداية الأمر يتم عن طريق تلخيص الجلسات

وإذاعتها للمستمع، ثم تطور الأمر بنقل مايكرفون الإذاعة إلى داخل القاعة ونقل الجلسات حيةً على الهواء. وعندما ظهر أن المداولات تأخذ وقتاً طويلاً في كثير من الأحيان تقرر تسجيلها على أشرطة كبيرة ثم تذاع في أوقات لاحقة. في هذه المرحلة بدأت عمليات الحذف والإلغاء لبعض الفقرات تأخذ طريقها إلى أشرطة الإذاعة.

وأكثر ما كان الحذف يمارس في فترة مجلس الشعب الذي أقامته حكومة مايو 1969م. حيث كانت هناك بعض الملاحظات من وزير الثقافة الذي هو الناطق الرسمي باسم الدولة، فكان يصدر بعض الأوامر بعدم إذاعة بعض الفقرات من المداولات التي يرى أنها ضارة بسياسة الدولة.

ولما جاءت فترة الليبرالية الثالثة والتي بدأت في شهر أبريل عام 1986م تقرر عدم إذاعة مداولات الجمعية التأسيسية، والاكتفاء بالتلخيص الإخباري لما يدور في أروقتها لإذاعته من خلال نشرات الأخبار اليومية لا سيما النشرات التي تذاعُ في فترات المساء. وحتى هذا الأمر ظل عرضة لتدخلات بعض وزراء الثقافة الذين تعاقبوا على الوزارة في تلك الحقبة.

ونفس الشيء قد حدث لمداولات المجلس الوطني الانتقالي الذي كونه الفريق عمر البشير ثم المجلس الوطني المنتخب في 1995م، حيث ظلت كثير من المداولات لا تجد طريقها للإذاعة التي

تكتفي بتلخيص ما يدور في المجلس وإذاعته حسب الأهمية وحسب سياسة الدولة من خلال الأخبار والبرامج السياسية المختلفة.

قسم التقاط الأخبار

كما أشرنا من قبل فإنَّ قسم التقاط الأخبار بالإذاعة قد انفصل من قسم الأخبار وأصبح قسماً قائماً بذاته. وكان يسمى في بداية تكوينه **(قسم الاستماع_السياسي)** ثم تحول إلى **(قسم الالتقاط)**. وهو يمثل واحداً من أهم المصادر التي تعتمد عليها الإذاعة في تلقي الأخبار العالمية من خلال متابعة الإذاعات العالمية والأجنبية المختلفة. حيثُ تنحصر مهمة هذا القسم في الاستماع للإذاعات المختلفة وفقاً لجدول زمني تضعه إدارة القسم، ويحوي مواعيد بث نشرات الأخبار الرئيسية في كل إذاعات العالم الكبرى.

بعد ذلك يأتي دورُ موظف القسم الذي يقوم بالاستماع لكل تلك النشرات في مواقيتها المحددة، وتسجيلها أثناء بثها على الهواء، عن طريق أجهزة التسجيل الدقيقة التي زود بها القسم. وهي متصلة اتصالاً مباشراً بأجهزة الاستقبال **(الراديو)** الحديثة التي تلتقط جميع الإذاعات بكفاءة عالية. وبعد ذلك يقوم الموظف الذي استمع للأخبار بتفريغها كاملةً من الشريط على الورق دون تغيير أي شيء من مضمونها. ثم بعد ذلك يسلمها لقسم الأخبار الذي يقوم بعملية الاختيار

وإعادة الصياغة. وعملية تفريغ الأخبار على الورق ليست بالعملية السهلة، حيث تعتمد على سرعة الكاتب واستخدام نظام التوقيف المؤقت Pause لتفريغ النص كلمةً كلمة. ويستخدم العاملون سماعات الأذن Head Phones لمتابعة الأخبار. ويحرص جميعُ موظفي قسم الالتقاط على كتابة عدد من البيانات في ذيل كل خبر يلتقطونه من خلال متابعتهم للإذاعات المختلفة، وهي على النحو التالي: 1/ اسم المحطة، 2/ وقت إذاعة الخبر، 3/ اسم المحرر والطابع، 4/ المادة المذاعة، 5/ تاريخ بث المادة، 6/ اسم الناسخ [96].

ويعتبر قسم الالتقاط الممون الرئيسي لقسم الأخبار بما يتوفر لديه يومياً من حصيلة وافرة من الأخبار العالمية من مصادرها الحقيقية، وهي الإذاعات الوطنية أو العالمية. ويبقى تقويم مصداقية كل خبر حسب مصدره والجهة التي أذاعته أو صنعته ومدى تقدير الإذاعة لها أو حاجتها لبث هذا الخبر أو ذاك. ويعمل بقسم الالتقاط موظفون فنيون يؤدون عملهم عن طريق نوبات العمل. كان أقدمهم في هذا المضمار (**يوسف مبروك، ومحمد سعيد يوسف، ويوسف أبو بكر، وسيد أحمد عثمان**).

وتبدأ النوبة الأولى لقسم الالتقاط مع بداية الإرسال عند الخامسة صباحاً وتستمر حتى الحادية عشرة صباحاً. والنوبة الثانية

---

96 الناسخ هو المحرر الذي يلتقط الخبر ويقومُ بتسجيله ثم كتابته على الورق.

من الحادية عشرة والنصف صباحاً إلى الخامسة والنصف مساءً. والنوبة الثالثة من الساعة الخامسة والنصف مساءً إلى نهاية الإرسال في الساعة الواحدة من صباح اليوم التالي.

وكانت هناك نوبة رابعة للقسم يعمل فيها الموظف بعد ختام الإرسال ويقضي ليلته بالإذاعة حتى الصباح. إلا أن هذه النوبة قد ألغيت في عام 1972م بدعوى أنها ليست ذات جدوى، ويمكن الاستعاضة عنها بالنوبة الصباحية.

وفي عام 1983م تم تدعيم القسم باثنين من فنيي الطباعة يقومون بطباعة الأخبار وتوزيعها في شكل نشرةBuletin مختصرة توزع على بعض الجهات كقسم الأخبار بالتلفزيون، ومدير الإذاعة، ومدير الهيئة، والقسم السياسي وغيرها من الجهات التي يحددها مدير الإذاعة. وشمل جدول الإذاعات التي يتم التقاط الأخبار منها منذ تأسيس القسم وإلى اليوم المحطات الآتية:

إذاعة صوت العرب/ الساعة 30:12 ظهراً.

إذاعة القاهرة/ الساعة 6 صباحاً – 30:1 ظهراً – 4 مساءً.

إذاعة الكويت/ الساعة 7 صباحاً – 12 ظهراً – 3 مساءً – 7 مساءً – 9 مساءً.

إذاعة المملكة العربية السعودية/ 6 صباحاً – 30 :1 ظهراً.

إذاعة صوت أمريكا/ الساعة 9 مساءً.

إذاعة دُبَيْ/ الساعة 3 مساءً.

إذاعة الدوحة/ الساعة 30 – 5 صباحاً – 30 – 5 مساءً.

إذاعة لندن/ الساعة 3 مساءً – 6 مساءً.

إذاعة مونت كارلو/ الساعة 7 مساءً.

إذاعة إسرائيل/ الساعة 9 مساءً [97].

وبهذا فإن قسم الالتقاط ظل يغذي نشرات الأخبار الرئيسية بالإذاعة بالأنباء العالمية بنسبةٍ تزيد على 90% يومياً. ولم يحدث أن أذيعت نشرة رئيسية للأخبار دون أن يكون لقسم الالتقاط نصيب الأسد فيها منذ نشأته وإلى اليوم. وهو بذلك يشبه وكالة أنباء مصغرة لا تتوقف عن التعامل مع الأخبار طوال ساعات الليل والنهار.

وحدة الأخبار الصوتية

نشأت وحدة الأخبار الصوتية مستقلةً في البداية، ثم ما لبثت أن أدمجت في القسم السياسي. وظلت وحدة الأخبار الصوتية تمارس

---

[97] يتم التقاط الإذاعة الاسرائيلية رغماً عن عدم وجود أي علاقات بينها وبين السودان، وذلك بغرض متابعتها والوقوف على ما تذيعه من أخبار معادية للعالم العربي والإسلامي، خصوصاً قبل مبادرات التطبيع التي قامت بها بعض الدول العربية قبيل وبعد حرب الخليج.

دورها في مد الفترات الأخبارية بالتقارير التي تسجل حيةً من مواقع الأحداث بأصوات المسؤولين. كما كانت تسجل المقابلات القصيرة التي تغطي حدثاً من أحداث الساعة أو موضوعاً يشغل الرأي العام في السودان.

وظل يرأس هذه الوحدة منذ تأسيسها الأستاذ الراحل **(حمزة مصطفى الشفيع)** الذي أسسها ووضع لها لبنات البداية، واستقطب لها عدداً من الإذاعيين الشباب حتى أصبحت جزءاً من الإدارة السياسية التي ترأسها حمزة الشفيع لفترة من الزمان، ثم تخلى عنها لبعض الظروف التي غيرت كل هياكل الإدارة بالإذاعة خلال عامي 1992/91م وما تلاهما.

وقد عمل في هذه الوحدة منذ بداية إنشائها عبد المنعم إسماعيل شيبون، يعقوب الفضل، عبد الحميد إبراهيم، حمزة فضل الله الذي تخلى عن العمل الإذاعي بعد حصوله على درجة البكلاريوس في الطب وانخرط في مجال العمل الطبي، علي حمودة الطاهر الذي ترك العمل الإذاعي ليدخل مجال العمل الحر بمدينة أم درمان، عادل الطيب الذي ترك العمل الإذاعي وانتقل إلى كلية الشرطة ثم تخرج ضابطاً برتبة نقيب في عام 1978م، الصادق يحيى الذي ترك العمل الإذاعي ودرس هندسة الطيران ثم التحق بشركة الخطوط الجوية السودانية ليصبح واحداً من المهندسين العاملين بها حتى انتقاله إلى

الخليج في 1997م، جمال السماني، عوض إبراهيم عوض الذي ترك العمل بالإذاعة وسافر إلى دولة ماليزيا التي بدأ منها عمله كأستاذ جامعي في مجال الإعلام، وفاء أبارو، عبد الحميد إبراهيم، كرم الله حسين، عاطف أحمد الذي ترك الإذاعة وسافر للاتحاد السوفيتي بغرض إكمال دراسته الجامعية، وعبد القيوم عاشميق. لقد كان لي – المؤلف– شرف العمل بهذه الوحدة في أول أيام التحاقي بالإذاعة، حيث كان الأستاذ محمد خوجلي صالحين مدير الإذاعة آنذاك قد أشار عليَّ بالعمل فيها على أساس أنها من الإدارات الممتازة، على أن أعمل بها أثناء فترة التدريب ثم أنتقل إلى قسم المذيعين بعد ذلك. وبالفعل بقيت في تلك الوحدة طوال الشهور الستة الأولى من عملي بالإذاعة، وكنت أحضر دورات التدريب اليومية مع الزملاء على أيدي الأستاذين **(يس معني وأحمد قباني)** ثم أعود بعد ذلك لممارسة العمل بوحدة الأخبار الصوتية.

وللحقيقة كنت حزيناً في البداية لعدم جلوسي مع بقية الزملاء بمكتب المذيعين الذي هو غاية كل من يرغب في الحصول على جواز المرور لقلوب المستمعين ومحل الشهرة والنجومية، إلا أن الأستاذ حمزة الشفيع قد أقنعني بأن ذلك أفضل لي من حيث التعلم وممارسة العمل الفعلي والنزول السريع إلى المايكروفون. حيث إن عملي بتلك الوحدة سيتيح لى الفرصة لتقديم البرامج قبل بقية الزملاء الذين كانوا

بمكتب المذيعين. وبالفعل لم تمر أسابيع على تعييني بالإذاعة حتى ظهر صوتي من خلال أول حوار إذاعي أجريته مع الأستاذ البروفيسور **(كامل الباقر)** مدير جامعة أم درمان الإسلامية، وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر يونيو عام 1975م، في حين كان التحاقي بالإذاعة قد تم في الثامن من مايو عام 1975م.

القسم السياسي

نشأ القسم السياسي بالإذاعة بصورته المستقلة في شهر أيار مايو عام 1969م، وأصبح مسؤولاً عن كل العمل السياسي ما عدا نشرات الأخبار التابعة أصلاً لقسم الأخبار. وقبل نشأة هذا القسم كان العمل السياسي بالإذاعة من مسؤولية قسم الأخبار، الذي كان هو الآخر صغيراً لا يكاد يؤدي دوره المباشر بصورة كاملة نسبةً لشح الإمكانيات وقلة العاملين به.

بدأ القسم السياسي بشخصين فقط، كانا يقومان بكل العمل الذي غطى معظم الجوانب السياسية في السودان. كان موظف القسم السياسي يخرج للتسجيل أو التغطية بمفرده حاملاً معه جهاز التسجيل من طراز Nagra الذي تعاملت معه إذاعة أم درمان على مدى سنوات عمرها الطويل لما لهذا الجهاز من كفاءة وقوة تحمل في مجال التسجيل وعمل الإذاعات الخارجية. وكان السبب المباشر في إنشاء

القسم السياسي بالإذاعة هو أن السودان قد ظل يلعب أدواراً ملحوظةً ومهمة في السياسة الأفريقية والعالمية، مما اقتضي أن يكون هناك قسم خاص بالإذاعة يتابع ذلك الدور ويبشر به عبر الأثير.

وكان الذين وضعوا ذلك القرار بإنشاء القسم قد استلهموا مشاركة السودان الفاعلة في المؤتمر التأسيسي لحركة عدم الانحياز الذي انعقد بباندونغ في أندونيسيا عام 1955م. وقد واصلت الحكومة ذلك الدور بإسهامها الفاعل في تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية، بالمشاركة في كل مداولاتها ومؤتمراتها التأسيسية، والتي تتوجت بقيام المنظمة في عام 1963م.

وبعد قيام ثورة تشرين أول أكتوبر 1964م بدأ العمل السياسي يتضاعف بالإذاعة كنتاج طبيعي للنشاط السياسي المكثف الذي أفرزه تنافس الأحزاب السياسية التي ظهرت بالساحة ومداولات البرلمان الليبرالي الذي قام على أنقاض الحكومة العسكرية بقيادة الفريق إبراهيم عبود. حيث نص دستور 1964م المعدل على إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية الأولى ليكون من مهامها وضع الدستور الدائم للبلاد.

وبالفعل قامت الجمعية التأسيسية بموجب دستور 64 وباشرت أعمالها في اليوم العاشر من تموز يوليو عام 1965م، واستمرت حتى شباط فبراير 1968م حيث عصفت بها الأهواء السياسية وتم حلها

بقرار من مجلس السيادة. كان لقيام الجمعية وحلها ردود فعل عنيفة تمثلت في العراك السياسي الذي ملأ الساحة بشكل غير مسبوق بعد إعلان استقلال السودان في كانون ثاني يناير عام 1956م. ثم إن السودان قد انفتح في تلك الحقبة على دول القارة الأفريقية والدول العربية بشكل أوسع مما كان.

وظهرت في عام 1967م إرهاصات لإيجاد حلول لمشكلة الحدود المتفاقمة بين السودان وإثيوبيا، أعقبها توقيع الاتفاقيات الثنائية بين السودان والدول الأفريقية المجاورة بشأن اللاجئين الذين نزحوا من بلادهم إلى دول الجوار. وتمخض عن ذلك النشاط زيارة عدد من الزعماء الأفارقة للخرطوم على رأسهم الإمبراطور هيلاسيلاسي والرئيس جان بيدل بوكاسا والرئيس ديوري هاماني ومستر ديالوتيلي سكرتير منظمة الوحدة الأفريقية الذي جاءت زيارته الأولى في كانون أول ديسمبر 1966م.

لكل تلك الأحداث وغيرها، مما كان يدور بالساحة السياسية في السودان رأت الإذاعة أنها لا بد أن تواكب تلك التطورات وتؤدي دورها الإعلامي الفاعل بشكل أكثر تطوراً ودقةً، فقررت إنشاء قسم خاص بالشئون السياسية يقوم بذلك الدور دون الاعتماد على قسم الأخبار، الذي لم يكن من اختصاصه أصلاً أداء ذلك الدور المتشعب. وبالفعل بدأت أولى مراحل تخصيص قسم للسياسة بانفصال

قسم الاستماع السياسي **(الالتقاط فيما بعد)** عن قسم الأخبار، ثم إنشاء القسم السياسي الذي بدأ عمله المستقل كما أشرنا إلى ذلك سابقاً في أيار مايو 1969م. كان أول عمل سياسي مكثف باشره القسم السياسي بالإذاعة بعد تكوينه هو الحملة المكثفة التي قادها لإلقاء الضوء على التكوين الهرمي للاتحاد الاشتراكي السوداني الذي أنشيء في عام 1972م. وظهرت في تلك الفترة كنتيجة حتمية لتغلغل الاتحاد الاشتراكي السوداني وروافده بين قطاعات المواطنين بعض البرامج السياسية الجديدة بالإذاعة وهي برنامج **(معرض الرأي)** وبرنامج **(من القاعدة)** وبرنامج **(من وحي التنظيم)**.

وكل هذه البرامج ظلت تهتم بالحوار حول التنظيم السياسي الجديد الذي استنبطته حكومة مايو من تجربة الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر. وقد اهتم القسم بعمل البرامج السياسية في كل المناسبات القومية كأعياد الاستقلال في الأول من كانون ثاني يناير، والأعياد الوطنية المختلفة.

وفي فترة حكومة مايو كانت هناك برامج مكثفة بمناسبة أعياد الجمهورية وأعياد الوحدة في الثالث من آذار مارس، ويوم العودة في 22 من شهر تموز يوليو، وعيد العمال في الأول من أيار مايو وغيرها. بعد ذلك جاءت احتفالات الانتفاضة في السادس من شهر نيسان أبريل، ثم احتفالات الإنقاذ الوطني في الثلاثين من شهر

حزيران يونيو. وظل القسم السياسي بالإذاعة هو المهيمن على جميع البرامج السياسية بالإذاعة الأم والإذاعات المتخصصة كالبرنامج الإنجليزي والبرنامج الفرنسي وإذاعة وادي النيل وإذاعة صوت الأمة السودانية وغيرها، شأنه في ذلك شأن قسم الأخبار الذي يغطي جميع الخدمات الإذاعية. وقد ظهر دور القسم السياسي بشكل واضح للمستمعين من خلال التجربة العملية. حيث ازداد حجم العمل الموكل إليه بعد ابتكار الفترات الإخبارية ذات الفقرات المنوعة. ولا ينكر أحد بالإذاعة أن لحمزة مصطفى الشفيعقصب السبق في ذلك النشاط المكثف للقسم طوال سنواته.

الشكل العام للبرمجة السياسية

بالرغم من النشاط الملحوظ للقسم السياسي بالإذاعة وتغطياته لجميع الأحداث المهمة التي طرأت على البلاد خلال مسيرتها السياسية، والذي أعطى القسم نصيب الأسد من البرمجة الإذاعية في بعض الأحيان، إلا أن أسلوب الخدمة السياسية ظل على نفس النمط في معظم المراحل.

وقد بقيت كثير من مسميات البرامج وأشكالها كما هي خلال العشرين عاماً الماضية. والسبب هو أن طبيعة هذه البرامج مطاطة وواسعة المحتوى بحيث أنها تستوعب كثيراً مما يستجد على الساحة

السياسية. ولذلك ظلت بعض الأسماء تطل في كل دورة إذاعية لتندرج تحت ما يسمى في الإذاعة بالثوابت مثل برنامج الأطفال وما يطلبه المستمعون وهكذا. والمادة السياسية بالإذاعة تنقسم إلى نوعين:**(المادة الصوتية، والمادة المقروءة)**. فالمادة السياسية الصوتية، تشمل البرامج التي يتحدث فيها أفراد من المجتمع سواء كانوا مسؤولين أو معلقين أو حتى إذاعيين، بطريقة شفاهية عبر الإذاعة. وهذه تشمل التقارير الصوتية، والمقابلات، وعرض الآراء وغيرها من المواد الحية. وهذا النمط من المواد السياسية يعتمد على شخصية المتحدث وحصيلته المعرفية وموقعه من المسؤولية.

أما المادة السياسية المكتوبة فهي المادة التي تصاغ على الورق قبل أن يقوم الإذاعيون بقراءتها من داخل الأستوديو. وهذه المادة تعتمد على أسلوب الكاتب شأنها شأن المقال الصحفي، حيث تظهر من خلالها وجهة نظر الكاتب أو المحطة. وهي تعطي المستمع كماً وافراً من المعلومات، إلى جانب التحليل وإظهار المواقف الرسمية. وينطلق إعداد المادة السياسية المكتوبة مما يلي:

1/ استلهام واقع الأحداث الحقيقية التي يسعى السودان إلى تحقيقها.

2/ الحياد والموضوعية في معالجة الحدث إذاعياً.

3/ دقة التسلسل المنطقي في عرض الموضوع.

4/ سرد الحقائق المجردة والبعد عن الإثارة العاطفية.

5/ احترام عقل المستمع كسباً لثقته.

ولتحقيق هذه الغايات والأهداف يطرح القسم الأمور في قالب موضوعي يتوخى قدر المستطاع دقة المعلومات، وسرد المواقف السياسية والتاريخية وطرحها وفقاً للنظريات العلمية التي تتبعها الإذاعات الجادة.

تصنيف البرامج السياسية

في عام 1976م أصدر رئيس القسم السياسي بالإذاعة لائحةً تنظيميةً داخل القسم قسم بموجبها البرامج السياسية إلى أربعة أقسام هي:(i) برامج ذات طابع سياسي خالص. (ii) برامج ذات طابع سياسي خبري. (iii) برامج ذات طابع يتعلق بمناسبات خاصة. (iv) برامج وثائقية تهتم بتوثيق الأحداث.

ووفقاً لتلك التقسيمات فقد أصدرت إدارة القسم السياسي توصيفاً متكاملاً لجميع المواد التي تقدمها بالدورات المختلفة لمستمعيها. وبعد أن أجازت إدارة البرامج في اجتماعها الذي عقدته صباح الإثنين 24 أبريل 1976م ذلك التوصيف بدأ العمل به فوراً. حيث على ضوئه أقرت إدارة القسم العناوين التالية لبرامجها:

[شريطُ الأنباء]:

برنامج أسبوعي مدته خمسة عشر دقيقة. وهو يقدم ما يدور من حوار ومناقشات داخل أروقة المؤتمرات العلمية والفكرية والسياسية التي تعقد بالعاصمة الخرطوم أو ما جاورها من مدن بحري وأم درمان التي تشهد كثيراً من الملتقيات.

وفي عام 1979م بدأ البرنامج تقديم مادة عالمية عندما بدأت إذاعة الأمم المتحدة تمد القسم ببعض تسجيلات المؤتمرات الدولية كالجمعية العامة للأمم المتحدة U.N، ومنظمة الأغذية والزراعة العالمية FAO، ومنظمة اليونسكو UNISCO، وغيرها. وتقوم إدارة القسم السياسي بعمل المونتاج للمواد التي ترد عبر هذه القنوات قبل إذاعتها من خلال شريط الأنباء.

[المجلة السياسية]:

وهي مجلة إذاعية تحتوي على فقرات سياسية منوعة. حيث يشارك فيها عدد من محرري القسم السياسي بالإذاعة وبعض المذيعين الذين يتعاونون مع القسم. إلا أن دور المذيعين ظل دائماً هو تقديم الفقرات دون التدخل في إعدادها أو كتابتها. حيث يعد الفقرات موظفوا القسم السياسي فقط. وتكون فقرات المجلة مفتوحةً بحيث تستوعب كل المستجدات على الساحة السياسية الداخلية أو الخارجية. ولم يحدد

القسم عدد الفقرات التي تتناولها المجلة، وإنما ترك ذلك ليحكمه حجم المادة المقدمة في كل عدد يصدر منها وحسب أهميتها وصلاحيتها من الناحيتين الفنية والعلمية. وعلى سبيل المثال حمل عدد المجلة المذاع في اليوم الرابع عشر من شهر آب أغسطس عام 1981م أربع فقرات، كانت الأولى عن المشاكل التي تواجه التنمية في أفريقيا أعدتها عبلة محمود وهي نائبة رئيس القسم، والفقرة الثانية عن محاربة الجراد الصحراوي في أفريقيا أعدها محمد الكبير الكتبي، والثالثة مقابلة مع وكيل ديوان النائب العام حول الانضباط أجراها الخير عبد الله محجوب، والرابعة عن تصريحات الكونقرس الأمريكي حول أزمة الرهائن أعدها الفاتح الفاضل أرسد.

[العالم في أسبوع]:

هذا البرنامج أسبوعي زمنه خمسة عشر دقيقة، يستعرض أحداث العالم خلال أسبوع دون التقيد بدولة أو جهة معينة. وإنما أهمية الحدث هي التي تفرض نفسها. وهو برنامج يعتمد على سرد الوقائع والأحداث بشيء من التفصيل. وهذا البرنامج يعتمد على السرد الوصفي للأحداث ولا يآذار مارس دور التحليل.

[من صحافة العالم]:

يقدم هذا البرنامج الذي يستقي مادته من الصحف والمجلات العربية والأجنبية ثلاث مرات أسبوعياً. ومدة الحلقة ربع ساعة. ويقدم البرنامج مقتطفات من الصحف والمجلات بنفس أسلوبها دون إجراء أي تغيير إلا اختصار المقالات المطولة تقديراً لعنصر الزمن. ودائماً ما يشير مقدم الفقرة إلى المصدر الذي استقاها منه، حيث يقول: (***كتبت صحيفة الوسط اللندنية في عددها الصادر يوم 5 آذار مارس 1995م مقالاً بقلم عفاف زين، تحت عنوان المعارضة السودانية تحاور في الداخل وتعارض في الخارج، جاء فيه ما يلي..***) ثم يبدأ استعراض مقتطفات من المقال وهكذا.

ويختلف هذا البرنامج عن أقوال الصحف في أن مادته كلها تؤخذ من المجلات والصحف العالمية والعربية التي تصدر خارج السودان، والتي يدخل فيها عنصر الترجمة في كثير من الأحيان لنقل المقالات والدراسات السياسية والتحليلات التي ترد فيها [98]. وقد ظلت هذه الصحف والمجلات تمثل مصدراً ثراً وهاماً للعديد من البرامج الإذاعية مثل **(منبر الصحافة)** و**(أقوال الصحف)** و**(من صحافة العالم)** و**(نادي الصحافة)** و**(العالم في أسبوع)** الخ.. وقد ظل قسم

---

[98] المجلات الرئيسية التي تعامل معها القسم هيWeek News الأمريكية وTimes البريطانية وLomond الفرنسية وThe Economist البريطانية وبعض الصحف والمجلات العربية الكبيرة كالأهرام والحوادث والمستقبل والمجلة والشرق الأوسط.

العلاقات العامة بالإذاعة يتعاون مع القسم السياسي في مده بكل الإصدارات التي تشترك الإذاعة فيها أسبوعياً. وهي التي تمثل المادة الأساسية لكل هذه البرامج.

[برامج المناسبات الخاصة]:

هناك عدد من البرامج ذات الطبيعة الخاصة أو المؤقتة ظل القسم السياسي يقدمها من حين لآخر مثل:**(على طريق التكامل)**، **(أيام الاستقلال)**، **(حملة اللقيط)**، **(نافذة على الشرق)**، **(الأمم المتحدة في أسبوع)**، **(مؤتمر إذاعي)**، **(مع صناع القرار)**، **(من داخل البرلمان)**، **(أسبوع الحكم الإقليمي)**، **(نافذة على الدول الصديقة)** [99]، وغيرها من البرامج.

وطوال السنوات التي أعقبت إنشاء القسم عمل به في فترات مختلفة عدد من المحررين والإذاعيين الذين تنقلوا بينه وبين الأقسام الأخرى، وهم: (بخيت أحمد عيساوي، حمد محمد أحمد، حمزة مصطفى الشفيع، عبد العظيم عوض، حسب الرسول بانقا، عبلة محمود بخات، يعقوب الفضل الخليفة، عبد الدائم عمر الحسن، قسم السيد محمد البشرى، محمد الكبير الكتبي، الزبير عثمان أحمد، الفاتح

---

99 يقدم هذا البرنامج في مناسبات الدول ذات التمثيل الدبلوماسي بالسودان مثل اليوم الوطني.

الفاضل أرسد، نجم الدين محمد أحمد، طارق أبو الفضل محمد الحسن، المهم عبد الرحمن، ماجدة تاور، الحسن عبد الكريم وغيرهم). وقد حاول كل الإداريين الذين تعاقبوا على رئاسته أن يثبتوا دور القسم كأحد أهم القنوات الإعلامية التي تحمل رسالة الدولة وبرامجها السياسية وفلسفة الحكم فيها إلى كل قطاعات المستمعين داخل وخارج السودان.

ولعل الفترة التي قضاها حمزة مصطفى الشفيع رئيساً للقسم السياسي قد شهدت أكثر ذلك النشاط، الذي جعل القسم يخطو خطوات أكبر للأمام. حيث استنبط القسم خلال تلك الفترة معظم برامجه الجديدة واستقطب معظم العاملين به من الشباب. وربما كان السبب في ذلك مقدرة حمزة على استنهاض العاملين معه وتشجيعهم على الابتكار وجمع المعلومات حيث ظلوا يجوبون أنحاء البلاد باحثين عن الأنشطة السياسية أينما كانت.

إدارة الموسيقى

لعل كل مستمعي إذاعة أم درمان يشهدون أنها قد تفردت صوتاً وأداءاً بشكل الموسيقى والغناء السوداني ذي الطابع المميز بين أغنيات العالم العربي. والبلاد الأفريقية، وهما الكتلتان الجغرافيتان اللتان ينتمي إليهما السودان. وللحقيقة فإن كل هذا التفرد يقف خلفه

رجال موهوبون بالفطرة، هم أعضاء أوركسترا الإذاعة، والعاملون بإدارة الموسيقى من عازفين ومطربين وإداريين[100]. وقد ظلت هذه الإدارة منذ تأسيسها في منتصف الستينات تعمل بجد ونشاط في تنفيذ كل ما يعانق أذن المستمع من غناء مهما كان شكله.

وإدارة الموسيقى هي المسؤولة عن كل ما يتعلق بالغناء في السودان حيث لا يجوز لأي مطرب أن يقوم بتسجيل أي مادة موسيقية أو غنائية إلا بعد مرورها على هذه الإدارة وإجازتها. حيث تقوم الإدارة بمراجعة الأغنية وتسجيلها تحت إشرافها المباشر، مستخدمةً في ذلك كوادرها الخاصة من العازفين الذين لا يسمح لغيرهم بمباشرة أي تسجيل رسمي للإذاعة. وهذه العملية تتم بعد مجهود وتكرار مضنٍ يقوم به الموسيقيون والمشرفون على إدارة الموسيقى بشكل متواصل، بدأ من يوم إنشاء هذه الإدارة وظل إلى يومنا هذا.

وقد ظل الموسيقيون العاملون بإدارة الموسيقى بالإذاعة يتعاملون مع أغنيات الآخرين من خلال إجازتها وتنفيذها وتسجيلها بتجرد كامل دون أن تؤثر عليهم نرجسية المبدع أو يهزمهم عنصر المنافسة. وظلوا على مدى السنوات يؤدون هذا العمل الفني الدقيق من

---

100 يغني السودانيون على السلم الخماسي في حين يغني بقية أبناء العالم العربي على السلم السباعي الذي يعتمد على رُبع التون. إلا أنَّ بعض القبائل العربية في غرب وأواسط السودان كالحمر والبقارة والكبابيش تستخدم ربع التون في موسيقاها الشعبية ذات الطابع الشرقي المميز.

خلال مكاتب إدارة الموسيقى بالإذاعة، وهي المكاتب التي تقع في الركن الجنوبي الغربي لمبنى الإذاعة تحت ظلال أشجار وارفة ظلت ملاذاً شهد إنتاج كل إبداع السودان الغنائي والموسيقي.

ولما كانت طبيعة العمل بهذا القسم على درجة من الدقة والخصوصية فإن الإذاعة قد درجت على تعيين الموهوبين حقاً من الموسيقيين والملحنين المتخصصين ليقوموا بأداء هذه العملية الفنية الخلاقة، ويعملوا بهذا القسم الذي يعتبر العمل فيه مسؤوليةً يحس بها كل من يستمع للغناء عبر الإذاعة. وقد اعتبرت هؤلاء الموسيقيين والملحنين والمطربين موظفين ثابتين في السلك الوظيفي.

ومن هؤلاء الفنانين من رحل إلى الدار الآخرة، ومنهم من ترك العمل وهاجر إلى مواقع أخرى، ومنهم من ظل مثابراً إلى اليوم وهؤلاء هم الأغلبية ومنهم على سبيل المثال:

[بدر التهامي، علاء الدين حمزة، عبد الله عربي، برعي محمد دفع الله، محمد عبد الله محمدية، العاقب محمد حسن، أحمد زاهر، عبد الفتاح الله جابو، سعد أحمد عمر، حسن خواض، علي مكي، محمد سليمان المزارع، أحمد بريس، عبد الماجد خليفة، محمد رمضان، أحمد المبارك، محمد جبريل، محمد المصري، عثمان ألمو، خميس جوهر، خميس مقدم، الشيخ محمد أحمد، الزبير محمد الحسن، جعفر حرقل، صلاح أحمد عثمان، الفاتح خليل، يوسف السماني، علي ميرغني،

إبراهيم عبد الوهاب كتبا، أحمد خليل، سليمان أكرت، أحمد داؤد، عبد الله إبراهيم أميقو، وغيرهم وغيرهم].

وكما هو معلوم فإن فرقة الإذاعة الموسيقية (**أوركسترا الإذاعة**) هي الجهة الوحيدة المسموح لها رسمياً بتسجيل الأعمال الغنائية للإذاعة، رغماً عن وجود فرق فنية كثيرة تتبع لاتحاد الفنانين أو للمطربين أنفسهم. إلا أن الإذاعة قد استثنت بعض الأعمال الفنية التي تم تسجيلها خارج القطر مثل أغنية (**خاصمتني**) للفنان سيد خليفة التي اعتمد تسجيلها في عام 1965م، ثم أغنية (**الود**) للفنان محمد وردي التي قام بتوزيعها الموسيقار الراحل (**أندرية رايدر**)، وتم تسجيلها في القاهرة عام 1973م، ولم يشارك فيها من السودان سوى الموسيقار (**محمد عبد الله محمدية**) الذي استُدْعِي خصيصاً لتنفيذ ذلك العمل. وقد بعثت الإذاعة السودانية يومها بخطاب تقدير وشكر للفنان محمد وردي تقديراً لجهوده التي بذلها في تطوير الغناء السوداني من خلال تلك الأغنية، وسمحت باعتماد التسجيل القادم من الخارج دون المرور بالاجراءات المعتادة. ثم منحت الفنان محمد وردي أعلى أجر يقدم لأغنية في تاريخ الإذاعة حتى ذلك الحين وهو مبلغ 200 جنيه تقديراً لجهوده في تطوير الأغنية السودانية.

كان لذلك التشجيع أثر كبير في إثراء الحركة الفنية بالسودان التي شهدت تنافساً شديداً في تلك السنوات من أجل تجويد الأداء

واللحن والكلمة المغناة. وظلت إدارة الموسيقى ترعى كل تلك الجهود، وتضع بصماتها من خلال الأعمال الفنية الجديدة للمطربين بمختلف درجاتهم. ظلت إدارة الموسيقى بالإذاعة تشارك جمهور المستمعين بتقديم حفلات غنائية كل ثلاثة شهور.

وهذه الحفلات تقدم بالمجان للمستمعين كجزء من ربط الإذاعة بمستمعيها في مدن السودان المختلفة. ويقوم بالعزف في هذه الحفلات دائماً الموسيقيون من أعضاء أوركسترا الإذاعة التابعة لإدارة الموسيقى، حيث يصاحبون جميع الفنانين المشاركين في هذه الحفلات التي يترقبها الجمهور بفارغ الصبر.

وقد أسهم مطربو الإذاعة إسهاماً كبيراً في إحياء تلك الحفلات عند بدايتها في منتصف الخمسينات. ولم يكن يتقاضى المطرب سوى أجر زهيد لا يتعدى الخمسة جنيهات للمطربين الناشئين وعشرة جنيهات للمطربين الكبار أمثال الكاشف وحسن عطية وعائشة الفلاتية وأحمد المصطفى وعبد العزيز داؤد وعبد الحميد يوسف وغيرهم من مبدعي ذلك الوقت.

وعندما لاحقت إرهاصات الاستقلال وبدأ بروز الكيان الوطني السوداني في شتى زوايا الإبداع وضع المسؤولون عن الموسيقى بالتعاون مع مدير الإذاعة تصنيفاً للمطربين الحديثين والشعبيين اعتمدته الإدارة بموافقة وزارة الاستعلامات والعمل **(الثقافة والإعلام**

لاحقاً). وظل هذا التصنيف سارياً إلى يومنا هذا. حيث أقرت الإذاعة أن يبدأ المطرب حياته الفنية في الدرجة الرابعة، التي ألغيت في أواخر الستينيات، واستعيض عنها بالدرجة الثالثة، التي اعتبرت بدايةً للفنان الناشئ ثم يترقى حتى يصل إلى الدرجة الأولى.

ولعل المقياس في ترقي الفنان من الدرجة الرابعة أو الثالثة إلى الثانية ثم الأولى يعتمد على طبيعة تطور الفنان، وحجم العطاء الذي يقدمه للساحة الفنية من حيث الكم والكيف. وبمرور الزمن ترقى عدد كبير من المطربين إلى الدرجة الأولى. مما أدى إلى استحداث درجة جديدة للمتميزين من كبار المطربين والذين يعتبرون أكثر رسوخاً في هذ1 المضمار. وهذه الدرجة المستحدثة هي درجة **(الرواد)**. حيث لا تسمح الإذاعة بمنح هذه الدرجة لأي مطرب ما لم يؤكد أنه من المستحقين لها حقاً وفعلاً.

ولذلك فقد دار كثير من اللغط في أروقة الإذاعة واتحاد الفنانين والوسط الفني والصحفي عندما ترقى بعض المطربين الصغار إلى تلك الدرجة الفنية الرفيعة. وبدا واضحاً أن هناك أسباباً خاصة قد دعت إلى تلك الترقيات الاستثنائية والتي أضرت إلى حد كبير بأسس التقويم التي ارتضتها إدارة الموسيقى وإدارة الإذاعة واتحاد الفنانين من قبل. ولعل أكثر فترة شهدت ترقية المطربين للدرجات الأعلى هي الفترة التي تلت عام 1979م، أي بعد أن تولى الأستاذ محمود أبو

العزائم منصب مدير عام الإذاعة في أوائل الثمانينات. حيث كان أبو العزائم أكثر المدراء الذين اهتموا بفن الغناء في الإذاعة منذ تأسيسها. وشهدت له أروقة الإذاعة أنه أعاد إليها عدداً كبيراً من المطربين الذين كانوا قد ابتعدوا عن الوسط الفني، ولم يدخلوا سور الإذاعة لسنوات طويلة، ومنهم عبيد الطيب والتاج مصطفى وحسن عطية وعثمان حسين وأحمد المصطفى وغيرهم من الرواد.

وقد شهدت تلك الفترة بروز بعض الظواهر الفنية بإدارة الموسيقى مدعومةً بإدارة الإذاعة مثل المطربة نورا التي دخلت الساحة الفنية بأغنيات الرعيل الأول من المطربين أمثال كرومة وسرور وإبراهيم الكاشف وحسن عطية وعبد الحميد يوسف والتجاني السيوفي وغيرهم.

كما برزت في الساحة في تلك الفترة ظاهرة المغنين الشباب من خلال ما استحدثه أبو العزائم من برنامج يومي يسمى **(كل يوم أغنية)**. حيث تقدم في كل يوم أغنية مختلفة لنفس المطرب الناشئ عند الساعة الرابعة إلا خمس دقائق عصراً. وكان المطرب يقدم أغنياته على مدى شهر كامل تشجيعاً له ودعماً للساحة الفنية بأصوات جديدة. إلا أن تلك التجربة لم تخلق نجوماً يملأون الساحة كما ملأها العمالقة القدامى من جيل الأربعينيات والخمسينيات والستينيات. وبدا أن كثيراً من الأصوات الجديدة كانت صوراً مكررة من بعض المطربين

القدامى الذين رسخوا أقدامهم في مجال الفن. وبقدر ما كانت ترقيات المطربين للدرجات الأعلى تسر المطربين المترقين إليها، إلا أنها كانت تثير حنق البعض ممن فاتهم قطار الترقي، أو الذين ظلوا لسنوات عديدة في درجة واحدة بحكم عدم التجديد أو عدم التقدير أو عدم المواكبة.

ومن المواقف الطريفة التي حدثت في هذا الصدد موقف شهده مكتب صراف الإذاعة في أحد أيام شتاء عام 1976م، حيث دخل عليه الفنان الكبير الأستاذ عبد العزيز محمد داؤد، الذي كان كثير التردد على الإذاعة واتحاد الفنانين وكل الأوساط العامة ومعه الفنان المتفرد الأستاذ خضر بشير. وكانا قد جاءا خصيصاً لصرف استحقاقهما من المشاركة في أحد البرامج الجماهيرية.

وبعد أن استلم عبد العزيز داؤد استحقاقه المالي تقدم خضر بشير ليستلم نصيبه، وفوجئ بأنه كان أقل من استحقاق عبد العزيز داؤد، فسأل الصراف غاضباً: ((**لماذا يكون أجري أقل من أجر عبد العزيز؟**)) فأجابه الصراف الذي بدا في غاية الحرج من ذلك الموقف: ((**لأنَّ عبد العزيز في الدرجة الأولى يا أستاذ خضر**)). قال خضر بشير: ((**وأنا في الدرجة كم؟**)) فقال له الصراف: ((**أنت في الدرجة الثانية!**)). لم يهدأ المكتب بعد ذلك، حيث صب الأستاذ خضر جام غضبه وكال السباب للذين لا يعرفون قيمة الفن ولا يضعون الناس في

مواضعهم الصحيحة، وقال والغضب يسبق عباراته: ((**إنني لن أغادر هذا المكتب إن لم يتغير هذا الأمر وأعرف من الذي وضعني في الدرجة الثانية ووضع عبد العزيز في الأولى؟**)).

وثار الهرج في المكتب حتى استدعى الصراف مدير الإذاعة الذي هب فوراً لاحتواء الموقف، وكرر له الأستاذ خضر بشير إصراره على أنه لن يغادر المكتب إن لم يوضع في كشف الدرجة الأولى حالاً. وما كان من مدير الإذاعة إلا أن أصدر قراره في الحال بترقية الفنان الأستاذ (**خضر بشير**) إلى الدرجة الأولى، وصرف استحقاقه على أنه من مطربي الدرجة الأولى ثم انصرف.

ومن المطربين الذين ترقوا بسرعة فائقة إلى الدرجة الأولى الفنان الكبير محمد وردي، حيث كان قد دخل الإذاعة كمطرب ناشئ في شهر تموز يوليو عام 1957م، وأجيز صوته، وتم اعتماده كأحد مطربي الدرجة الرابعة.

وفي خلال العام الأول تمت ترقيته للدرجة الثالثة، ثم رأساً إلى الأولى، حيث أصدر مدير الإذاعة الأستاذ متولي عيد قراراً استثنائياً بترفيعه للدرجة الأولى بعد أن استشار مجموعةً من كبار الفنانين في ذلك الأمر وهم أحمد المصطفى، إبراهيم الكاشف، حسن عطية، وعثمان حسين. وقد وافقوا جميعاً ما عدا عثمان حسين على ذلك الترفيع نسبةً للجهد والمستوى الفني الذي ظهر به محمد وردي خلال

العام الأول من دخوله الوسط الفني. كان الفنان عثمان حسين قد اعترض على ترقية محمد وردي حينها مبرراً ذلك بأنه ما زال مطرباً ناشئاً، ولا بد من إعطائه وقتاً أطول لتجويد فنه وصقل موهبته حتى يصل إلى الأولى لكي لا تخرق النظم التي تقتضي مرور الفنان بالدرجات من الرابعة إلى الأولى بشكل طبيعي.

بدا أن ذلك الرأي لم يقنع الأستاذ متولي عيد مدير الإذاعة، الذي أصدر قراره معتمداً على تزكية بقية المطربين. وانتقل بذلك المطرب محمد وردي خلال عام واحد من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الأولى في أيلول سبتمبر 1958م واضعاً بذلك أول خرق لنظام الترقي الذي اختطته الإذاعة. وبعد سنوات من ذلك فعل مدير الإذاعة نفس الشيء في ترقية الفنانين **(عبد العزيز المبارك)** و**(إسماعيل حسب الدائم)** إلى الدرجة الأولى في زمن قياسي.

استحدثت إذاعة أم درمان من خلال إدارة الموسيقى لجنةً للألحان والأصوات الجديدة مهمتها أن تستمع إلى الأغنيات الجديدة لتحكم على لحنها وموسيقاها، وتحدد رأيها فيها سواء بالقبول أو الرفض. كما أن من مهام هذه اللجنة اختبار الأصوات الجديدة، وتحديد صلاحيتها للغناء أو عدمها. وقرار اللجنة في هذا الصدد هو القرار النهائي، الذي يتم بموجبه تسجيل أي أغنية جديدة للإذاعة أو اعتماد الصوت الجديد. وتضم لجنة الألحان دائماً مجموعةً من

المتخصصين في مجال الموسيقى والغناء، حيث عمل فيها الفنانون: **(برعي محمد دفع الله، عبد الفتاح الله جابو، محمد عبد الله محمدية، علي مكي، العاقب محمد حسن، حسن الأمين، علي ميرغني، عبد الماجد خليفة، علاء الدين حمزة، أحمد زاهر، بدر التهامي)**، وغيرهم من الفنانين. وكثيراً ما استعانت هذه اللجان بالفنانين في تقويم الأصوات الجديدة وتقديم النصح لهم من النواحي الفنية. وظلت اللجنة تنصح المطربين الجدد باللجوء إلى كبار الملحنين والشعراء لدعم مسيرتهم الفنية.

وقد أجازت لجان الألحان والأصوات المتعاقبة كل الأغنيات التي تبث إلى اليوم من راديو أم درمان، إلى جانب إجازتها لجميع الأصوات التي تغني بالإذاعة. على أن لجنة الألحان نفسها لا تنظر في الأغنيات المعروضة أمامها إلا إذا كانت الأغنية مجازة أصلاً من لجنة النصوص الشعرية التي يعرض عليها النص الشعري للأغنية أولاً قبل أن يخضع للتلحين.

وتتكون لجنة النصوص دائماً بقرار من وزير الثقافة والإعلام بتوصية من مدير عام الإذاعة. وهي تضم عدداً من الشعراء والأدباء والإذاعيين ذوي الدراية بفنون الشعر لاسيما الشعر الغنائي [101]. وقبل

---

101 من الذين عملوا بهذه اللجنة من الشعراء: مبارك المغربي، محمد بشير عتيق، محمد يوسف موسى، فراج الطيب، إبراهيم العبادي، خالد أبو الروس، الخاتم عبد الله، سيف الدسوقي وغيرهم.

أن تستحدث الإذاعة مسألة لجان النصوص والأصوات الجديدة والألحان، كان هناك شخص واحد يؤدي دور كل هذه اللجان هو الأستاذ الإذاعي **(محمد صالح فهمي)**، أحد أوائل الإذاعيين الذين تعاملوا مع الإذاعة منذ بداياتها الأولى، والذي ترقى في درجاتها حتى أصبح مديراً عاماً لها قبيل انقلاب 25 أيار مايو 1969م الذي أقاله من ذلك المنصب. حيث كانت النصوص والأغنيات تعرض على الأستاذ محمد صالح فهمي فيقرأها ويستمع إليها بدقة، ويقوم بتعديل ما يراه من أخطاء نحوية أو لفظية أو ما لا يتماشى مع الذوق العام.

لم يكن أمام الفنانين إلا الرضوخ لرأي الأستاذ محمد صالح فهمي الذي كان هو الآخر شاعراً مجيداً، رغم أنه كان مقلاً جداً، حيث لم تسجل الإذاعة من أشعاره إلا بعض الأغنيات التي لا تتعدى الثلاث بصوت الفنان الكبير محجوب عثمان.

بعد ذلك رأت الإذاعة أن تسند ذلك الأمر إلى مجموعة من المبدعين وليس إلى شخص واحد، وكان الأستاذ محمد صالح فهمي نفسه قد تقدم باقتراح لتوسيع تلك اللجنة من فرد إلى مجموعة. وتكونت بالفعل في آخر الخمسينيات أول لجنة رسمية لإجازة الأصوات الجديدة والألحان بالإذاعة، إلا أنها لم تكن تضم مطربين وموسيقيين كما هو اليوم، وإنما كانت تضم شخصيات إذاعية من ذوي الحس الفني والأدبي الرفيع. حيث تكونت من الأساتذة متولي عيد مدير الإذاعة،

عبد الرحمن الخانجي نائب مدير الإذاعة ومديرها العام فيما بعد وخاطر أبو بكر وعلي محمد شمو، وقد كان الأخيران من أشهر المذيعين آنذاك. كانت تلك اللجنة تجتمع وتستمع للمطرب الجديد فتحدد صلاحيته للغناء أو عدمها. ثم بعد ذلك اقترحت إدارة الموسيقى أن يوكل أمر لجان الأصوات والألحان للمختصين من المطربين والموسيقيين تأسياً بتجربة الإذاعة المصرية.

وبالفعل صدر قرار وزير الاستعلامات والعمل مؤيداً لتوصية مراقب عام الإذاعة بتكوين لجنة الأصوات الجديدة والألحان من المختصين. وكان واضحاً أن لجان الأصوات والألحان والنصوص تباشر عملها بتجرد وإخلاص تامين حسب ما تراه موافقاً للذوق الفني والأسس العلمية لما يعرض أمامها من خلال رؤيتها المجردة.

وكثيراً ما قدمت اللجنة مقترحاتها بتعديل بعض الأعمال. ورغم أن هذه التعديلات لا تروق لكل المبدعين من شعراء ومطربين، إلا أن اللجان تسعى إليها بدافع التجويد والحفاظ على الذوق العام.

ورغماً عن نجاح هذه اللجان في أداء مهامها الموكولة إليها منذ أواخر الخمسينيات، إلا أنه لم يكن كل ما رأته من آراء واتخذته من قرارات هو الفيصل في مجال تقويم الأعمال الغنائية أو الشعرية أو الموسيقية أو حتى الأصوات الجديدة. حيث إن هناك بعض الأغنيات التي رفضتها اللجان تلقفتها آذان المستمعين، واحتفى بها الشارع أيما

احتفاء. ومن تلك الأغنيات على سبيل المثال أغنية صدقيني للمطرب عثمان حسين. حيث رفضت اللجان تلك الأغنية في مطلع الستينات، ولم يتم تسجيلها رسمياً للإذاعة لذلك السبب. ولكن حدثت بعض الملابسات التي أبقت على تلك الأغنية في مكتبة الإذاعة. حيث كان الأسلوب المتبع في ذلك الوقت هو أن يقوم الفنان بتسجيل الأغنية على شريط ثم تعرض على لجنة الألحان والنصوص التي تقرر إجازتها أو عدمها. فإذا أجيزت الأغنية يتم اعتماد الشريط، وإلا فيقوم الفنيون بمسحها.

وقد حدث أن عرض الفنان عثمان حسين أغنية **(صدقيني)** على اللجنة التي رفضتها بدعوى أنها ليست في مستوى أعمال الفنان الكبير. ولكن نسي الفني المكلف بمسحها أن يقوم بذلك، وبقي الشريط بمكتبة الإذاعة مثله مثل أي شريط عادي ليس له رقم أو كرت بحكم عدم تسجيل الأغنية رسمياً.

ومرت الأيام التي أصبحت سنيناً والأغنية لم تمسح من الشريط. وفي أواخر عام 1979م عثرت المذيعة سهام العمرابي على تلك الأغنية بالصدفة في أحد الأشرطة عندما كانت تعد بعض المواد لتسجيل برنامجها ما يطلبه المستمعون، فاستمعت إليها لأول مرة، واتصلت بالفنان عثمان حسين، ومن ثم تم تقديم الأغنية التي كانت جديدة على المستمعين. وأصبحت بذلك رصيداً فنياً إضافياً للفنان

عثمان حسين الذي كان قد نسي كلماتها ولحنها لولا ذلك الشريط. ونفس الشيء حدث لأغنية (**علمتني الحب**)، وهي إحدى أشهر أغنيات الفنان إبراهيم عوض. حيث عرضها على اللجان في عام 1959م وهي من شعر وألحان عبد الرحمن الريح. ولم تتم إجازتها من قبل اللجان، فتركها إبراهيم عوض بعد أن قام بتسجيلها على شريط في مصر.

وفي أواخر عام 1985م أي بعد خمسة وعشرين عاماً كنت أبحث عن بعض المواد السودانية في مكتبة فنية بالقاهرة، فوجدت ذلك التسجيل ضمن مجموعة من أغنيات إبراهيم عوض القديمة وأحضرته للإذاعة، وأذعت الأغنية من خلال برنامج أصداء 85، فاستمع إليها السودانيون لأول مرة. وجاءني الفنان إبراهيم عوض يستفسر عن كيفية العثور على هذه الأغنية الأثرية. فأخبرته بالقصة. وطلب مني تسجيلها له على شريط ثم حفظها من جديد وبدأ يقدمها لجمهور المستمعين الذي أبدى إعجاباً كبيراً بها وكأنها إحدى أعماله الجديدة.

ونفس الشيء حدث لإحدى أغنيات الشاعر الراحل محمد بشير عتيق وهي أغنية (**في غفلة رقيبي**). حيث رفضت لجنة النصوص الأغنية جملةً وتفصيلاً معلقةً عليها بأنها (أغنية جنسية فاضحة). وما كان من شاعرها إلا أن احتفظ بها، ثم أودعها عند الملحن، وظهرت للمستمعين بعد أكثر من عشرين عاماً كواحدة من

الأغنيات الشعبية التي وجدت قبولاً واسعاً. وهناك أغنيات كثيرة رفضتها اللجان الرسمية ولكن تقبلها الشارع الفني مثل أغنية **(مسيحية)** للفنان محمد الأمين، وأغنية **(رسوماتك)** و**(السباتة)** للفنان عبد الرحمن عبد الله وغيرها وغيرها مما يتعذر إحصاؤه في مكتبة الأغنية السودانية.

وعموماً يمكننا القول بأن الغناء قد أصبح عنصراً أساسياً بالإذاعة التي بدأت قصة الطرب معها منذ بداية ظهورها في عام 1940م، أي قبل أن تنشأ إدارة الموسيقى. حيث رأينا كيف أن البرنامج كان يتضمن في كل يوم أغنية تقدم على الهواء. فكيف بدأ الغناء بإذاعة أم درمان؟ ومن هم مطربو تلك المرحلة؟ وكيف كان يتم تسجيل الأغنيات؟

بداية فن الغناء بالإذاعة

كان أكثر ما يجذب جمهور المستمعين من الشباب، تلك الأغنيات التي تبثها الإذاعة من خلال برامجها. حيث كان يطل كل يوم من خلال مايكرفون الإذاعة أحد المطربين ليقدم عرضاً غنائياً يسمى بالحفلة. وهذه الحفلة قد تشمل أغنيةً أو أغنيتين أو ثلاث حسب الزمن المتاح للمغني وحسب طول الأغنيات المقدمة، والتي كانت في أغلب الأحيان لا تزيد عن خمس أو ست دقائق.

وقد ظهر من خلال الإذاعة آنذاك كجيل أول من رواد الغناء المطربون: **(كرومة، محمد أحمد سرور، الأمين برهان، عمر البنا، عبد الله الماحي، إبراهيم عبد الجليل، زنقار، إبراهيم الكاشف، حسن عطية، أحمد المصطفى، عبد الحميد يوسف، التاج مصطفى، أحمد فلاح، وشقيقه محمود فلاح).**

ثم جاء الجيل الثاني الذي ضم: **(عثمان حسين، إبراهيم عوض، عبيد الطيب، رمضان حسن، عبد العزيز محمد داؤد، وعثمان الشفيع).** وكان وسط هذا العدد من المطربين عددٌ من المطربات اللائي وضعن بصمات واضحة في خارطة الغناء بالسودان.

ولكن لظروف التركيبة الاجتماعية في السودان كوطن محافظ لا يسمح بخروج المرأة عن إطار البيت والزوج فقد انحصر عدد المطربات منذ افتتاح الإذاعة إلى أواخر الخمسينات لا يزيد عن خمس مطربات هن: **(عائشة الفلاتية، مهلة العبادية، أم الحسن الشايقية، منى الخير التي أخفت اسمها الحقيقي وهو آمنة خير الله خوفاً من قيود الأسرة).**

وكان المطربون في تلك الفترة يُغنون من إذاعة البوستة، وفي بعض المواسم يسافرون إلى مواقع القتال، للترفيه عن الجنود السودانيين المشاركين في الحرب. فسافر لأداء تلك المهمة: **(الحاج**

محمد أحمد سرور، كرومة، أحمد المصطفى، عائشة الفلاتية، التاج مصطفى، عبد الحميد يوسف، عثمان حسين، عثمان الشفيع، وعدد من الموسيقيين).

كان المذيع يجلس في غرفة الإرسال الصغيرة، منتظراً شارة البدء من الفني لكي يمتطي صهوة الأثير، مثله مثل الجواد الذي انطلق في ساحات الرهان لا يكبح جماحه إلا شارة أخرى للتوقف أو انتهاء الزمن المحدد. وكان المطربون ينتظرون أدوارهم خارج الأستديو، ومعهم الموسيقيون أو أعضاء الفرق الذين يشاركونهم في وصلاتهم الغنائية. حتى إذا ما حان وقت تقديم الأغنية يدخل الجميع داخل الأستديو بانتظار الإشارة الحمراء. وعندما تحين تلك اللحظة يدخل المذيع على الهواء، ويقدم الأغنية بسمها واسم شاعرها وملحنها ومؤديه، ومن ثم يبدأ المطرب في الغناء.

مرحلة حقيبة الفن

كان فن الحقيبة هو الغناء الغالب لدى أهل السودان. وقد جاءت هذه التسمية لذلك النمط من الغناء **(الحقيبة)** من الأستاذ الإذاعي صلاح أحمد محمد صالح الذي كان يقدم برنامجه الغنائي الأسبوعي. وفي أحد الأيام بدأ بعبارة قال فيها: **(الآن مستمعي الكرام نفتح حقيبة الفن لنرى ماذا فيها)** وكان يحمل حقيبةً جلديةً صغيرة بها

عدد من الأسطوانات القديمة لكرومة وسرور والأمين برهان وزنقار وغيرهم من المطربين الذين قاموا بتعبئة أسطواناتهم الغنائية بشركة أوديون بالقاهرة.

وظل صلاح أحمد محمد صالح يكرر تلك العبارة دائماً في برنامجه الغنائي، وهو يقصد بها أنه قد حان وقت تقديم الأغنيات فانتبهوا أيها السادة المستمعون. واستمر يكرر هذه العبارة في لقاءاته بالمستمعين، ولم يكن يدرك يومها أن عبارته تلك ستصبح اسماً لأكثر أشكال الغناء شيوعاً بالسودان. وغناء الحقيبة هو غناء الوسط، الذي جاء إلى **(أم درمان)** من مدينة **(كبوشية)** في الشمال مع المطرب **(محمد ود ود الفكي)** في عام 1908م.

وكان ود الفكي شخصيةً متميزة في مجال الغناء. تمرد على تقاليد القبيلة، وبدأ يغني بإيقاع التصفيق باليد والتنغيم بالحنجرة في شكل رتيب، تتابع فيه أصوات الكورال أو الشيالين من خلفه مرددين نفس الأنغام الصوتية التي يؤديها المغني.

ولما جاء إلى أم درمان تأثر به كرومة وسرور، فبدءآ يقلدان تلك الطريقة التي دخل فيها عنصر الكورال أو الكورس الذي يصاحب الفنان. ثم شيئاً فشيئاً أدخلت الآلات الإيقاعية خاصةً الرق، وهو آلة موسيقية تشبه الطار مع إضافة بعض الحلقات المعدنية الصغيرة التي تحدث أصواتاً عاليةً عند طرقها. وقد أصبح ذلك النوع من الغناء هو

غناء الإذاعة المعتمد. ولعل الإذاعة قد اعتمدته في تلك الفترة لسببين أساسيين:

أولاً: لأنه يغني باللغة العربية التي كانت الإذاعة تسعى لترسيخها بين السودانيين كلغة قومية تساعد على حل مشكلة التداخل اللغوي بالسودان.

ثانياً: كانت تلك الأغنيات أقرب إلى محطة الإذاعة جغرافياً. حيث كان معظم الذين يغنونها من قاطني مدينة أم درمان، مما يسهل إشراكهم في البرامج واستدعاءهم كلما دعت الضرورة.

أصبحت أغنية الحقيبة هي أغنية الإذاعة الرسمية، بل وأغنية السودان الشعبية الأولى. وكان المطرب يأتي إلى الإذاعة ليؤدي وصلته الغنائية على الهواء مباشرةً، وبعد أن ينتهي يخرج مع فرقته من بوابة الإذاعة ليجد تظاهرةً من المعجبين الذين يتجمهرون خارج المبنى ليشاهدوا ذلك الفنان الذي كان يغني في الراديو.

وفي الواقع لم تكن الأستديوهات مهيئةً بشكل علمي مريح، وإنما كانت مجرد غرف صغيرة تم تجهيزها بوضع بعض العوازل المتواضعة من مادة الفلين وخشب الأبلكاش حتى تمتص الصوت

وتساعد على إذابة الصدى الذي يعود دائماً من الحوائط العادية. ورغم ذلك الجهد الذي بذله المهندسون والفنيون، إلا أن مستوى الأستديوهات ظل متواضعاً بمقاييس العصر الحديث.

وكانت سخونة الأستديو، وانتظار المطربين الطويل داخله قبل تقديم وصلاتهم الغنائية مدعاةً للقلق والتعب، ولكنهم صبروا على تلك الظروف من أجل المستمع، ومن أجل الفن الذي تحف طريقه المصاعب والتضحيات الجسام. وقد استمر ذلك الحال حتى أحدثت الإذاعة تطوراً آخر في مجال أجهزتها الفنية.

ففي عام 1949م أدخل لأول مرة نظام التسجيل على الأسطوانات. وكان من أول المواد التي تم تسجيلها على الأسطوانات هو الغناء ثم الأحاديث ثم الخطب السياسية والمقابلات الإذاعية. وقد حملت الأسطوانات للمستمعين أصوات كرومة وسرور والأمين برهان وزنقار وعبد الله الماحي وإبراهيم عبد الجليل وشقيقه التوم عبد الجليل الذي ترك الغناء في نهاية المطاف وتصوف في بيته الذي أصبح لا يفارقه إلا إلى المسجد المجاور لمنزله في حي الموردة بأم درمان.

كان الفنان يتقاضى مبلغ خمسين قرشاً نظير تسجيله للأغنية. ولا يتجاوز هذا المبلغ إلا في حالات نادرة. ولم يكن نظام الاسطوانات هذا حكراً على الإذاعة وإنما كان **(ديمتري البازار)** أحد أبناء الحقيبة الأوفياء، يأخذ المطربين إلى القاهرة فيسجل لهم الأغنيات على

الأسطوانات التي كانت تباع لجمهور المستمعين فيقتنيها الموسرون الذين يملكون أجهزة الفونوغراف Phonograph. ولذلك السبب سافر معظم المطربين إلى مصر، وسجلوا أعمالهم الغنائية التي وصلت للمستمعين عن طريق تلك الأسطوانات.

كان من ضمن الذين سجلوا أغنيات في مصر الشاعر والأديب المطبوع خليل فرح. ولما لم يكن الخليل في الأصل مغنياً فإن هناك قصةً وراء ذلك التسجيل الخالد الذي حفظ للأجيال صوت الخليل المغني. وقد روى قصة تسجيل الخليل هذه الأستاذ المرحوم **(محمود فلاح)** صاحب ومؤسس دار فلاح للغناء الشعبي الكائنة في حي الملازمين بأم درمان. حيث جئنا لزيارته في أحد أيام عيد الأضحى لعام 1988م في داره العامرة بأهل الفن والطرب، وكان في معيته الشاعر الكبير محمد بشير عتيق رحمه الله. وتشعبت بنا المواضيع التي طرقناها عن تاريخ الفن بالسودان حتى وقفنا عند خليل فرح، فقال فلاح:

((لم يكن خليل فرح مغنياً أصلاً، رغم أنه كان مبدعاً متفرداً في كل ضروب الفن من شعر وتلحين لم يضارعه فيه أحد من أبناء جيله. ولكنه لم يكن مغنياً على الإطلاق)).

والشيء الذي جعل الخليل يغني ويسجل بعض الأغنيات هو أنه في يوم من الأيام مرض مرضاً شديداً، حيث كان يداهمه السل من

وقت لآخر. فنصحه الأطباء بالسفر إلى مصر لتلقي العلاج في مستشفياتها. وتم الاتفاق بين الخليل وبعض المطربين الكبار ممن كانوا يتغنون بأغنياته بأن يسجلوا بعض أعماله لشركات الأسطوانات بالقاهرة وعلى رأسها بالطبع شركة **(أوديون)** Audio التي درجت على تقديم أعمال المطربين السودانيين. وذلك ليستفيد من نصيبه المخصص له من المال كشاعر وكملحن ويدفعه للأطباء المشرفين على علاجه.

سافر الجميع بصحبة خليل فرح إلى القاهرة. وسجل المطربون الأغنيات المتفق عليها. ولكن بدلاً من إعطاء المال للخليل ركبوا أول قطار متجه نحو الجنوب وعادوا إلى السودان وتركوه في رصيف الانتظار. ولما لم يكن هناك بد من تحصيل مبلغ من المال للإنفاق على العلاج فقد اقترح العالمون بمواهب الخليل عليه أن يعبئ أسطوانات بصوته ليأخذ الأجر كاملاً كمغني وملحن وشاعر، ثم ينفقه على علاجه.

وبالفعل رضخ الخليل لأمر أصدقائه لأنه لم يكن منه مفر رغم أنه كان يرفض تماماً قبل ذلك مبدأ التسجيل بصوته. وسجل لشركة الأسطوانات رائعته الخالدة **(عازة في هواك)**، وقصيدة الشاعر عُمر بن أبي ربيعة **(عَبْدَةْ)** التي يقول في مطلعها؛ أعبدةُ لا ينسى مودتَكِ القلبُ، والتي يقول فيها:

إنْ تقبلي يا عَبْدَةْ تَوبةَ تائبٍ   يَتُبْ وإنْ لم يَكُنْ له أبداً ذَنْبُ

ولا تزال هاتان الأغنيتان بمكتبة الإذاعة إلى اليوم، حيث تم نقلهما من الأسطوانات إلى الشريط المغنطيسي إبان محرقة الأسطوانات الشهيرة بالإذاعة. وليس لخليل فرح غيرهما من الأغاني المسجلة بصوته في المكتبة.

الإذاعة رائدة الغناء الوطني

لا غرو أن كل الذين عايشوا فترة قيام الإذاعة كانوا شغوفين بالوطنيات التي كتبها الشعراء الرواد أمثال إبراهيم العبادي، وخليل فرح، وعبيد عبد النور، ويوسف مصطفى التني، وحدباي أحمد عبد المطلب، ومحمد بشير عتيق، وعمر البنا، وغيرهم من شعراء الوطنيات. وكان لقصيدة الشاعر والإذاعي عبيد عبد النور **(أم ضفاير)** وقعُ السحر على نفوس المستمعين في تلك الفترة، لأنها كانت تمثل أول الأعمال المباشرة لاستنهاض المرأة السودانية كي تكافح جنباً إلى جنب مع الرجل، وتعمل من أجل استقلال السودان، حيث يقول مطلعها:

يا امْ ضَفايِرْ قُودِيْ الرَّسَنْ   واهتُفِي يحيا الوَطَنْ

أصـــلو مُـــوتاً فُـــوقْ الرِقَـــابْ   كـــانْ بالبنـــادقْ كـــانْ بالحُـــرابْ

لقد كانت تلك من الأغنيات التي ألهبت الحماس وأشعلت لهيب الثورة في نفوس الوطنيين منذ العشرينيات. وانتشرت بعدها موجة الغناء الوطني الذي أدى إلى زعزعة ثقة المواطنين في الانجليز. وكانت الأغنيات الوطنية قد شحنت بالنزعة الاستقلالية آنذاك، وطغت عليها نزعة التعبير عن روح الرفض للاستعمار، وكان لكل ذلك بالطبع ملابساته وخلفياته.

ولو رجعنا قليلاً إلى ما قبل نشأة الإذاعة أي الفترة التي تلت عام 1925م وتفحصنا طبيعة الوضع السياسي في البلاد لوجدنا أن قوة المثقفين آنذاك قد شكلت خطراً مباشراً على الوجود البريطاني خصوصاً بعد ظهور حركة **(وطني ناصح أمين)** وحركة 1924م وما تلاها. حيث كانت هناك قوة سياسية تتمثل في الشباب الموالي لمصر، وهم الذين كانوا ينادون بالاستقلال في ظل الوحدة مع مصر، ومنهم علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين وعبد الفضيل الماظ ورفاقهم.

والقوة السياسية الثانية كان على رأسها السيد عبد الرحمن المهدي الذي كان الإنجليز يعتبرونه خطراً غير مباشر على وجودهم بالسودان. وقد فرض الإنجليز كنتيجة لتحركات الشباب السوداني حرباً عنيفةً ضد المثقفين، وحاولوا قهرهم بشتى الأساليب والسبل. وأغلقوا عدداً من المدارس مثل مدرسة الإدارة والمدرسة الحربية وغيرها.

وطوال تلك الفترة رفض الإنجليز أن يفتحوا أي مدرسة في شمال السودان، خوفاً من عدوى المظاهرات والعصيان ضد سياستهم. وإمعاناً في فرض تلك السياسة حاربوا العلاقات الثقافية بين مصر والسودان، ومنعوا حتى تداول الصحف المصرية بين السودانيين، كما منعوا الطلاب الذين يودون السفر للدراسة في مصر من مغادرة السودان.

وحاول الإنجليز أيضاً إجهاض القوة السياسية الثانية بقيادة السيد عبد الرحمن المهدي، وذلك بتقليل مطامح السيد عبد الرحمن السياسية. حيث كانوا يظنون أن إلهاءه عن السياسة لا يتم إلا بتوفير المال له لينشغل ببناء ذاته اقتصادياً ومادياً فيتوقف عن مناكفة الإنجليز. ولتحقيق ذلك دعموه بالقروض المالية الميسرة التي اعتبروها فيما بعد هديةً له كجزء من المخطط المرسوم والذي بدا أنه قد فشل ولم يؤت أكله. حيث كان السيد عبد الرحمن يفيض بالشعور الوطني شأنه شأن بقية المثقفين الوطنيين الذين ناضلوا من أجل الاستقلال. ومن ناحية أخرى حاول الإنجليز حظر حرية التعبير على شباب القوى الوطنية من خلال وسائل الإعلام خاصةً الصحف التي بدأت تزدهر آنذاك كصحيفة حضارة السودان.

ولما أحس الوطنيون بمخططات الكبت السياسي والثقافي وتعثر حرية التعبير المباشر لجأوا إلى الأدب والغناء. وكانت تلك من

الأسباب المباشرة لانطلاقة الغناء الوطني في السودان والذي لعبت الإذاعة دوراً كبيراً وهاماً في غرسه في وجدان المواطنين المتعطشين لكل نسمةٍ من نَسَماتِ الحرية تهب عليهم. وانطلق ميكرفون الإذاعة في أحد أيام عام 1942م يُردد [102]:

في الفـــؤادْ تَرعــــاهُ العِنايــــةْ	بــينْ ضُــلوعِي الــوطنْ العزيـــزْ
لِي عِــــداهُ بَسَـــوِّيْ النِكايـــةْ	وانْ هُزِمْـــتَ بلملِـــمْ قُـــوايَ
غــيرْ ســلامتَكْ مــا عِنــدِي غَايَــةْ	إنشـــالله تَسْــلمْ وطـــني العزيـــزْ

ظهرت من خلال تلك الأغنية الوطنية مشاعر الرفض المتوقد لممارسات المستعمر. وتجلى ذلك في التغني بحب الوطن والتفاخر بخيراته التي جعلت المغني يرفض مؤسسات الاستعمار مهما كانت أهميتها تعبيراً عن حِسِّهِ الوطني:

نحْــــنَ والقوميـــــةْ النبيلــــةْ	مـــا بنــــدورْ عَصــــبيةَ القبيلــــةْ
تــــرَبِّيْ فينـــا ضــــغائنْ وَبِيْلَــةْ	تزيـــدْ مصـــايبْ الـــوطنْ العزيـــزْ

بالطبع لم تقف الحكومة البريطانية مكتوفة الأيدي أمام هذا الرفض المؤسس لأطروحاتها السياسية والتعليمية والثقافية، لذلك شن

102 قصيدة في الفؤاد ترعاه العناية كتبها الشاعر يوسف مصطفى التني.

المستعمرون حرباً ضروساً ضد هذا النمط من الغناء، وزجُّوا بالشعراءِ والمغنين في غياهب السجون. وأصبحت الإذاعة تردد مثل تلك الأغاني في حذر شديد فرضته الرقابة المستمرة على البرامج. وقد استدعى ذلك الحذر ظهور نوع من الغناء الرمزي الذي يحتمل أكثر من معنى بغرض التمويه وتضليل المستعمرين.

لم يكن التعبير يرمي إلى ظاهر المفردات، وإنما يرمي إلى ما وراء المعنى الظاهري والذي كان أعمق بكثير في مدلولاته، فجاءت أغنية:

عازة في هواك نحن الجبال   وللبخوض صفاك نحن النبال [103]

ولم يطل انتظار الوطنيين لفجر الخلاص، حيث رفعوا رايات الاستقلال في الأول من يناير 1956م. وانهمر سيل الغناء الوطني من خلال الإذاعة حاملاً المضامين الجديدة للوطن الكبير. وظلت إذاعة أم درمان هي البوتقة التي انصهر فيها كل غناء الوطن، ولم تزل رفوفها تحمل المئات من تلك الأعمال التي خلدت على مر الزمان.

توالى ظهور المطربين من خلال إذاعة أم درمان، التي لم تبخل بإعطاء كل صوت جديد فرصته حتى يثبت وجوده وينضم إلى

---

103 كَتَبَ قصيدة عازة الشاعر خليل فرح متحدياً بشموخ محبوبته عازة والتي صارت فيما بعد رمزاً للوطن.

كوكبة الفن. وقد ظل عدد المطربين المعروفين بالسودان يزداد يوماً بعد يوم، ومعظمهم له أغنيات بالإذاعة سواء من خلال التسجيلات الرسمية التي تمر عبر القنوات الفنية المعروفة أو من خلال بعض البرامج واللقاءات الخاصة.

وهناك بالطبع مَنْ لم يتمكنوا من دخول الإذاعة، إما لعدم تقدمهم لإجازة الصوت، أو لبعد المسافة بينهم وبين الأجهزة الرسمية. ولكن هؤلاء أقلية إذا قسناهم بالذين وجدوا فرصاً عبر الراديو.

وقد انتشر بعض المطربين من خلال قنوات أخرى كالحفلات الساهرة أو أجهزة التسجيل أو في بعض الأوساط الشعبية، خصوصاً المطربات اللائي ظهر كثير منهن من خلال ما يسمى بأغاني البنات، التي لا تجد طريقها إلى وسائل الإعلام إلا نادراً. حيث إنها تظل متداولةً بين الفتيات في بيوت الأفراح والمسارح العامة والخاصة. وقد بلغ عدد المطربين المعروفين بالسودان (372) مطرباً، رأينا أن ندرج أسماءهم هنا كجزء من التوثيق الذي يسعى هذا الكتاب إليه في كل ما يتعلق بعطاء الإذاعة الذي كان الغناء من أولى معطياته. وقد قمنا بترتيب أسماء هؤلاء المطربين ألفبائياً، وهم:

(إبراهيم إدريس، إبراهيم الكاشف، إبراهيم سليم، إبراهيم عوض، إبراهيم عبد الجليل، إبراهيم حسين، إبراهيم خوجلي، إبراهيم موسى أبا، أبو عركي البخيت، أبو عبيدة حسن، أحمد الجابري، أحمد الطيب،

أحمد الفرجوني، أحمد المصطفى، أحمد شارف، أحمد فرح، أحمد فلاح، أحمد شاويش، أحمد عبد الرازق، أحمد عمر الرباطابي، أحمد موردة، إدريس إبراهيم، إدريس الأمير، آدم شاش، أزهري الأمين، أسامة الشيخ، إسحق كرم الله، أسماء الشيخ، إسماعيل حسب الدائم، إسماعيل سيد الربابة، إسماعيل عبد المعين، الأمين البنا، الأمين برهان، الأمين عبد الغفار، الأمين علي سليمان، البلابل، التاج مصطفى، التاج مكي، التجاني السيوفي، التجاني حسين، التجاني مختار، التوم عبد الجليل، الجقر، الجيلي الشيخ، الجيلي عبد الماجد، الخير عثمان، الرحمة مكي، الرشيد كسلا، الزاكي بشير، السماني فضل الله، الشيخ شمبات، الصافي حامد، الصافي محمد أحمد، الطيب سمسم، الطيب عبد الله، الطيب مدثر، الطيب مصطفى، الطيب مهران، الطيب وداعة، العاقب محمد حسن، الفاتح قميحة، الفاتح كسلاوي، القلع عبد الحفيظ، المريود أحمد طه، المكاشفي خضر بشير، الناس تعرف عبد الله، النعام آدم، النور حسنين، الهادي حامد، المهم الشرق، آمال النور، أماني مراد، أم الحسن الشايقية، أم بلينة السنوسي، أمير قدوري، أمير يونس، أنس العاقب، إنعام صالح، أولاد البيت، أولاد الموردة، أولاد أم در، أيوب عبد الرحيم، أيوب محمد الحاج، بابكر ود السافل، بابكر الذكار، بادي محمد الطيب، بت مقي، بتول عطا السيد حمامة، بشير عبد العال، بكري حسن، بكري

مصطفى، بلال موسى، بندة، بنونة بت المك، بهاء الدين عبد الرحمن، بهاء عبد الكريم، تريزا، تيمان عطبرة، ثنائي الجيل، ثنائي الجزيرة، ثنائي الدبيبة، ثنائي الشمالية، ثنائي العاصمة، ثنائي العامراب، ثنائي القنا، ثنائي النغم، ثنائي المحيريبا، ثنائي أم در، الثنائي الوطني، ثنائي راجا، ثنائي كردفان، ثنائي ود نوباوي، جبارة محمد النعيم، جلال الصحافة، جمال سرور، جيلاني الواثق، حافظ عبد المنان، حسن الأمين، حسن بدير، حسن خليفة العطبراوي، حسن سليمان، حسن ضرار، حسن عجاج، حسن عطية، حسين أبو عرب، حسين شندي، حلمي جاويش، حمد البابلي، حمد الريح، حمد الشريف، حمزة علاء الدين، حنان إبراهيم، حنان أحمد، حنان النيل، حنان بلوبلو، حواء التمتم، حواء حمد الطقطاقة، حواء بنزين، حيدر بورتسودان، حيدر حدربي، حيدر محمد أحمد، خالد محجوب، خالد كرم الله، خالد محمد أحمد، ختم وحسن، خضر بشير، خلف الله حمد، خليل إسماعيل، خليل فرح، خوجلي عثمان، دفع الله عبد القادر، رمضان حسن، رمضان زايد، زكي عبد الكريم، زنقار، زهري مان، زيدان إبراهيم، زينب الحويرص، زينب خليفة، سامي المغربي، سامية محمد أحمد، سبت عثمان، سمية الشيخ، سمية حسن، سميرة دنيا، سيد الجعلي، سيد خليفة، سيف الدين قدقود، سيف الجامعة، شرحبيل أحمد، صابر محمد أحمد، صالح الضي، صالح يس، صالح حسين،

صالح ولولي، صديق أحمد، صديق الكحلاوي، صديق سرحان، صديق عباس، صديق متولي، صلاح إبن البادية، صلاح براون، صلاح درويش، صلاح عركي، صلاح كوستي، صلاح محمد الحسن، صلاح محمد عيسى، صلاح مصطفى، صفوت الجيلي، طه جفون، طيبة الهاشمي، عائشة الفلاتية، عائشة متيانق، عابدة الشيخ، عادل أحمد الطيب، عادل التجاني، عادل الصديق، عادل الطيب، عادل كنوز، عامر الجوهري، عباس تلودي، عبد الباقي محمد أحمد، عبد التواب عبد الله، عبد الجليل أبو حراز، عبد الحميد يوسف، عبد الدافع عثمان، عبد الرحمن البركل، عبد الرحمن بشير، عبد الرحمن بلاص، عبد الرحمن عبد الله، عبد الرحمن عجيب، عبد الرحمن مقاشي، عبد الرحيم أرقي، عبد الرحيم الأمين، عبد الرحيم البركل، عبد الرحيم الكرو، عبد الرحيم سليمان، عبد الرحيم شنان، عبد العزيز العميري، عبد العزيز المبارك، عبد العزيز محمد داؤد، عبد العظيم حركة، عبد العظيم منصور، عبد الفتاح السقيد، عبد الفتاح عباس، عبد القادر الكتيابي، عبد القادر سالم، عبد القيوم الشريق، عبد الكريم الكابلي، عبد اللطيف أحمد إدريس، عبد اللطيف خضر، عبد اللطيف عبد الغني، عبد الله البعيو، عبد الله الحاج، عبد الله الفزاري، عبد الله الكردفاني، عبد الله الماحي، عبد الله دينج، عبد الله شول، عبد الله محمد، عبد الماجد أحمد، عبد المنعم الخالدي، عبد المنعم حسيب،

عبد المنعم يوسف الخضر، عبد الوهاب التازي، عبد الوهاب الصادق، عبده الصغير، عبده كدباس، عبود تبوري، عبيد الطيب، عثمان الأطرش، عثمان الشفيع، عثمان ألمو، عثمان اليمني، عثمان حسين، عثمان حميدة، عثمان زرياب، عثمان زيدان، عثمان سنطة، عثمان عوض الله، عثمان مصطفى، عز الدين أحمد المصطفى، عز الدين عبد الماجد، عز الدين مزمل، عصام محمد نور، عصمت اللبني، علي إبراهيم، علي إبراهيم اللحو، علي السقيد، علي الشاطئ، علي العجيمي، علي العمرابي، علي اليمني، عماد أحمد الطيب، عماد الكاشف، عماد يوسف، عمار السنوسي، عمر إحساس، عمر أحمد، عمر البنا، عمر الشاعر، عمر الشريف، عمر الفحيل، عمر بانقا، عمر عبده، عوض الجاك، عوض الكريم عبد الله، عوض وإبراهيم شمبات، عوض عابدون، عيسى بروي، فاطمة الحاج، فتحى المك، فتحى حسن، فتحى حسين، فضل محمد فضل، فضيل، فيصل الخير، فيصل الصحافة، قسمة، كرومة، كمال ترباس، كمال كيلة، مأمون عوض صالح، مبارك حسن بركات، مجموعة عبد الماجد خليفة، محجوب عثمان، محجوب كبوشية، محمد أحمد سرور، محمد أحمد عوض، محمد الأمين، محمد الحسن قيقم، محمد الحويج، محمد الصادق، محمد بخيت، محمد تركي، محمد جبارة، محمد حسنين، محمد خضر، محمد سلام، محمد سيد أحمد، محمد شول الأحمر،

محمد عجاج، محمد علي ود الجديد، محمد كرم الله، محمد مسكين، محمد ميرغني، محمد نور الدين، محمد ود الفكي، محمد وردي، محمداني مدني، محمود الكنزي، محمود تاور، محمود عبد العزيز، محمود علي الحاج، محمود فلاح، محفوظ عليش، مريسيلة، مصطفى سيد أحمد، مصطفى شريف، مصطفى متولي، معاذ الفاضل، معاوية علي عبد الرحيم، معتصم بشير الحضري، مكي البغدادي، منال بدر الدين، منى الخير، منى السيد، مهلة العبادية، مهيرة بت عبود، ميرغني المأمون وأحمد حسن جمعة، ميرغني النجار، ميرغني سكر، نادية البنا، نجم الدين الفاضل، نعوم عبد الكريم، نورا، نور الدائم الخضر، نور الجيلاني، هادية طلسم، هاشم بابنوسة، هاشم حسن، هاشم عثمان، هاشم ميرغني، ود البلد، ود السر، وليد زاكي الدين، وليم أندرية، يحيى إبراهيم أدروب، يس عبد العظيم، يعقوب القرير، يوسف الموصلي، ويوسف فتاكي).

على أن بعض هؤلاء المطربين قد ظهروا من خلال الفرق الفنية العديدة التي ظهرت في المدن لاسيما العاصمة المثلثة، خصوصاً في أواخر عقد الستينيات وأوائل عقد السبعينيات. وكل فرقةٍ من هذه الفرق تحتوي عدداً من العازفين للآلات الموسيقية المختلفة. كما يضم بعضها مُطرباً أو أكثر للأداء الصوتي المصاحب للموسيقى. وهذه الفرق الفنية هي:

(فرقة البساتين بقيادة إسماعيل عبد المعين، فرقة آل البيت، فرقة جاز الديوم، فرقة جاز وليم أندرية، فرقة الريد استونز، فرقة السحر، فرقة السلام، فرقة السكة حديد عطبرة، فرقة السمندل، فرقة السموءل، فرقة العقارب، فرقة النجوم بقيادة محمد عبد الله محمدية، فرقة النيل، فرقة أم بايللي بقيادة عبد الله إبراهيم أميقو، فرقة ديفيد قروب بقيادة أحمد داؤد، فرقة عقد الجلاد بقيادة عثمان النو، فرقة هاي لايف، فرقة هارامبي، فرقة ساورا، فرقة سلاح الموسيقى، فرقة مرافئ، فرقة سلاح النقل، فرقة سكة سفر، فرقة فنون كردفان، فرقة فنون دارفور، فرقة نمارق، فرقة كواتو، فرقة ود الحاوي بقيادة عبد اللطيف خضر).

وتضم إدارة البرامج بإذاعة أم درمان عدداً من الأقسام هي: **(قسم المنوعات)، (قسم الدراما)، (قسم الإخراج)، (قسم البرامج الخاصة)، (قسم الثقافة)، (قسم البرامج الدينية)، (قسم التنسيق)، (القسم الرياضي)، و(قسم المذيعين).**

وفي الصفحات التالية نسلط بعض الأضواء على كل واحد من هذه الأقسام، نشأته، وطبيعة عمله، والدور الذي يقوم به، إلى جانب العنصر البشري الذي يؤدي العمل فيه منذ تأسيسه وحتى تأليف هذا الكتاب.

قسم المنوعات

يعتبر قسم المنوعات الجهة المسؤولة عن معظم برامج الإذاعة. حيث تتبع له جميع البرامج ذات الصفة الترفيهية والغنائية والموسيقية. والقسم شأنه شأن بقية الأقسام بالإذاعة يعمل بنظام الدورات الإذاعية، حيث يجهز برامجه مع بداية كل دورة جديدة، ويقوم بتنفيذها من خلال هيكل البرنامج العام.

وقد ظلت بعض البرامج ثابتة في هيكل قسم المنوعات على مدى الأربعين عاماً الماضية وهي: **(ما يطلبه المستمعون)**، **(حقيبة الفن)**، **(ركن الأطفال)**. وقد ابتكر القسم بعض البرامج التي ارتبطت باسمه مثل برنامج **(مجلة المنوعات)** وبرنامج **(سهرة المنوعات)** وغيرها من البرامج الدورية. وبالطبع فإن جميع سهرات الإذاعة تنبع من داخل قسم المنوعات، ما عدا السهرة الثقافية وسهرة الجمعة الدينية. وذلك لأن برامج المنوعات تعتمد أساساً على المادة الترفيهية مثل المعلومة والموسيقى والغناء والشعر والطرفة والقصة والحوار وغير ذلك من الفقرات ذات الطابع الفني. ومن البرامج التي أسهم بها قسم المنوعات طوال عمله ووجدت قبولاً من المستمعين، حتى صارت جزءاً من تاريخ الإذاعة برنامج **(الصباح)**.

وقد تمرحل هذا البرنامج مع تطور الزمن فكان يسمى **(إشراقة الصباح)** عندما كان يعده ويقدمه الأستاذ حمدي بولاد. وقد شاركت في

تقديمه الأستاذة ليلي المغربي التي كانت إذاعيةً ناشئةً في ذلك الوقت، وما لبثت أن انفردت بإعداده وتقديمه. واستمر ذلك البرنامج لسنوات عديدة بعد أن أصبح اسمه **(نفحات الصباح)**. وفي عام 1974م تحول البرنامج إلى **(عرض الصباح)**. وأصبح يقدم مشاركةً بين قسم المنوعات والأخبار الصوتية التي تمده بفقرات يومية هي التقارير الصوتية والمقابلات القصيرة التي تلمس بعض الأمور العامة المرتبطة بقضايا الدولة. وقد أسندت مهمة إعداده لفترة طويلة للأستاذ محمد مصطفى محمد أحمد. بعد ذلك أسندت الإذاعة مهمة إعداده لعدد من الأساتذة مبديةً بعض الملاحظات بأن الكاتب قد نحى به منحىً أقرب إلى فلسفة اليسار التي لم تكن تتمشى مع سياسة الدولة.

بعد تلك المرحلة رأى قسم المنوعات أن يوظف البرنامج أكثر فأكثر لخدمة القضايا الوطنية، فأضفى عليه الطابع الوطني السياسي. وتغير اسمه تبعاً لذلك إلى **(صباح الخير يا وطني)**. وكلف بكتابته بالتناوب الأساتذة:

(الخاتم عبد الله، ذو النون بشرى، سعد الدين إبراهيم، عوض إبراهيم عوض، وأحمد عبد المجيد). وأسند تقديمه إلى عدد من المذيعين ارتبطوا به لسنوات عديدة ومنهم سكينة عربي، عمر عثمان، كمال محمد أحمد، كمال محمد الطيب، أحمد عبد المجيد، الخاتم عبد الله، عوض إبراهيم عوض، محاسن سيف الدين، إكرام

الصادق، عبد الكريم قباني، الطيب قسم السيد، حسن محمد دوكة، رجاء حسن حامد، شادية خليفة، نجاة كبيدة، نجوى مهدي، حامد عبد الرؤوف، محمد عبد الكريم، إسراء زين العابدين، طارق كبلو وغيرهم.

وفي اليوم الخامس من شهر يوليو عام 1988م بدأ قسم المنوعات تقديم برنامج الصباح بشكل جديد وهو تقديم جميع الفقرات حيةً على الهواء بما فيها الاتصالات التلفونية المباشرة ومخاطبة الجهات المسؤولة والمؤسسات والأفراد.

وأسهم البرنامج بذلك في حل كثير من المشاكل كمشاكل الطرق وأزمة المرور وإصلاح الشوارع والتنبيه لبعض الممارسات الخاطئة في الأسواق وبعض المكاتب الحكومية، حيث كان يشير إلى الداء ويبين الدواء. وظل يشير إلى المسؤولين بأسمائهم، مما أشاع كثيراً من الخوف والحذر في أوساط المؤسسات التي كانت تخشى الإشارة إليها.

وظهر أن ذلك الأسلوب قد استهوى عدداً من المستمعين والمسؤولين حتى أن السيد رئيس الوزراء **(الصادق المهدي)** قد زار أسرة البرنامج يوماً وهم على الهواء في داخل الأستديو وأثنى على الدور الكبير الذي بدأ يلعبه البرنامج لدى إنسان السودان. كما اتصل بالبرنامج أيضاً السيد وزير النقل والمواصلات وتبرع بخط تلفوني مباشر للبرنامج حتى يؤدي دوره بكفاءة. كانت فكرة وتنفيذ هذا البرنامج

بذلك الشكل قد نبعت من **(معتصم فضل وعوض إبراهيم عوض)** الذينِ ظلا يقدمانه بذلك الشكل لشهور عديدة. ورغماً عن إلحاحهما على بعض الزملاء للانخراط معهما في ركاب البرنامج إلا أنه قد بدا وكأن الآخرين قد تهيبوا الفكرة في بدايتها. ولكن شيئاً فشيئاً انخرط بعض المذيعين تدريجياً في ركاب تقديم البرنامج على الهواء، حيث كان أول المبادرين للمشاركة فيه المذيع الشاب **(سيد أحمد زكي)** وكان وقتها مذيعاً ناشئاً.

ثم جاء بعده **(حامد عبد الرؤوف)**، وبعد ذلك توالى ظهور عدد من الأصوات من خلال البرنامج المذاع على الهواء ومنهم: **(محمد عبد الكريم، طارق كبلو، عماد همام، نجاة كبيدة، إسراء زين العابدين)** وغيرهم. من الأفكار الجريئة التي نفذها قسم المنوعات أيضاً فكرة **(اليوم المفتوح)** و**(يوم النيل)** التي استنبطها الأستاذ محمود أبو العزائم مدير الإذاعة.

وهناك أيضاً فكرة **(الأتيام الإذاعية)** المتنافسة في أيام الأعياد والمناسبات الكبيرة والتي تقسم فيها الأيام بين فريقين أو ثلاثة لتقديم فقرات تنافسية طوال اليوم. وكان كل فريق يحتفظ بتفاصيل مواده سراً حتى لا تتسرب إلى الفريق الثاني.

ورغم أنه لم تكن هناك جوائز ماليه تقدم للفريق الفائز، إلا أن عبارات التشجيع والإطراء والتقويم الفني الدقيق لعمل الفرق كان يترك

أثراً كبيراً وجميلاً في نفوس الفائزين. وكانت الفرق المتنافسة تتكون في الغالب من: (**معتصم فضل الذي أصبح نائباً لمدير عام الإذاعة، صلاح الدين الفاضل، حمزة مصطفى الشفيع، بخيت أحمد عيساوي، ليلي المغربي، عوض إبراهيم عوض، ذو النون بشرى، محاسن سيف الدين، عمر عبد المنعم، عطية الفكي، صلاح الدين التوم، عبود سيف الدين، شاذلي عبد القادر، عمر إسماعيل العمرابي، محمد خفاجة**)، وغيرهم من مذيعين ومخرجين ومقدمي برامج. كان يوم الوفاء الذي قدمته الإذاعة عند مرور أربعين يوماً على وفاة الفنان الكبير (**عبد العزيز محمد داؤد**) يوماً مشهوداً في الإذاعة السودانية.

كانت فكرة اليوم من ابتكار مدير الإذاعة وقتها الأستاذ محمد سليمان البشير الذي خطط مع الأتيام الإذاعية لعمل يوم كامل في تلك المناسبة وفاء للراحل الكبير الذي أثرى مكتبة الإذاعة بعشرات الأعمال الفنية الخالدة على مدى ما يزيد عن أربعين عاماً.

كان اليوم أحد أيام الجُمع، حيث يتفرغ معظم الناس لمتابعة برامج الإذاعة بحكم وجودهم في البيوت بين أسرهم. وتحركت الفرق الإذاعية المختلفة لتسجيل كل المواد المتعلقة بحياة الراحل الكبير. مما جعل اليومَ يخرج في أجمل صورة، وبدا وكأنه تحفةٌ فنيةٌ أشاد بها كل من استمع إليها رغماً عن الطابع الحزين الذي أضفاه على كل ساعات الإرسال.

يضم قسم المنوعات عدداً من الإذاعيين الذين عملوا كمقدمي برامج. وقد عمل به في فترات مختلفة الإذاعيون:(**ذو النون بشرى، السر محمد عوض، صلاح الدين الفاضل، سعاد أبو عاقلة، محاسن سيف الدين، سهام العمرابي، ناصر الشيخ إدريس، علوية آدم، شادية خليفة، شادية جوبا، آمال عثمان، سعاد سر الختم، حامد عبد الرؤوف، عباس ساتي، وسر الختم محمد علي**).

قسم الدراما

ظلّ تاريخ الإذاعة السودانية حافلاً بتقديم العديد من المسلسلات والتمثيليات والبرامج الدرامية. ولعل الدراما قد انتعشت في الإذاعة بعد دخول فرقة ميسرة السراج وخالد أبو الروس إلى العمل الإذاعي حيث كانوا يعتبرون مع الأستاذ إبراهيم العبادي وإسماعيل خورشيد الرعيل الأول للمبدعين في هذا المضمار بالإذاعة السودانية. وقد حملت الدراما الإذاعية عدداً من المؤشرات القومية والوطنية التي ظلت تخدم قضايا الإنسان السوداني.

وكانت بواكير الدراما السياسية بالإذاعة قد ظهرت مع مسرحية (المك نمر) التي كتبها الأستاذ الشاعر (**إبراهيم العبادي**)، وكانت تركز على السرد التاريخي لحقبة زمنية عاش فيها السودان نضالاً مستميتاً من أجل الحرية وصد الغزاة. وجاءت خراب سوبا التي

قدمتها الإذاعة كتمثيلية وطنية هادفة بعد أن قدمت على خشبة المسرح القومي. وبعد ذلك أعاد الأستاذ (**حسن عبد المجيد**) الحماس للدراما الإذاعية من خلال تمثيليته الهادفة (**الميراث**)، التي عالج فيها قضية الصراع السياسي بين الوطنيين والحكم البريطاني إبَّان ثورة 1924م.

بعد ذلك جاءت التمثيلية الإذاعية (**الاستقلال**) للأستاذ (**إسماعيل خورشيد**) لمعاجة نفس الموضوع. وقد فتحت هذه الأعمال آفاقاً أرحب لتطور الدراما بالإذاعة. كانت هناك أيضاً إسهامات الأستاذ (**حمدنا الله عبد القادر**) الذي أعطى الإذاعة مجموعةً من الروائع التي خلدت كمحطات مضيئة في تاريخ الدراما الإذاعية بالسودان. من ذلك مسلسل (**خطوبة سهير**) و(**حكاية نادية**) و(**حكاية صِدِّيق**).

ورغم أن الرؤية الاجتماعية هي الغالبة على كتابات الأستاذ حمدنا الله. فنرى أن الأب كان شغوفاً ببنته سهير ومواظباً على جلسات السكر واللعب، وكانت الأم كواحدة من النساء شغوفةً بالمباهاة والتفاخر بالحياة الأرستقراطية التي تدعي أنها تعيشها ولو كذباً من خلال سماعة التلفون. وكأن الجميع قد كانوا يطمحون لتغيير الظروف المحيطة بكل شخصيات العمل الدرامي، حتى أبو يمن صاحب الدكان الذي ضاق بواقع الحياة المغشوش الذي لم يتغير لدى سكينة وهي تكذب عليه كلما حان أوان تسديد الفواتير ودفع الديون المتراكمة على

الأسرة. ويستمر الصراع بأطرافه المختلفة، الجزار والغسال والبقال، الذين يمثلون شرائح المجتمع الطبيعي، والكل ينصب في إطار المجتمع المسحوق بمقاييس العصر. وقدمت الإذاعة تمثيلية حكاية تحت الشمس السخنة التي كانت انتقالةً واضحة في مجال التكنيك الإذاعي، بحكم أنها جاءت مزيجاً من الدراما والغناء والموسيقى.

وظهر من خلال ذلك توظيف الشعر من خلال العمل الدرامي، حيث كان الغناء المصاحب للحلقات بصوت المطرب أبو عركي البخيت، ملخصاً واضحاً للفكرة التي هي محور العمل الدرامي. كان لظهور الكاتب (**هاشم صديق**) دور كبير في إثراء حركة الدراما الإذاعية. وقد اعتبرت أعماله نقطة تحول مهمة في تاريخ العمل الدرامي بالسودانمن خلال المسرح والإذاعة والتلفزيون. حيث قدمت له العديد من الأعمال من بينها (**نبتة حبيبتي**)، (**الحاجز**)، (**قطر الهم**)، و(**الحراز والمطر**).

كانت نبتة حبيبتي عملاً مسرحياً متفرداً وصرخةً داويةً ضد الظلم والتوقوقع. وقد وضعت مؤشرات عديدة للثورة على الواقع الانهزامي والتخلف. وكانت قطر الهم عملاً إذاعياً حكى الكاتب من خلاله سرداً واقعياً للرحلة التي تبدأ في كل الحلقات:(**قطعنا السكة محطة محطة**) حيث كان الرمز لمدلولات أكبر من رحلة القطار. كانت الحقب التاريخية السالفة والممارسات السياسية عبر سنوات

الحكم الوطني هي مصدر الوحي الذي كون شخوص العمل الدرامي. أما الحراز والمطر فكانت تطمح لخلق المجتمع الجديد من خلال البطل الذي يمثل دور الأديب الثائر على واقعه المرير. وتفرض الرؤى التقدمية نفسها من خلال حلقات المسلسل لتؤكد عمق الرؤية السياسية لدى الكاتب. واستطاعت إذاعة أم درمان أن تستقطب عدداً من كتاب الدراما الذين يحملون رؤىً متفردة وأسلوباً متميزاً في الكتابة الإذاعية مثل: (حمدنا الله عبد القادر، صلاح حسن أحمد، أمين محمد أحمد، قريب محمد راجع، فضيلي جماع، سعد الدين إبراهيم، الخاتم عبد الله، وعبد الناصر الطائف).

وقد كانت هناك إسهامات من خلال بعض الشخصيات التي صنعتها الأحداث، مثل بت قضيم وكرتوب والعجب أمو التي يمثلها **(الفاضل سعيد)** وتور الجر **(عثمان حميدة)** وأبو قبورة **(محمود سراج)** وأبو دليبة **(عثمان أحمد حمد)** وود حامد الغرباوي **(حسن أحمد حسن)**.

وقد قدمت الدراما الإذاعية فقرات ثابتة لسنوات عديدة من برامج الأطفال للأستاذ الفكي عبد الرحمن **(عمكم مختار)**، ودكان ود البصير الذي يعده عبد المطلب الفحل، وقضاء التاريخ الذي يعده أبو قرون عبد الله أبوقرون، ورسائل من الحياة لصلاح حسن أحمد. وكانت هناك مسلسلات غيرت وجه الدراما الإذاعية بالسودان منها

(المقاصيف) التي أخرجها محمد طاهر، و**(قطر الهم)** التي أخرجها محمود يس، و**(خطوبة سهير)** التي أخرجها صلاح الدين الفاضل. لقد ظل هناك ارتباط وثيق بالإذاعة بين قسمي الدراما والإخراج للدرجة التي دمج فيها القسمان لسنوات طويلة، ثم انفصلا مرةً أخرى خلال السنوات الأخيرة. ولذلك فإن كل ما يقال عن قسم الدراما هو بالضرورة ينطلي على قسم الإخراج. ولذا فإننا نفرد هذه السطور القليلة القادمة للحديث عن قسم الإخراج بالإذاعة.

قسم الإخراج

بدأ قسم الإخراج قوياً في أدائه منذ البداية مع الأساتذة **(محمد طاهر)**، و**(أحمد قباني)**، و**(أحمد عاطف)**. وكان الغرض من إنشائه أن يشرف على إخراج المواد الدرامية بالإذاعة في شكل مسلسلات أو فقرات تمثيلية قائمة بذاتها. وقد اشتهرت عدد من هذه الأعمال وخلقت لنفسها قاعدةً عريضةً من المعجبين وسط وسط المستمعين. وكان القسم صغيراً في بداياته بحكم العدد القليل من المخرجين بالإذاعة آنذاك. ثم ما لبث أن انضم إليه عدد من المخرجين الذين تركوا بصمات واضحة في خارطة العمل الإذاعي بالسودان، ليس على مستوى القسم وإنما على مستوى الأداء الإذاعي بصورة عامة وهم: **(صلاح الدين الفاضل، معتصم فضل، محمود يس، شاذلي عبد**

القادر، بابكر الطاهر دكين، أبو القاسم هاشم، عمر إسماعيل العمرابي، محمد بشير دفع الله، عبود سيف الدين، صلاح الدين التوم، كمال عبادي، الطيب إبراهيم بانقا، شول دينج، عماد الدين إبراهيم، محمد خفاجة، عمر عثمان الجاك، طارق البحر، إبراهيم البزعي، أزهري العمرابي، أبوبكر الهادي، فائزة موسى، سوسن دفع الله، ماجوري أليناتا، خطاب حسن أحمد، ومحمد علي خضر)[104].

وهناك عدد من المخرجين الشباب عملوا بإذاعة صوت الأمة السودانية ولكنهم كانوا منضوين تحت إدارة قسم الإخراج وهم: **(فريد يوسف، صلاح الدين حواية الله، وسيد أحمد إبراهيم).**

قسم الثقافة

كان في بدايته يسمى قسم الأحاديث. وكان يشرف على كل المقابلات الإذاعية والمواد ذات الطابع الثقافي والأدبي والتاريخي التي يكتبها المتعاونون مع الإذاعة أو بعض المختصين من أبناء الإذاعة نفسها. ويعتبر قسم الثقافة أقل حظاً من حيث نسبة البرامج الموضوعة في الهيكل العام لبرامج الإذاعة على مدى تاريخها الطويل. حيث ظلت نسبة البرامج الثقافية تتراوح بين 12 و15% في معظم الدورات.

---

104 جاء محمد علي خضر في آخر السبعينيات من مصر وعمل لسنوات قليلة ثم غادر إلى الخليج العربي.

وفي نفس الوقت ظل عدد العاملين بالقسم أقل نسبياً مقارنةً بأقسام المنوعات، والمذيعين، والأخبار، والقسم السياسي. وكانت إدارة البرامج دائماً ما تقول إنَّ طبيعة الخدمة الثقافية الإذاعية هي التي تفرض تلك النسبة الأقل من البرامج الثقافية في هياكل الدورات المختلفة.

وبعد ذلك ظهرت إذاعة البرنامج الثاني، التي استحوذت على فكرة القسم الثقافي بشكل كبير. وبدا وكأن هذه الإذاعة الوليدة قد حلت محل القسم الثقافي وهيمنت على أراضيه، بحكم أنها تقدم خدمةً إذاعية مشابهة في كثير من السمات والأهداف وأسلوب المعالجة. وقد بدأ قسم الثقافة بموظفين اثنين، ثم تطور ليضم عدداً من خيرة الإذاعيين الذين يقدمون البرامج الثقافية.

وقد مر على إدارته كلٌ من: (**تاج السر محمد علي، الخاتم عبد الله، قرشي الطاهر، محمد سعيد دفع الله، أحمد عبد المجيد، عبدالدائم عمر الحسن، الطاهر محمد يس، عبد المطلب الفحل، سر الختم محمد علي، وخليفة جمعة الخليفة**). وقد عمل بالقسم أيضاً عدد من الإذاعيين هم: (**برير جاد الله، بثينة عثمان الطاهر، فاطمة أحمد علي، محمد توفيق أحمد، وقسم السيد محمد البشرى**).

قسم البرامج الدينية

في البداية كانت البرامج الدينية تتبع إلى قسم الأحاديث ثم ما لبثت أن انفردت بقسم البرامج الدينية الذي ترأسه في بداياته تاج السر محمد علي ثم قرشي الطاهر ثم محمد عبد الكريم. عمل معهم بالقسم نور الله الكامل وسر الختم عثمان وإبراهيم عبد الوهاب ومحمد حسن محمد علي.

وظل قسم البرامج الدينية يهتم بنقل صلاة الجمعة الأسبوعية من أحد المساجد الكبيرة بالعاصمة والأقاليم. كما ظل القسم حريصاً على تقديم سهرة الجمعة الدينية التي أشرف عليها لسنوات طويلة الأستاذ قرشي الطاهر ثم الأستاذ محمد عبد الكريم.

ومن برامج القسم اليومية الثابتة على مدى ما يزيد على العشرين عاماً البرنامج الصباحي اليومي **(نفحات الإيمان)** وبرنامج **(دراسات في القرآن الكريم)** الذي ظل يعاد كلما تنتهي إذاعة حلقاته منذ الستينات، وهو من تقديم الأستاذ عبد الله الطيب وتلاوة الشيخ الراحل صديق أحمد حمدون. ومنها برنامج **(في رحاب القرآن الكريم)** وبرنامج **(في رحاب السنة)** وبرنامج **(أدب المدائح)** الذي قدمه على مدى تسع سنوات الأستاذ قرشي محمد حسن وبرنامج **(من هدى النبوة)** وبرنامج **(مع القرآن الكريم)** وبرنامج **(سيرة ابن هشام)** الذي سجله للإذاعة في مطلع الستينات الأستاذ الأديب **(الطيب صالح)** قبل

أن يستقر به المطاف في بلاد المهجر. وكما أن قسم الموسيقى قد ظل يشرف على تسجيل جميع المواد الغنائية بالإذاعة، فإن قسم البرامج الدينية ظل هو الجهة الوحيدة التي تشرف على تسجيل جميع المواد الدينية، إسلاميةً كانت أو مسيحية. حيث ظلت الإذاعة تقدم إلى جانب المواد الإسلامية صلوات من الكنائس للمسيحيين السودانيين في مناسبات أعياد ميلاد المسيح وغيرها من المناسبات الدينية.

وقد أشرف القسم على تسجيل جميع تلاوات القرآن الكريم والمدائح النبوية بأصوات المادحين المختلفين للإذاعة. ويقوم القسم أيضاً بإجازة أصوات القارئين الذين يسجلون القرآن الكريم أو الأذان للصلاة. ومن الأعباء التي يقوم بها قسم البرامج الدينية أيضاً تنسيق إذاعة سور القرآن الكريم في البرنامج العام.

ويتم التشاور في هذا الأمر مع قسم التنسيق الذي يحتفظ بسجلات التلاوات الموجودة بالإذاعة. ومن ثم يتم ترتيب إذاعة تلاوات القرآن الكريم بأصوات مختلف القارئين، شريطة أن تبدأ من سورة الفاتحة ثم تستمر بالترتيب حتى تختم بسورة الناس. وبعد الانتهاء من ذلك تبدأ إذاعتها من جديد بنفس الترتيب، حتى لا تختلف إذاعة السور عن ترتيب المصحف.

قسم التنسيق

يقوم هذا القسم بوضع الهيكل اليومي لكل برامج الإذاعة وموادها المختلفة من غناء ونشرات أخبار وغيرها محسوباً بالدقائق والثواني. ويحتفظ قسم التنسيق بمجموعة كاملة للكروت التي تحوي أرقام الأشرطة وجميع البيانات الخاصة بالمواد المسجلة للإذاعة من غناء وموسيقى وأحاديث ومواد مختلفة.

ومن خلال هذه الكروت يمارس رجال التنسيق مهامهم في وضع هيكل البرامج. وبالطبع فإن هناك موجهات تحكم عمل التنسيق، وهي هيكل الدورة الإذاعية الذي تحدده أولاً إدارة البرامج بالإذاعة من خلال لقاءاتها المستمرة التي تسبق كل دورة جديدة، والفقرات الثابتة في هيكل البرامج الإذاعية كالأخبار وغيرها.

ويقوم قسم التنسيق من خلال كشف البرامج المجازة للدورة بوضع جدول بتصنيف هذه البرامج وتوزيعها على أوقات البث المناسبة. يعتبر هذا التوزيع من أهم الأعمال التي يقوم بها قسم التنسيق. حيث يجتهد العاملون به اجتهاداً شديداً لإرضاء أذواق جميع المتلقين المنتشرين في مختلف البقاع سواء داخل القطر أو خارجه.

وعندما يضع قسم التنسيق الهيكل العام للبرامج، إنما يحرص على تقديم المادة المناسبة في الوقت المناسب. وهذه ليست بالمهمة السهلة في مجتمع يتباين أفراده تبايناً شديداً وتكثر فيه الأمية وتتنوع

ثقافاته وسحناته العرقية واللغوية. ويقوم قسم التنسيق بوضع الفقرات المناسبة حسب ظروف القطاعات المختلفة. فبرامج الأطفال مثلاً لا بد أن توضع في الوقت الذي يكون فيه الأطفال موجودين بمنازلهم وليس أثناء ساعات الدراسة. وحتى ساعات وجودهم بالمنازل، ليست كلها ساعات مناسبة لاستقطابهم لسماع الراديو، حيث إن وقتهم مقسم بين اللعب والمذاكرة وغيرها. والأخبار الرئيسية مثلاً لا يمكن أن تقدم في وقت يكون فيه معظم الناس مشغولين في أماكن العمل اليومي، وإنما لا بد من توقيت مواعيد تقديمها بمواعيد وجود أكبر عدد من المستمعين في بيوتهم وهكذا.

يجتهد قسم التنسيق أيضاً في توزيع فرص البث بين المطربين المسجلين بالإذاعة والأغنيات المختلفة التي تقدر بالآلاف، والتي تنتظر جميعاً فرصتها للبث. وبالطبع فإن إذاعة الأغاني نفسها تحتاج من موظف التنسيق إلى حس إذاعي وفهم لطبيعة المادة الغنائية المسجلة. لذلك يحرص رجال التنسيق على معرفة مضمون المواد المسجلة قبل وضعها في البرنامج.

فمثلاً أغنية مثل (**ضربت أقول صباح الخير**) للفنان صلاح مصطفى لا يمكن إذاعتها في المساء أو الليل. وأغنية مثل (**غنوا معانا الليلة يوم ميلاد فرحنا**) للفنان أبو عركي البخيت لا يمكن إذاعتها بعد أخبار الوفيات وهكذا. وبما أن القسم هو الجهة الوحيدة

المختصة بتنسيق المواد الإذاعية على اختلافها فإنه ظل يتصدى كثيراً للانتقادات الموجهة لوضع البرمجة الإذاعية. مر على رئاسة قسم التنسيق بالإذاعة الإذاعيون: **(السر محمد عوض، عبد المنعم خفاجة، وذو النون بشرى، وسيد عبد الكريم).**

وقد عمل به كل من: **(دفع الله عبد المجيد، سيد عبد الكريم، محجوب علي محجوب، محمد عامر شوقي، علي سيد أحمد الذي انتقل إلى قسم الحجز، السر محمد أحمد الذي انتقل أيضاً إلى قسم الحجز، وغيرهم).** وقد ألحق بمكتب التنسيق قسم الحجز اليومي للأستديوهات والذي يقوم بحجز جميع أستديوهات الإذاعة لتسجيل المواد المختلفة ويعمل فيه السر محمد أحمد وعلي سيد أحمد وفتحية السيد.

القسم الرياضي

يشرف القسم الرياضي بالإذاعة على كل ما يتعلق بالأنشطة الرياضية المختلفة من كرة قدم وكرة سلة وطاولة وألعاب قوى وغيرها. وظل يمارس عمله بشكل يومي دون انقطاع منذ تأسيس القسم في منتصف الستينات.

وقد أشرف القسم على نقل جميع مباريات كرة القدم التي تعتبر اللعبة الشعبية المفضلة لدى السودانيين وغيرهم من الشعوب

العربية والأفريقية. كما شارك القسم في العديد من المنافسات الرياضية العالمية والعربية والأفريقية، حيث قام بتغطية كل الأنشطة الرياضية من خلال الإذاعات الحية والتقارير الصوتية وغيرها.

ورغم أن البرنامج الرياضي اليومي الذي يقدمه القسم، هو برنامج واحد إلا أن القسم يبدو كخلية النحل التي لا يتوقف العمل فيها طوال اليوم. حيث يعمل كل فريق القسم الرياضي بتخصصاته المختلفة في إعداد تلك المجلة اليومية الشاملة التي لا تترك كبيرةً ولا صغيرة من شئون الرياضة بجميع أنحاء السودان.

ويفخر القسم الرياضي أنه القسم الوحيد بالإذاعة الذي صنع له مراسلين في كل أنحاء القطر في ذلك الزمان المبكر يتنافسون بصورة يومية في عكس ما يدور بولاياتهم، الشيء الذي وضع جميع أندية وفرق السودان تحت دائرة الضوء بشكل يومي. وقد ابتكر القسم منذ أوائل الثمانينات خدمةً رياضيةً أخرى تضاف لبرنامجه اليومي الذي يذاع من الثانية والنصف حتى الثالثة مساءً. وهذه الفقرة هي التحليل الرياضي المسائي، الذي يقدم ضمن فترة الأخبار الرئيسية في التاسعة والنصف مساءً والتي تحولت إلى العاشرة مؤخراً.

كسب هذا التحليل جمهوراً عريضاً من المستمعين، بفضل الدقة في معلوماته وسرعة بثه. حيث إنه دائماً ما يكون عن مباريات جرت في لحظة كتابته. حيث إنه كثيراً ما يكتب أثناء سير المباريات

بالميادين. ثم يكمل كاتب التحليل سطوره داخل مكاتب قسم الأخبار بالإذاعة. وم ثم يبث حياً على الهواء ضمن فقرات الفترة الأخبارية. وفي بعض الأحيان ظل محررو القسم الرياضي يملون محتويات التحليل بالتلفون من موقع الحدث نفسه، حتى يذاع والحدث أو المنافسة مستمرة.

وقد برز من المعلقين وكتاب التحليل الرياضي بالسودان الأساتذة طه حمدتو، علي الحسن مالك، عبد الرحمن عبد الرسول، والرشيد بدوي. وعمل في نقل المباريات وإعداد المواد الرياضية بالإذاعة العديد من الإذاعيين منهم: **(علي شمو، طه حمدتو، علي الحسن مالك، كمال محمد الطيب، عبد الرحمن عبد الرسول، جمال الصادق، الرشيد بدوي عبيد، حمودي مصطفى، عوض النضيف، محمد شريف، ياسر المنا وغيرهم)**. ويضم القسم الرياضي بالإذاعة عدداً من خيرة المعلقين الرياضيين وكتاب التحليل الرياضي بالسودان. حتى أن العديد من الصحف قد اعتمدت عليهم في تحليلاتها وأخبارها المتعلقة بالأنشطة الرياضية اليومية في الخرطوم وغيرها من مدن السودان. وقد عينتهم بعض المؤسسات الصحفية الرياضية رؤساء لتحريرها عرفاناً بتفردهم بين المعلقين الرياضيين.

ولعل القسم الرياضي قد ظل لصيقاً بكل المؤسسات التي تدعم الحركة الرياضية. حيث لعب دوراً في وضع العديد من لوائح

الأنديـة والقـوانين التــي تبنتهـا وزارة الشـباب والرياضــة فــي مراحلهـا المختلفة.

قسم المذيعين

كـان أول كبيـر للمـذيعين هـو الأسـتاذ خـاطر أبـو بكـر وتـوالى على هذا المنصب بعد ذلك المذيعون: (**علـي شـمو، محمـد خـوجلي صـالحين، أحمـد قبـاني، عفـاف صـفوت، عبـاس بانقـا، عبـد الوهـاب أحمد صالح، صفاء محمد حرك، سكينة عربـي، عمـر الجزلـي، حسـن سليمان، عوض إبراهيم عوض، عمر عثمـان، عبـد الـرحمن أحمـد، وكمال محمد الطيب**).

وقسم المذيعين يعتبر حديثاً نسبياً، حيث لم يتأسس كقسم قائم بذاته إلا بعد تـولي محمـد خـوجلي صـالحين منصـب نائـب المـدير ثـم المـدير العـام للإذاعـة. كـان العمـل قبـل ذلـك يـتم بواسـطة المـذيعين المنتشـرين فـي بقيـة أقسـام الإذاعـة المختلفـة خصوصـاً قسـم الأخبـار والمنوعـات. ويقوم كبيـر المذيعين بتوزيـع الجدول علـى المذيعين الذين يعملـون فـي تلك الأقسـام. فعلـى سبيل المثـال كـان عبـد الوهـاب أحمد صالح يعمل في قسم التنسيق وعباس بانقا في قسم الأخبار وعلم الدين حامد في قسم المنوعات ومحمد طاهر في قسم الإخراج وسكينة عربـي في قسم الأحاديث وصالحين في الإدارة.

كان معظم المديرين الذين مروا على الإذاعة لا يوافقون على إنشاء قسم للمذيعين، ظناً منهم أن المذيعين سيكتفون بقراءة نشرات الأخبار والربط في الأستديو ثم يذهبون إلى منازلهم، وهذا من شأنه أن يهدر طاقاتهم الكبيرة التي يمكن استثمارها في أعمال مكتبية وإذاعية بالأقسام.

ولعل هذه الفكرة قد عشعشت في أذهان كل المديرين الذين مروا على الإذاعة بما فيهم صالحين نفسه، ولكن لما كان صالحين قد بدأ عمله الإذاعي كمذيع، كان لا بد له أن يكون نصيراً لقضية المذيعين الذين ألحوا وكافحوا من أجل أن يكون لهم قسم خاص بهم أسوةً بالمخرجين والفنيين والموسيقيين.

وبالفعل فقد صدر القرار بإنشاء قسم للمذيعين، وكان رئيسه أولاً أحمد قباني ثم خلفته زوجته المذيعة عفاف صفوت، التي ما فتئت أن انتقلت مع زوجها إلى العراق للاستقرار النهائي بعد انخراطه في حركة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ظل عضواً فاعلاً به.

وبعد أن تأسس قسم المذيعين، ظهر أن ما كان يتخوف منه المدراء السابقون قد حدث بالفعل لبعض المذيعين. حيث أصبحت رؤيتهم بالإذاعة نادرةً جداً، وبدوا وكأنهم طبقة من النبلاء، تأتي في ساعات نشرات الأخبار ثم تختفي في ساعات العمل العادية. وقد أثار ذلك حنق بعض الإذاعيين الذين انتقدوا ذلك السلوك من كبار

المذيعين. وللمرة الثانية عملت إدارة الإذاعة على إسناد بعض الأعمال المكتبية لعدد من المذيعين، ولكن جاء القرار هذه المرة في صالح المذيعين، لاسيما الكبار منهم. فقد تم إسناد عدد من المناصب الإدارية المهمة إليهم. حيث صدر قرار بتعيين علم الدين حامد في منصب رئيس قسم برامج الطوائف والبرامج الفئوية وعبد الوهاب أحمد صالح في منصب مدير إدارة المذيعين الذي خلفه فيه عبد الرحمن أحمد، وسكينة عربي في منصب رئيس قسم برامج المرأة. وانتقل حينها عمر الجزلي إلى التلفزيون نائباً لكبير المذيعين ثم كبيراً للمذيعين ثم مديراً لإدارة المذيعين.

بعد ذلك عين كمال محمد الطيب مديراً لإدارة المذيعين، وعبد العظيم عوض مديراً لإدارة الأخبار والسياسة، وعوض إبراهيم عوض رئيساً لقسم البرامج الخاصة، ومحمد الفاتح السموءل مديراً لقسم العلاقات العامة خلفاً لليلى المغربي التي عملت مديرةً لهذا القسم لعدة سنوات قبل انتدابها للعمل بالجهاز التنفيذي على المستوى السياسي للدولة.

انضمت إلى أسرة المذيعين في آخر الستينيات كوكبة من المذيعين الجدد منها أيوب صديق الذي يعمل الآن بإذاعة البي بي سي في لندن، وخليل الشريف الذي هاجر إلى أرض الخليج وظلَّ بها منذ منتصف السبعينات، وعمر النصري الذي انتقل من العمل

الإذاعي وانخرط في سلك القوات النظامية، وعبد الله وداعة الذي تخلى أيضاً عن الإذاعة وغادر إلى غرب أفريقيا.

وفي بداية السبعينيات عينت مجموعة جديدة من الأصوات بقسم المذيعين منها حديد السراج، أحمد عبد المجيد، هاشم ميرغني عبد الحفيظ، كمال محمد أحمد، ميرغني الرحمابي، إبراهيم عبد الرحمن، وأبو القاسم هاشم الذي تحول فيما بعد إلى قسم الإخراج، ولم يمكث به طويلاً حتى غادر أرض الوطن إلى بلاد المهجر، وعلي أنور الذي غادر بدوره إلى أرض الخليج وظل بها إلى اليوم.

ثم في عام 1975م انضمت إلى قسم المذيعين أكبر مجموعة تأتي كدفعة واحدة وكانت تضم إثني عشر مذيعاً هم: **(حسن سليمان، عوض إبراهيم عوض، عبد العظيم عوض، محمد الفاتح السموءل، إسحق عثمان، عباس ساتي، علي سلطان، إكرام الصادق، عصام الدين أحمد سعيد، المهم عبد الرحمن، أحمد عبد الله حنقة، وعبد المنعم الكتيابي)**[105].

استقر العمل في قسم المذيعين بشكل أفضل خلال عقد الثمانينيات الذي شهد بروز عدد من المذيعين والمذيعات الجدد منهم: (يسرية محمد الحسن، نجاة كبيدة، سيد أحمد زكي، عثمان شلكاوي،

---

105 كان عبد المنعم الكتيابي يعمل أصلاً بإعلام عطبرة ثم انتقل إلى الإذاعة ضمن تلك المجموعة وعاد بعد التدريب إلى عطبرة.

الطيب قسم السيد، بثينة عثمان الطاهر التي اعتزلت العمل الإذاعي، كامل محمد أحمد الذي غادر السودان وهاجر إلى المملكة العربية السعودية، عوض الله محمد عوض الله الذي انتقل فيما بعد للعمل بإذاعة الرياض بالسعودية، سر الختم عثمان الذي انتقل لاحقاً للعمل بالجامعة الإسلامية ثم هاجر لنيل درجة الدكتوراة في تركيا، عوضية أحمد يوسف التي انخرطت في سلك التعليم الجامعي كمحاضرة بالجامعة الإسلامية ثم انتقلت مع زوجها المحاضر بجامعات الخليج، خليفة جمعة الخليفة الذي ترك العمل الإذاعي وانخرط في سلك التعليم الجامعي بدولة باكستان، الزبير عثمان الطيب الذي انتقل فيما بعد إلى إذاعة صوت أمريكا، مبارك خاطر الذي واصل عمله الإذاعي بالجماهيرية العربية الليبية، والهادي مبارك الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأخيراً رجاء حسن حامد).

ثم في عام 1984م انضم إلى أسرة المذيعين بالإذاعة أربعة من المذيعين بعد اختبارات وإجراءات دقيقة ومطولة شهدتها الإذاعة لأول مرة وهم: (**المقداد شيخ الدين، إبراهيم أبو كواية، عمار عبد الرحمن، ومحمد بشير القراي**). وقد انتقل الأخير إلى رحمة مولاه إثر حادث مؤسف في أدغال جنوب كردفان عندما كان ضمن وفد إعلامي يغطي أحداث الحرب الدائرة في تلك المنطقة. وقد أضيفت إلى تلك المجموعة أثناء التدريب المذيعة فاطمة أحمد يوسف التي رشحها

للعمل الإذاعي الأستاذ الإذاعي الراحل أبو عاقلة يوسف ثم غادرت السودان بعد زواجها إلى دولة باكستان. وقد ظل العاملون بقسم المذيعين يتنقلون بين الإذاعة والتلفزيون وأخيراً الإذاعات الولائية.

وأكثر الذين تنقلوا بين جهازي الإذاعة والتلفزيون هم عمر الجزلي، الفاتح الصباغ، يسرية محمد الحسن، عبد الرحمن فؤاد، عمار عبد الرحمن، المقداد شيخ الدين، وأحمد سليمان ضو البيت الذي بدأ عمله بالإذاعة في أواخر الخمسينيات، ثم انتقل إلى التلفزيون، ثم عاد في آخر الثمانينات للإذاعة ليعمل بمكتب إذاعة وادي النيل الذي كان يديره الأستاذ سيف الدين الدسوقي، ثم نقل للعمل بإذاعة كسلا بعد عودة الأستاذ إبراهيم البزعي منها، ثم عاد إلى إذاعة وادي النيل مرةً ثانية، ثم نقل إلى إذاعة الدمازين ليعمل مديراً لها في يونيو 1985م.

قائمة المذيعين منذ تأسيس الإذاعة

عمل كمذيعين بالسودان منذ تأسيس الإذاعة السودانية في عام 1940م وحتى يومنا هذا حوالي (264) مذيعاً. اكتفى بعضهم بالإذاعة، واكتفى البعض الآخر بالتلفزيون، وعمل البعض بالجهازين معاً إما عن طريق التناوب أو الانتقال في بعض المراحل. على أن بعض الإذاعيين الشباب قد بدأوا عملهم بالإذاعات الإقليمية، ثم انتقلوا إلى الإذاعة الأم أو العكس. وفي هذا الجزء من الكتاب نستعرض

أسماء جميع المذيعين الذين ظهروا بالسودان طوال ما يزيد على نصف قرن من الزمان. وهذه الأسماء مرتبة حسب حروف الهجاء (ألفبائياً) ولا علاقة للترتيب بوقت ظهور المذيع أو دوره أو مستواه الإذاعي:

(إبتسام صالح بندي، إبتهاج قوي، إبراهيم أبو كواية، إبراهيم عبد الرحمن، أبو القاسم هاشم، أبو بكر سرور، أبو بكر عوض، أبو عاقلة يوسف، أبو عبيدة أبو عرب، إحسان التوم، أحمد الزبير، أحمد الشحرور، أحمد العوض الحسن، أحمد سليمان ضو البيت، أحمد عبد الله حنقة، أحمد عبد المجيد، أحمد قباني، إخلاص عبد العزيز، أزهري إبراهيم عبد الوهاب، أسامة الجعفري، أسامة محمد الخليفة، أسامة مختار، أسامة شمبول، إسماعيل طه، إسحق عثمان، إسراء زين العابدين، إسلام صالح آدم بيلو، إكرام الصادق، التاج حمد، التجاني حسب الله، الدرديري أبو حوة، الحسن عبد الكريم، الخاتم عبد الله يونس، الخير عبد الرحمن، الزبير عثمان الطيب، الزبير عثمان أحمد، الزبير نايل، السر محمد عوض، الطاهر محمد يس، الطيب بشير، الطيب قسم السيد، المبارك إبراهيم، المقداد شيخ الدين، النسيم حسين علي، الهادي مبارك، المهم عبد الرحمن، إقبال خوجلي، آمال عثمان، أماني عباس، آمنة سيد أحمد، أميرة كروري، أمينة محمد سعيد، إنتصار محمد الشيخ، إنتصار مصطفى، إيمان يوسف، أيوب صديق،

بثينة عثمان الطاهر، بخيت أحمد عيساوي، بخيت أحمد إبراهيم، بخيتة آدم، برير جاد الله، تاج الدين مكي كرار، تعباني جوزف، تماضر عبد العزيز، ثريا فاوستيني، جمال الدين مصطفى، حامد عبد الرؤوف، حامد جاد الله، حامد عثمان، حديد السراج، حسان سعد الدين، حسب الرسول سليمان، حسن إبراهيم، حسن سليمان، حسن عبد الوهاب، حسن محمد دوكة، حلمي إبراهيم، حمد محمد أحمد، حمدي بدر الدين، حمدي بولاد، حمزة عوض الله، حمزة مصطفى الشفيع، حنان بابكر، حنان عبد الله، حيدر الفاضل، خاطر أبو بكر، خالد مصطفى المكي، خليفة جمعة الخليفة، خليل الشريف، داليا أحمد عبد الرازق، دفع الله أحمد البشير، ذو النون بشرى، رجاء أحمد جمعة، رجاء حسن حامد، زينب البدوي، زينب كرم الله، سامية محمد أحمد، سر الختم عثمان، سر الختم محمد علي، سعاد أبو عاقلة، سعاد بريمة، سعاد سر الختم، سعاد عبد الرازق، سعاد علي، سعد رياض، سعد شوقي، سكينة عثمان، سكينة عربي، سلوى صالح النيل، سمير إبراهيم، سمير أبو سمرة، سميرة عواض، سهام أبو كندي، سهام العمرابي، سهام المغربي، سهير الرشيد، سوسن تاور، سوزان ألفونس، سيد أحمد زكي، سيف الدولة الزبير، سيف الدين الدسوقي، شادية أحمد المصطفى، شادية خليفة، شادية عبد الله، شادية علي، شادية محجوب، شريف محمد علي، صالح أبو بكر، صالح محمد صالح، صفاء محمد حرك، صفية

الأمين، صلاح أحمد محمد صالح، صلاح حواية الله، صلاح طه، طارق كبلو، طه حمدتو، عارف الخير، عارف تكنة، عاصم محجوب، عاصم محمود، عباس بانقا، عباس ساتي، عبد الحكيم طه، عبد الحميد عبد الفتاح، عبد الحي عبد الرحمن الربيع، عبد الخالق نسيم، عبد الدائم عمر الحسن، عبد الرحمن أحمد، عبد الرحمن الخانجي، عبد الرحمن الياس، عبد الرحمن زياد، عبد الرحمن فؤاد، عبد العزيز أبارو، عبد العظيم عوض، عبد القادر أمير، عبد الكريم قباني، عبد الله الأمين، عبد الله وداعة، عبد الماجد عبد الرحمن، عبد المنعم الكتيابي، عبد المنعم شيبون، عبد الوهاب أحمد صالح، عبد الوهاب عبد القادر عمر الإمام، عبيد عبد النور، عثمان حسن مكي، عثمان جمال الدين، عثمان شلكاوي، عثمان نصر، عصام الدين أحمد سعيد، عفاف أحمد، عفاف صفوت، علم الدين حامد، علوية آدم، علي الحسن مالك، علي الريح، علي أنور، علي سلطان، علي شمو، عماد همام، عمار عبد الرحمن، عمر الجزلي، عمر النصري، عمر عبد الكريم، عمر عثمان، عواطف سر الختم، عوض إبراهيم عوض، عوض الله محمد عوض الله، عوضية أحمد يوسف، غازي الفاتح، فاتن علي بشارة، فاطمه أحمد علي، فاطمة أحمد يوسف، فاطمة السنوسي، فاطمة الصادق، فايزة رمضان، فتحية إبراهيم، فريد عبد الوهاب، فريد يوسف، فهمي بدوي، فيصل الصادق، فيصل عبد الله،

قمر محمد أحمد، كامل محمد أحمد، كمال محمد أحمد، كمال محمد الطيب، لقمان حسن همام، لقمان محمد أحمد، ليلى المغربي، ليلى الملك، ليلى عوض، ليلى كيلاني، لينو رول، ماجدة عوض، مالك محمد عبد الله، مبارك خاطر، متوكل كمال، متولي عيد، محاسن سيف الدين، محاسن محمد عثمان، محجوب بخيت محجوب، محمد البصيري، محمد الحافظ أحمد، محمد العبيد، محمد الفاتح السموءل، محمد الكبير الكتبي، محمد بشير القراي، محمد توفيق أحمد، محمد جمال الدين، محمد حمد النيل، محمد خوجلي صالحين، محمد خير البدوي، محمد سليمان، محمد صالح فهمي، محمد طاهر، محمد عباس سعد، محمد عبد الكريم، محمد عبد الكريم عبد الله، محمد معشي حامد، محمد ورداني حمادة، محمود أبارو، محمود الفكي، مصطفى المنا، مصطفى جابر تكروني، مصطفى عوض السيد، معاوية أحمد الماحي، معاوية عثمان خالد، معتصم عبد الله الشيخ، مكي محمد عثمان، منيرة عبد الماجد، مها الخير، مها فريجون، ميرغني الرحمابي، ميري سريسيو إيرو، نادر أحمد الطيب، نادية إسحق، نادية مرحوم، نايلة العمرابي، نجاة دمبلاب، نجاة كبيدة، نجم الدين محمد أحمد، نجوى آدم عوض، نجوى الشفيع، نجوى تاور، نجوى مهدي، نفيسة أحمد علي، نميري التجاني، هاشم ميرغني عبد

الحفيظ، هويدا حماد، هيام المغربي، هيلينا وليم دينج، ياسر إبراهيم محمد خير، يس معني، يسرية محمد الحسن، ويوسف مايكل).

الصدفة التي صنعت نجوماً

في اليوم السادس عشر من شهر تشرين ثاني نوفمبر عام 1959م كان المساء صحواً والنسائم العليلة تهب على حي البوستة العريق بأم درمان. في صدر صالون الأستاذ الكبير مالك بابكر بدري جلس ثلاثة من الشبان يؤدون عملاً درامياً احتفاءً بذكرى حركة 17 تشرين ثاني نوفمبر بقيادة الفريق إبراهيم عبود.

وكان العمل الدرامي الذي يؤدونه عبارة عن تمثيلية بعنوان **(دخول الإسلام)**. كان أمامهم جهاز تسجيل من طراز قروندك Graundic وكانوا هواةً لا يعرفهم أحد ولا يعرفون أبواب الإذاعة. وبعد الانتهاء من ذلك التسجيل حمل الأستاذ مالك بدري ذلك الشريط إلى المسؤولين بالإذاعة لكي يبث للمستمعين إن كان صالحاً. وكانت المفاجأة أن أجازت الإذاعة أصوات الثلاثة بدرجة جيد، ثم حولتهم إلى مذيعين.

كان أولئك النجوم الثلاثة الذين صنعتهم الصدفة هم الأستاذ الإذاعي الراحل الدكتور **(أبو بكر عوض)**، والإذاعي **(إسماعيل طه)** الذي عمل بعدها لسنواتٍ طويلة بالقسم العربي لهيئة الإذاعة

البريطانية، والثالث هو **(النور علي الحاج)** الذي جرفه تيار العمل الحر فلم ينخرط في العمل الإذاعي. وبقي الفارسان الآخران على صهوة الأثير[106].

إدارة الشئون الفنية والهندسية

تضم إدارة الشئون الفنية والهندسية بالإذاعة ثلاثة أقسام رئيسية هي:قسم التغطية وقسم الفنيين وقسم المهندسين. وسنقف في الصفحات التالية على دور كل واحد من هذه الأقسام وطبيعة العمل الذي يؤديه.

قسم التغطية

هناك تغطيات تتم إذاعتها بع أن تسجل على أشرطة. وهنا نكون بصدد قسم متكامل أنشأته الإذاعة تحت اسم التغطية أو قسم التسجيلات الخارجية. وهذا القسم له أهميته القصوى، حيث ثبت بحكم المعايشة الحقيقية والتجربة أن نسبةً كبيرةً من المادة السياسية تتم صناعتها خارج الإذاعة، مما يستدعي ملاحقتها دائماً بأجهزة التسجيل المتحركة. ولذلك استجلبت الإذاعة عدداً من أجهزة التسجيل **(ناقرا)**

---

106 حكى هذه الرواية للمؤلف البروفيسور مالك بدري أستاذ علم النفس بالجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور مساء يوم 17 مايو 1993م.

الرفيعة المستوى والتي تسجل بنفس قوة الأستديو، وبها سرعتان الأولى ثلاثة وثلاثة أرباع، والثانية سبعة ونصف. وهما نفس سرعتي الأستديو الذي يزيد سرعةً إضافية هي 15 لا تستخدم إلا لتسجيل الأشرطة الرئيسية Master Tapes. ولما كانت هذه الأجهزة مهمة ودقيقة وباهظة الثمن، فقد عينت الإذاعة لكل واحد منها موظفاً فنياً يقوم باستخدامه في التغطيات المختلفة على أن يكون هذا الموظف مسؤولاً مسؤوليةً كاملة عن جهازه. ويتبع هؤلاء الموظفون لرئاسة قسم التغطية الذي يتبع بدوره للإدارة الهندسية.

يتم تقسيم العمل في قسم التغطية بين أعضاء القسم حسب نظام النوبات أيضاً. وعندما يحين وقت التسجيل يخرج الفني حاملاً جهازه برفقة المذيع الذي يطلب التسجيل أو يتوجه فني التغطية بمفرده في حالة المناسبات التي تستدعي تسجيلاً فنياً فقط. ومن خلال التجربة تمرس فنيو التغطية على فنون التحرير الأخباري فأصبحوا يصيغون الأخبار من مواقع الأحداث ويأتون بها بمصاحبة التسجيلات الحية التي يجرونها خارج أسوار الإذاعة، وأحياناً من خارج المدينة أو القطر نفسه. وقد ظل الأستاذ عطية الفكي يرأس قسم التغطية على مدى سنواته منذ التأسيس، يعاونه في ذلك عدد من الفنيين الذين تخصصوا في مجال التغطيات والتسجيلات الخارجية وهم:

(يس عبد الله، محجوب محمد الحسن، هاشم الجيلاني، داؤد زكي أبادير، محمود الأمين، حسن إبراهيم، محمود الريح، كمال موسى، عبد الحفيظ السر، عبد الله إبراهيم)، وغيرهم.

وقد ظلت الإذاعة طوال عمرها تنتقل إلى مواقع الأحداث، وتنقل لمستمعيها الوقائع إما مسجلةً على الأشرطة من خلال قسم التغطية، أو حيةً على الهواء بمساعدة الإدارات الهندسية الأخرى، وهي ما يطلق عليها انتقال مايكروفون الإذاعة.

فعندما يقول المذيع عبارة: ((**سيداتي وسادتي، في إذاعة خارجية ينتقل الآن مايكروفون الإذاعة لنقل الاحتفال المقام في مكان كذا فإلى هناك**)) تكون أعصاب بعض الناس قد توترت، وهم الجنود المجهولون الذين يعملون لإيصال صوت المذيع إلى المستمعين من أي ركن من أركان الأرض لا يربطه بجهاز الإرسال والأستوديو إلا شبكة من الأسلاك تتناثر أمامه معلنةً نجاح أو فشل الانتقال. وكم تكون الفرحة غامرةً عندما يتمكن المهندسون من إيصال الصوت من ذلك المكان للأستديو، ثم لمحطة الإرسال.

هذا هو ما يسمى بالإذاعة الخارجية Outside Broadcasting أو انتقال المايكرفون إلى خارج الأستديو. حيث إن كثيراً من الأحداث نقلتها الإذاعة حيةً من موقع الحدث بشكل لا يحصيه أحد. حيث إنها فعلت ذلك على مدى ما يزيد عن الأربعين عاماً دون انقطاع. ويعتبر

هذا النوع من الخدمات الإذاعية أصعب أشكال العمل على الإطلاق. حيث يعتمد فيه المذيع على ملكة البيان وفن التعبير الشفاهي دون مصاحبة الأوراق إلا في حالات نادرة. ويبقى الخيالُ الواسع والقريحةُ المتقدة والبديهةُ الحاضرة هي الأسلحة المطلوب توفرها لدى كل مَن يتصدى لهذا النوع من العمل الإذاعي.

أول انتقال لمايكرفون الإذاعة

خرج مايكروفون الإذاعة السودانية خارج الأستديو لأول مرة في تاريخ الإذاعة عام 1951م لينقل مباراةً في كرة القدم من دار الرياضة بأم درمان، وكان ذلك الأمر حدثاً كبيراً وتاريخياً، حيث تمكن المستمعون لأول مرة أن يتابعوا مباراةً كاملةً لكرة القدم من بيوتهم أو من خلال الراديوهات الضخمة المنتشرة في معظم الأندية والمقاهي بمختلف بقاع السودان.

وانطلق صوت الإذاعة من تلك اللحظة لينقل العديد من مباريات كرة القدم المهمة، والتي ظل جمهور الكرة شغوفاً بها ويتابعها بكل حواسه ومشاعره وميوله الجارفة. وكان أول من أذاع تلك المباريات هو الأستاذ الإذاعي **(طه حمدتو)**. وقد رافقه في تلك المرحلة المبكرة الأستاذ **(محمود أبارو)**. ثم بعد ذلك تولى إذاعة المباريات الأستاذ **(علي شمو)** ومن بعده آلت إلى الأستاذ **(علي**

الحسن مالك) ثم الأستاذ **(الرشيد بدوي عبيد)**. وقد ظلت الإذاعات الخارجية مقصورةً طوال ذلك العام والعام الذي تلاه على نقل مباريات كرة القدم، التي كانت تقام بدار الرياضة بأم درمان. وفي عام 1953م شرعت الإذاعة بصورة رسمية في نقل كثير من المناسبات الفنية والرياضية والسياسية والدينية إلى مستمعيها.

وعندما أعلن استقلال السودان في الأول من كانون ثاني يناير 1956م انتقل مايكرفون الإذاعة إلى ساحة القصر الجمهوري بالخرطوم، وأذاع كل وقائع ذلك الاحتفال القومي الكبير على الهواء مباشرة. وفي نفس اليوم انتقل المايكرفون إلى دار الرياضة بأم درمان، ونقل مباراةً في كرة القدم أقيمت بمناسبة الاستقلال.

أول انتقال لمدينة خارج العاصمة

[هنا أم درمان إذاعة جمهورية السودان، مستمعي الكرام في إذاعة خارجية ينتقل الآن مايكروفون الإذاعة إلى مدينة عطبرة لنقل الحفل الغنائي الساهر الذي يشارك فيه عدد من كبار الفنانين، فإلى هناك]. كانت تلك هي أول عبارة قالها مذيع بالإذاعة السودانية لنقل المايكروفون لأول مرة إلى مدينة سودانية غير الخرطوم أو أم درمان. وكان ذلك في شهر كانون أول ديسمبر عام 1958م، حيث انتقل إلى مدينة **(عطبرة)** لنقل حفل غنائي ساهر. وفي نفس الفترة انتقل

المايكرفون إلى **(الأبيض)** لنقل مباراة في كرة القدم أذاعها الأستاذ **(علي شمو)**. وكان أول انتقال لمايكرفون إذاعة أم درمان خارج السودان هو في يوم 12 تشرين ثاني نوفمبر عام 1956م، حيث انتقل المايكرفون في ذلك اليوم لنقل جلسة الأمم المتحدة من نيويورك التي تم فيها ترشيحُ السودان كعضوٍ بالجمعية العامة للأمم المتحدة تتويجاً لاستقلاله وكمال سيادته.

مسرح الإذاعة

لم تكن المسارح الغنائية معروفةً بالسودان قبل نشأة الإذاعة، وإنما ابتكرها الأستاذ علي شمو من خلال أول حفل غنائي نقلته الإذاعة على الهواء في منتصف الخمسينيات. وقد دعت له الإذاعة كثيراً من مستمعيها، وأقيم بساحة المنزل الصغير الذي تبث منه الإذاعة برامجها.

وكانت سعادة المستمعين غامرةً بذلك الحفل الذي أصبح حدثاً يشار إليه بأنه بداية المسرح الغنائي بالسودان. بعد ذلك أصبحت الفكرة أكثر قبولاً لدي المواطنين، فكلفت الإذاعة الأستاذ علي شمو بمواصلة ذلك الحفل، فأصبح يقدمه أسبوعياً في أمسيات الخميس فيؤمه جمهور العاصمة من كل مكان لقضاء ساعات داخل محطة الإذاعة. وكان أول مهندس سوداني عمل على نقل الإذاعات الخارجية

في تلك الفترة هو المهندس (**علي عبد القادر**) الذي أثبت كفاءةً ومقدرةً عالية على ذلك النمط من الإذاعات الذي يعتبر الأصعب على الإطلاق. وكان حبه للعمل وصبره عليه نادراً بكل المقاييس. وقد ظل على اتصال دائم بمصلحة البريد والبرق التي يجري عن طريقها توصيل الخطوط الإذاعية التي تمر عبر أسلاك التلفونات من مكان الانتقال إلى الأستديو ومحطات التقوية في سوبا والفتيحاب والعرضة. ورغماً عن تلك الكفاءة النادرة التي أثبتها المهندس الأول علي عبد القادر في أداء ذلك الدور التاريخي العظيم الذي لم يساعده فيه أحد في تلك الأيام، بل ولم يدربه عليه أحد من الناس فقد بقي أن نعرف أن المهندس علي عبد القادر كان من خريجي المدرسة الابتدائية ولم يدرس غيرها شيئاً، وحقاً إنها عبقرية العظماء.

لقد ظل دوره ذلك منافساً لأكبر المهندسين الذين تخرجوا في الجامعات والمعاهد المتخصصة والتي لم ير هو منها إلا أسماءها المكتوبة على الورق.

تواصل انتقال مايكرفون الإذاعة إلى المدن المختلفة حتى جاء أحد الانتقالات المطولة من مدينة (**النهود**) بغرب كردفان في عام 1960م، حيث نقلت الإذاعة أطول حفل غنائي ساهر أقيم بمناسبة زيارة الرئيس الفريق إبراهيم عبود عند افتتاحه لمشروع مياه المدينة. وأقيم ذلك الحفل بميدان الكورة بحي الشايقية بالنهود، حيث غنى فيه

كبار الفنانين آنذاك: (**إبراهيم الكاشف، عبد العزيز محمد داؤد، إبراهيم عوض، عائشة الفلاتية، وأحمد المصطفى**). بعد ذلك استمرت الإذاعة في نقل مختلف المناسبات الوطنية والعالمية المهمة من مواقع الأحداث، وتركزت الإذاعات الخارجية في خمسة محاور:

1/ الاحتفالات الوطنية،

2/ استقبالات رؤساء الدول،

3/ المؤتمرات السياسية،

4/ الحفلات الغنائية والرياضية المهمة،

5/ المناسبات الدينية وغيرها خصوصاً التي تشارك فيها قيادة الدولة.

وفي مجال استقبال رؤساء الدول ظلت الإذاعة السودانية تنقل على الهواء جميع مراسم استقبالات رؤساء الدول الذين يزورون السودان. حيث كان أضخم استقبال لرئيس دولة نقلته الإذاعة في تاريخها هو الاستقبال الذي أجري للزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد نكسة حزيران يونيو عام 1967م. حيث خرجت جموع المواطنين في مشهد لم يسبق له مثيل، وملأت شوارع الخرطوم من أقصاها إلى أدناها. وأقامت الإذاعة لأول مرة عدداً من النقاط الإذاعية التي بدأت من أرض المطار وتوزعت على طول الطريق المؤدي إلى القصر

الجمهوري. وكان المذيعون يتبارون في وصف مراسم ذلك الاستقبال الكبير، حيث كلما مر موكب الرئيس على منطقة يتحول المايكرفون إليها وهكذا حتى وصل إلى مقر القصر الجمهوري. كان لقاء الرئيس عبد الناصر قد سبقه لقاءان لزعيمين أوربيين قامت الإذاعة بنقلهما في السابق، وهما الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو والملكة أليزابث الثانية ملكة بريطانيا في عهد الفريق إبراهيم عبود.

وتكرر مثل ذلك الاستقبال الكبير الذي نقلته الإذاعة من خلال النقاط عند زيارة الرئيسين جمال عبد الناصر ومعمر القذافي في أولى سنوات الثورة الليبية ومجيء الرئيس جعفر نميري للحكم في عام 1969م. ثم في زيارة الرئيس أنور السادات للخرطوم عام 1978م، وفي زيارة الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني عام 1993م، وفي زيارة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان للسودان في عام 1994م. وكانت إذاعة أم درمان قد نقلت جميع وقائع مؤتمر القمة الأفريقي الذي عقد بالخرطوم وصار فيه الرئيس جعفر نميري رئيساً لمنظمة الوحدة الأفريقية عام 1981م.

ثم نقلت جميع المؤتمرات التي انعقدت بقاعة الصداقة بالخرطوم خلال السنوات الأخيرة مثل مؤتمر السلام، مؤتمر الإعلام، مؤتمر المرأة، المؤتمر الاقتصادي، مؤتمر الاستراتيجية الشاملة، المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي، مؤتمر النازحين الخ..

قسم الفنيين

لعل قسم الفنيين يعتبر من أهم الأقسام اللصيقة بالأستديوهات الإذاعية. ولولا هذا القسم لما خرج عمل إذاعي للمستمع. فالفنيون هم الشق المكمل للمخرجين اوالمذيعين الذين ينفذون جميع البرامج الإذاعية. حيث إن المذيع أو المخرج لا يتعامل مباشرةً مع جهاز التسجيل ولا ينبغي له. وحتى إذا أراد المذيع ذلك فإنه لا يستطيع بحكم طبيعة عمله الذي يقتضي أن يكون داخل الشق الثاني من الأستديو وهو الجانب الذي يحوي المايكروفون.

أما الجانب الأكبر والأهم من الأستديو، فهو الجانب الذي يعمل به فني التسجيل الذي يدير كل خيوط اللعب. حيث يمزج الفني جميع الأصوات في شريط واحد يبدأ بصوت المذيع، ثم الموسيقى المسجلة على الشريط أوالمؤثرات الصوتية التي إما أن تكون مسجلةً على أسطوانة جاهزة أو يصطنعها فنيو التسجيل من البيئة الحية كما كانوا يفعلون طوال عقد الخمسينات وأوائل الستينات، قبل أن تكون المؤثرات فناً قائماً بذاته يعبأ في الأسطوانات لاستخدامها في حالة الضرورة.

وقسم الفنيين بالإذاعة هو أقدم الأقسام على الإطلاق، حيث نشأ مع بداية الإذاعة. وكان أول رعيل من الفنيين الذين التحقوا بالعمل الإذاعي هم: **(موسى إبراهيم، النور موسى، كمال جابر، عبد الرحمن**

ود النداف، حسن القاسم، وبكري مَشِّيْ). ثم جاءت بعد ذلك مجموعة أخرى واصلت تلك الرسالة مع رفاق البداية فظهرت من خلال الميكروفون أسماء:

(علي فهمي، عبد المجيد قلندر، وصفي جبرة، الريح عوض، علي عبد القادر مرجان، الطاهر محمد الطاهر، عباس الطيب، محمد نور عوض، يوسف الماحي، أبو الفضل محمد الحسن، بخيت أحمد إبراهيم، يوسف حسين، محجوب عثمان، محجوب محمد الحسن، مكاوي أبية، الرشيد أحمد فضل الله، علي حسب الدائم، محمود الأمين، صديق الأمين، عبد المنعم عبد الكريم، محمد موسى مر الجواب، عبد العزيز عبد الله، يوسف حسن، عبد الفتاح إبراهيم، منى عابدين، أوديت فرحات، إيمان محمد الحسن، إقبال محمد أحمد، ميسرة الشفيع، الطيب أحمد علي، تاج السر حمد المختار، محمد المهدي حامد، مصطفى محمد الصديق، شمس الدين بكري، عبد العزيز إبراهيم الطاهر، وداعة سليمان، مجدي علي حسب الدائم، عاطف النور موسى، مشي بكري مشي، أحمد الريح، هاشم الريح، مبارك أحمد المبارك، عبد المنعم عباس، فوزي عبد السلام، عباس محمود، أسامة جمعة، إبراهيم الريح، زهير الطائف، عثمان محمد عمر، عصمت عباس).

يقوم فني الإذاعة، الذي يسمى أحياناً مهندس الصوت، بتسجيل جميع البرامج الإذاعية داخل الأستديو، حيث لا تسمح قوانين الإذاعة لأي شخص أن يقوم بذلك الدور غير فنيي الأستديو المعتمدين رسمياً. ولذلك فعمل الفنيين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأستديو، وليس لهم مكان غيره إلا الغرفة التي تحوي مكتب الفنيين، والتي لا يمكث فيها أي واحد منهم سوى سويعات الراحة والاستجمام. وغالباً ما يكون بها رئيس القسم وبعض الفنيين القدامى الذين تقاعدوا عن ممارسة التسجيل المباشر.

وعمليات التسجيل التي يمارسها الفنيون تشمل أيضاً المونتاج الذي لا يخرج عمل إذاعي بدونه. وهو فن مزج المواد المختلفة في شريط واحد حسب الترتيب الذي يرتضيه المخرج. وهو بذلك يشبه العمل الذي يؤديه المخرج إلى حدٍ كبير، حيث إن الفارق الأساسي هو أن المخرج يمارس دور المفكر والمخطط للبرنامج في حين يمثل الفني دور المنفذ لهذا البرنامج.

وبحكم الخبرات الطويلة التي اكتسبها فنيو الإذاعة أصبحوا جميعاً يؤدون دور المخرج في البرامج التي لا يصاحبها مخرجون. بل إن بعض الفنيين قد أصبحوا مخرجين بالفعل. وبالمقابل تعلم الكثير من المخرجين عمل الفنيين وأصبحوا يمارسونه في حضور أو غياب الفنيين. ويقوم فني الأستديو بإحضار مواد البرامج المسجلة من المكتبة

التي لا تسلم هذه الأشرطة لأحد غيره. وعليه أيضاً أن يعيد هذه الأشرطة للمكتبة بعد الفراغ من عمليات التسجيل. شيء آخر يعتبر من صميم عمل الفنيين، وهو تنفيذ البرامج الحية على الهواء من أستديو البث المباشر. حيث لا يمارس هذا الدور إلا الفنيون وهو الشيء الوحيد الذي لا يجرؤ المخرجون على القيام به من أعمال الفنيين.

والفنيون هم الذين يضعون المواد المذاعة على الهواء، وهم الذين ينفذون نشرات الأخبار من الناحية الفنية، وهم الذين يتابعون الإذاعات الخارجية التي ينتقل فيها المايكروفون إلى خارج الأستديو بالتعاون مع قسم المهندسين الذي يكون دائماً في موقع الحدث المذاع على الهواءِ مباشرةً، وهم الذين يتابعون غرف المراقبات الحية أثناء البرامج المباشرة التي تُستخدم فيها التلفونات أو غيرها من الوسائط التي أصبحت عوامل ذات أهمية في العمل الإذاعي.

قسم المهندسين

يؤدي قسم المهندسين بالإذاعة دوراً أساسياً هو الذي يساعد على نقل البرامج من داخل الأستديو إلى المستمعين عبر موجات الإذاعة العاملة. ويضم القسم عدداً من المهندسين الذين تخرجوا في الكلية المهنية العليا (المعهد الفني سابقاً) وجامعة السودان للعلوم

والتكنولوجيا حالياً، إلى جانب خريجي بعض الجامعات والمعاهد الأجنبية في السنوات الأخيرة. وقد عمل بقسم المهندسين: (علي عبد القادر، أحمد دفع الله، محمد المهدي خليل الذي كان يعد برنامجاً أسبوعياً بعنوان (تسلية على الهواء) الذي كان يقدمه المرحوم عبد الوهاب أحمد صالح، صلاح طه إسماعيل [107]، دباغ عبد القادر، رفعت الكامل، صلاح عثمان، يس عبد النور، سيدة شايب، داؤد إبراهيم، آمال محمد، وخالد محمد حسين شرفي).

ويقوم القسم بعمل الصيانات الدورية التي تكون مرتين في الأسبوع لجميع أستديوهات الإذاعة والتأكد من استمراريتها للعمل ومواكبتها للمتطلبات المتزايدة. كما يقوم بصيانة جميع الأجهزة الفنية مثل أجهزة التلعيب والمسجلات والسماعات وأجهزة خلط الصوت Mixer والميكروفونات.

إلى جانب ذلك يقوم القسم بعمل الإذاعات الخارجية التي ينتقل فيها مايكروفون الإذاعة إلى خارج الأستديو. كما يقوم بتحويل الموجات الإذاعية وإيقاف بعضها للصيانة وتشغيل البعض الآخر. فعندما يقول المذيع مثلاً الآن تتوقف الموجة المتوسطة 234متراً، نجد هناك مهندساً متربصاً بغرفة المراقبة يقوم بفصل الموجة المعلنة

107 انتقل المهندس صلاح طه فيما بعد إلى إذاعة ود مدني وعمل مديراً لها لعدة سنوات، ثم ترقى في يونيو 1995م لمنصب نائب المدير العام للإذاعات الولائية.

وتشغيل الموجة التي يعلنها المذيع. ولما كان عمل المهندسين مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بموجات الإرسال والمحطات العاملة فلا بد أن نقف هنا على موجات الإذاعة السودانية العاملة على مر السنين.

موجات إذاعة أم درمان

كانت الإذاعة عند بدايتها تبث برامجها على الموجة المتوسطة 524 متراً بذبذبة مقدارها 50 كيلو واط. وقد أقيمت محطة التقوية التي تعمل على بث هذه الموجة في حي العرضة بأم درمان. ثم تبع ذلك إنشاء محطة إرسال أخرى في حي الفتيحاب بمدينة أم درمان أيضاً، وهي بالقرب من مقر الحرم الرئيسي لجامعة أم درمان الإسلامية.

وفي عام 1943م أضافت هذه المحطة موجتين قصيرتين لإرسال الإذاعة هما الموجتان 31 و25 متراً. ثم بعد ذلك بمدة قصيرة أضيفت إلى العمل الموجة القصيرة 60 متراً بذبذبة مقدارها 20 كيلو واط، وهي من الموجات التي نقلت إرسال الإذاعة إلى كثير من بقاع السودان. وأضيفت لها أيضاً الموجة القصيرة 49 متراً، وهي من الموجات ذات الكفاءة العالية. وفي شهر تشرين ثاني نوفمبر عام 1962م كانت الإذاعة على موعد مع تطور كبير في مجال الإرسال فقد افتتحت محطة كبرى للتقوية في سوبا جنوب مدينة الخرطوم

لتضيف بذلك موجتين متوسطتين طولهما 312 و 393 متراً وقوة كل منهما 100 كيلو واط. وأضيفت أيضاً من سوبا الموجة القصيرة 41 متراً بذبذبة مقدارها 120 كيلو واط، وهي الموجة التي كسرت الحواجز بشكل أكثر فاعليةً من سابقاتها وأوصلت صوت السودان إلى كثير من البقاع النائية. وفي عام 1964م افتتحت موجتان متوسطتان هما 312 و 933 وقوة كل منهما 100 كيلو واط.

وفي يوم 17 كانون ثاني يناير عام 1978م تم افتتاح واحدة من أكبر محطات الإرسال الإذاعي في أفريقيا هي **(محطة ريبا)** المقامة بالقرب من خزان سنار الشهير. وكانت تبث على الموجة المتوسطة 231 متراً بقوة 1500 كيلو واط. وكان متوقعاً لها أن توصل إرسال الإذاعة إلى كل أنحاء العالم. ولكن تلك المحطة قد أصابتها لعنة الروتين والبيروقراطية وتقلبات الأهواء السياسية.

فهي قد جاءت أساساً كهدية من دول المحور الاشتراكي للسودان عندما كان هناك تيار يساري في نظام حكومة جعفر نميري التي جاءت للحكم في شهر أيار مايو 1969م. وكانت تلك الحكومة مدعومةً من الحزب الشيوعي السوداني في بدايتها مما خلق علاقات وطيدة بينها وبين دول المعسكر الشيوعي آنذاك فجاءت محطة ريبا هديةً من تلك الدول. إلا أن هذه الدول دخلت في خصومة مع السودان لفترة طويلة عقب فشل الانقلاب العسكري الذي قاده الرائد

هاشم العطا في 19 يوليو 1971م ضد جعفر نميري. أدت تلك الخصومة إلى توقف معظم البروتوكولات التجارية والثقافية التي كانت قد أبرمت بين حكومة السودان وتلك الدول. ونتيجة لتلك الظروف والملابسات لم يكن من الميسور استجلاب قطع الغيار لمحطة ريبا الإذاعية.

فضلاً عن ذلك كانت المحطة تستهلك طاقة هائلة من الكهرباء لم تستطع حكومة السودان توفيرها. حتى أن وزير الطاقة يومها قد صرح بأنه إذا أعطيت هذه المحطة القوة الكهربائية التي تحتاج إليها فعلاً فإنها ستستهلك معظم الطاقة المولدة من الخزان ولذلك فإن مدينة سنار وما جاورها ستعيش في ظلام دامس.

ظهر في تلك الفترة اتجاه في وزارتي الثقافة والإعلام والطاقة بأهمية شراء جهاز منظم للكهرباء Regulator يمكنه أن يخفض حجم الطاقة الداخلة إلى المحطة. وحدث لغط كثير بين المسؤولين حول أهمية شراء ذلك المنظم.

واستمر ذلك اللغط فترةً طويلة حتى عندما استقر الرأي على ضرورة شرائه كان ثمنه قد قفز إلى ما يقارب ضعف ثمن المحطة نفسها لذلك صرف النظر عن المسألة برمتها. وبقيت ريبا ردحاً من الزمان حلماً جميلاً يراود خيال الإذاعيين التواقين لاسماع صوتهم للعالم. ومرةً أخرى بدأت جهود الفنيين في عام 1990م لاستعادة

محطة ريبا للعمل إلا أن عوامل الزمن كانت أقوى من طموحات النفس البشرية فقد شاخت المحطة ولم تعد تقوَ على العمل لتغطية السودان ناهيك عن تغطية الكرة الأرضية كما كان مأمولاً لها عندما تم إنشاؤها والدعايةُ لها في سنوات البداية.

وفي أخريات النصف الأول من عقد الثمانينات قام الأستاذ علي شمو وزير الثقافة والإعلام آنذاك بعقد اتفاقية نيابةً عن حكومة السودان مع الحكومة اليابانية تقضي باستجلاب عدد من محطات الإرسال الإقليمية الصغيرة لتقوم بنقل إرسال إذاعة أم درمان وأيضاً إرسال المحطات الإذاعية الإقليمية التي تقرر إنشاؤها آنذاك.

وبالفعل ظلت هذه المحطات اليابانية تعمل على نقل البرامج الرئيسية طوال اليوم، وفي الفترات الصباحية والمسائية تبث برامج خاصةً من المدن الإقليمية التي أنشئت فيها هذه المحطات وهي: (***كسلا، ود مدني، عطبرة، دنقلا، الأبيض، ونيالا***) كمرحلة أولى. وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية التي عممت وجود الإذاعات المحلية في كل أقاليم السودان. فظهرت إذاعات (***الفاشر، وادي حلفا، وملكال***)، ثم تبعتها إذاعات (***القضارف، الدمازين، وكادقلي***).

ثم جاءت طفرة أخرى في مجال الإرسال الإذاعي عام 1992م، حيث تم تركيب أجهزة جديدة تبث على الموجتين القصيرتين 31 و41 متراً. وقد استطاعت هاتان الموجتان توصيل صوت الإذاعة

إلـى معظـم أنحـاء العـالم وأصـبحت البـرامج تصـل بسـهولة إلـى دول الخليج وأوروبا والأمريكتين وجنوب شرق آسيا.

مكتبة الإذاعة

لعل أخطر قسم بالإذاعة هو المكتبة الصوتية التي تمثل رأس المال الحقيقي الذي لا تعمل الإذاعة لحظةً بدونه. وتفخر الإذاعة أنها قد صنعت هذه المكتبة بعرق الجبين وصبر السنين. حيث لا يفتر الإذاعيون من التسجيل طوال ساعات النهار والليل منذ أن عرفت الإذاعة التسجيل. وكل المواد التي تسجل في الأستديوهات أو خارجها تتقاطر صوب المكتبة، لتجد مكانها الدائم بين أرففها التي تزداد يوماً بعد يوم ولا تنقص أبداً.

ولا يستطيع أحد أن يتصور حجم المخزون في مكتبة الإذاعة من تراث الأجيال المتعاقبة. فهي تمتلئ عن آخرها بالأحاديث السياسية والفنية والأدبية والتاريخية والعلمية وغيرها. كما تفيض جنباتها شعراً وموسيقى وقرآناً وفناً. حيث إنه لا يوجد ضرب من ضروب العطاء الإنساني المسموع إلا وكانت مكتبة الإذاعة تذخر بالكثير من درره الرائعات. وبذلك تعتبر مكتبة الإذاعة داراً للوثائق لا تضارعها في ذلك أكبر دور الوثائق في البلاد. وهذه المواد يتم حفظها على الأشرطة المغنطيسية التي تتحمل تقلبات الطقس. ولكنها رغم

ذلك لا بد أن تبقى في درجة حرارة منخفضة طوال العام حتى تحتفظ بمستوى التسجيل إلى أطول فترة ممكنة. وهناك نفر من الشباب عينتهم الإذاعة السودانية ليقوموا بأعباء التوثيق وحفظ التراث المسجل داخل الأشرطة واستخراج المواد المطلوبة للإذاعيين الذي يستخدمونها من خلال عملهم اليومي.

ولا يستطيع أحد الاستغناء عن المكتبة مهما كان شكل العمل الإذاعي الذي يقدمه، حتى وإن كانت مواده المستخدمة ليست من مواد المكتبة. حيثُ إنه لا بد أن يودع برنامجه بين هذه الأرفف. وتصنف المكتبة الأشرطة بحسب أحجامها، حيث تعمل إذاعة أم درمان مثلها مثل جميع إذاعات الدنيا بأربعة أحجام من الأشرطة من نظام البكرات Reel والتي تصنف حسب أحجامها كما يلي:

1/ الحجم الكبير شريط مقاس 2500 قدم. ويسمى شريط (س). زمنه 60 دقيقة.

2/ الحجم الثاني شريط مقاس 1200 قدم. ويسمى شريط (ن). زمنه 30 دقيقة.

3/ الحجم الثالث شريط مقاس 900 قدم. ويسمى شريط (ر). وزمنه 20 دقيقة.

4/ الحجم الرابع شريط مقاس 600 قدم ويسمى شريط (ص). وزمنه 15 دقيقة.

والإذاعةُ السودانيةُ تملك عدداً ضخماً من هذه الأشرطة، وصل في بداية عام 1995م إلى أكثر من تسعين ألف شريط. وهي محفوظة برفوف المكتبة الصوتية العريقة. أدخلت الإذاعة نظام الكومبيوتر وهو أحدث النظم المتبعة في محطات الإذاعة في كل أنحاء العالم [108].

وقد تدرب عدد من العاملين بالمكتبة على تشغيل هذا النظام الحديث، فضلاً عن تغذية المكتبة بوجوه جديدة تعلمت هذه الفنون الحديثة كمنهج لحفظ الوثائق والأشرطة. وتوجد بمكتبة الإذاعة العديد من المواد البالغة الأهمية، ذات الصفة التاريخية. كما توجد مواد تسجيلية لكل المؤتمرات السياسية والوطنية والعلمية التي عقدت بالسودان أو خارجه وكان السودان مشاركاً فيها.

كما تحتفظ المكتبة بكل البرامج القديمة والحديثة والغناء والموسيقى والأحاديث والخطب السياسية لكل الزعماء الذين حكموا السودان، والمدائح النبوية، وتلاوات القرآن الكريم، ومقابلات مع معظم نجوم الفن والرياضة والأدب والثقافة وغيرها منذ اللحظة التي بدأ فيها

108 أُدخِلَ هذا النظام لتصنيف الأشرطة في عام 1993م.

التسجيل على الأشرطة المغنطيسية وإلى يومنا الحاضر. وقد تم تقسيم المكتبة الصوتية إلى ثلاث وحدات هي:

1/ وحدة المواد التاريخية والوثائقية،

2/ وحدة الغناء والموسيقى،

3/ وحدة البرامج والمواد الدينية.

وتحوي وحدة المواد التاريخية والوثائقية جميع المواد ذات السمة التاريخية، مثل الأحاديث السياسية المهمة، ووقائع البرلمانات، ولقاءات كبار صناع السياسة من رؤساء ووزراء وحكام، سواء تلك التي سجلت من خلال اللقاءات أو البرامج داخل الأستديوهات، أو تلك التي سجلت من مواقع الأحداث والمنابر المختلفة.

وهذه المواد تعتبر ذات أهمية خاصة لأنها تحمل سجلاً حياً لتاريخ الوطن بأصوات صناعه الحقيقيين عبر الحقب المختلفة. وقد ظلت الإذاعة تقدم بعضاً من هذه المواد المهمة في بعض المناسبات الوطنية، لاسيما في ذكرى الاستقلال في الأول من كانون ثاني يناير من كل عام. وإلى جانب أصوات القادة السودانيين فإن هذه الوحدة

تحوي تسجيلات نادرة لكثير من زعماء العالم التاريخيين [109]. وتحوي وحدة الغناء والموسيقى تسجيلات لجميع الأغنيات السودانية منذ أول أغنية سجلت بالإذاعة وهي للفنان (**أحمد المصطفى**) حتى آخر عمل غنائي تم تسجله في الآونة الأخيرة. كما أن هذه الوحدة تحوي عدداً ضخماً من الأغنيات الأجنبية، التي تأتي على رأس القائمة فيها الأغنيات العربية من مصرية ولبنانية وسورية وخليجية وغيرها وأصنافاً من الموسيقى الغربية والأفريقية.

أما الوحدة الثالثة وهي وحدة البرامج والمواد الدينية فقد تم تخصيصها لنوعين من المواد الإذاعية هي: أشرطة البرامج اليومية التي تقدم من خلال الدورات الإذاعية المختلفة مثل برامج المنوعات والبرامج الثقافية وبرامج الدراما والرياضة، والمواد ذات الطابع الديني، التي تذخر بها مكتبة الإذاعة، مثل تسجيلات القرآن الكريم والأحاديث الدينية، والمدائح النبوية، واحتفالات المولد النبوي الشريف، والأذكار والأشعار الصوفية، وصلوات الكنائس التي ظلت الإذاعة السودانية تقدمها على مدى تاريخها مشاركةً للمسيحيين في أعياد الميلاد وشم النسيم وغيرها.

---

109 أشهر الزعماء الراحلين الذين لهم تسجيلات خاصة بالإذاعة السودانية لدى زيارتهم للسودان هم الإمبراطور هيلاسيلاسي، ليونيد برجنيف، جوزيف بروز تيتو، وجمال عبد الناصر.

وطوال مسيرتها عَينت مكتبة الإذاعة عدداً من الموظفين لأداء العمل اليومي. ومن مهامهم إعطاء الأشرطة أرقاماً متسلسلة تسهل عملية إدخالها واستخراجها عند الحاجة. وتفخر مكتبة الإذاعة بوجود كوكبة من الإذاعيين الذين حذقوا هذا النوع من العمل الشاق، حتى أصبح بعضهم وكأنه جزء من هذه المكتبة، يحفظ أرقام أشرطتها عن ظهر قلب. ولا يذكر أحد مكتبة الإذاعة دون أن يشير إلى السر بشير، وعباس الطيب، والسر إبراهيم، وسيد عبد الكريم، ومحمد عمر حمزة. حيث ظل كل واحد منهم مرجعاً في أرقام الأشرطة.

مكتبة بخيت

تعتبر هذه المكتبة الفريدة من نوعها في إذاعات العالم. وذلك لأنها ارتبطت ارتباطاً وجدانياً وروحياً بشخصية إنسان ولم ترتبط بالإذاعة. وهذا الإنسان هو رجل فنان مطبوع اسمه (**بخيت أحمد إبراهيم**). دخل بخيت إذاعة أم درمان كأحد فنيي الصوت، الذين يقومون بتسجيل البرامج وعمل الإذاعات الحية كتنفيذ نشرات الأخبار وغيرها. وما أن دخل الإذاعة حتى أحس الجميع بمواهبه في مجال تقديم البرامج الموسيقية. وشيئاً فشيئاً أتاحت له الإذاعة أن يبدع في ذلك المجال، فارتبط بتقديم البرامج الموسيقية التي تهتم بالغناء الأفريقي والغربي. لم يضارعه أحد طوال تاريخ الإذاعة في تقديم هذا

النمط من الموسيقى المحبب لدى قطاعات كبيرة من الشباب. ساعده في ذلك طبيعة نشأته الخاصة، حيث إنه ينتمي إلى بقعة طروبة من بقاع السودان وهي الجنوب.

وظل بخيت يحتفظ في مكتبته بروائع الأشرطة والأسطوانات. وكان الممون الأساسي لإذاعة ركن الجنوب عندما كانت تبث برامجها من أستديوهات إذاعة أم درمان. وانتقلت إذاعة ركن الجنوب إلى جوبا وبقي بخيت داخل مكتبته التي بدت وكأنها قد فصلت على حجمه. فهي أصغر مكتبة إذاعية في العالم، لا تتعدى مساحتها مترين في ثلاثة. وتقع في مدخل الأستديوهات القديمة بالقرب من أستديو (E). وقد امتلأت رفوفها الصغيرة التي وضعت على جوانبها الثلاثة أشرطة تضم أروع المواد الإذاعية.

والطريف في مكتبة بخيت أنه لا يجرؤ أحد على ولوجها إلا بخيت نفسُهُ، الذي يجلس عند مدخلها فتمتلئ بساكنها الوحيد الذي يظل يومياً يتأمل ذلك التاريخ المحفوظ بين الرفوف. وهذه المكتبة غنية بالإبداع الخصوصي، الذي لا يعرف أحد من الإذاعيين متى وكيف سجل، بل ومن أين أتى به بخيت! إلا أن العارفين لقيمة التراث الموجود داخل هذه المكتبة ظلوا يلتمسون من حارسها المنيع إعطاءهم بعض الأشرطة ليستخدموها في برامجهم. وظل بخيت دؤوباً في

ملاحقة أشرطة مكتبته التي لا يدعها تبيت خارج الإذاعة مهما تكن الظروف.

إدارة الإنتاج التجاري والاستثمار

هذه الإدارة تضم القسم التجاري والإدارة الاقتصادية للهيئة القومية للإذاعة التي أنشئت حديثاً. حيث إن المكتب التجاري هو الجهة المختصة بإنتاج الإعلانات ومواد الإذاعية والتلفزيونية التي تعرض للتسويق بغرض جلب المال اللازم للجهازين الذين ينفقان كثيراً ويستهلكان ميزانيةً ضخمةً من خزينة الدولة. وقد تأسس المكتب التجاري بعد قيام حكومة مايو 1969م.

وقد خُطط للمكتب التجاري أن يقوم بالإنتاج الفني والتسويق، إلا أنه لم يؤد دوره المطلوب طوال سنوات البداية. حيث انحصر عمله في شيئين أساسيين هما إنتاج الإعلانات التجارية التي تبث من خلال الإذاعة والتلفزيون وتسجيل بعض المواد الغنائية على أشرطة الكاسيت للراغبين في شرائها، مقابل ثمن زهيد لم يكن يغطي نفقات الإنتاج.

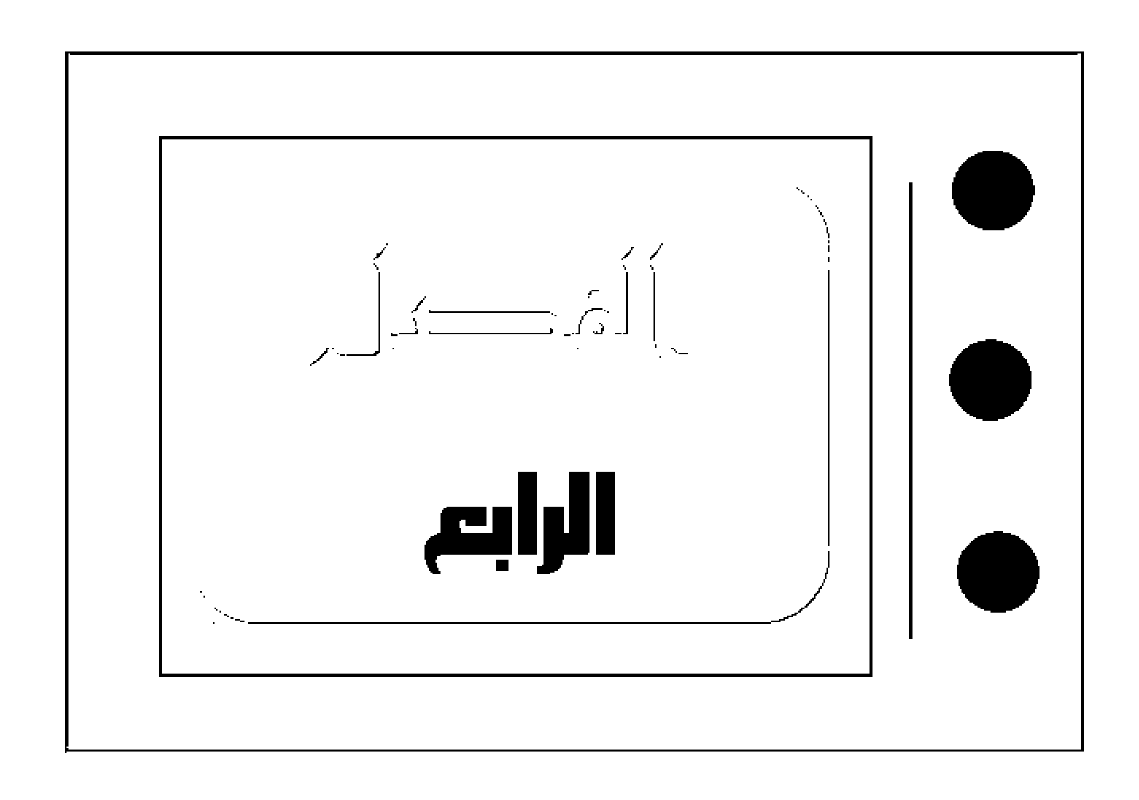
وثبت أنَّ ذلك الدور لم يكن كافياً لتوفير المال اللازم لمتطلبات العمل الإذاعي والتلفزيوني المالية. إلا أن المكتب التجاري ظل يؤدي ذلك الدور المنوط به منذ نشأته. وتطمع الإذاعة في تفعيل ذلك الدور في المستقبل. وبعد صدور قانون المصنفات وحقوق الأداء

العلني لم يعد بمقدور المكتب التجاري تسجيل الأغنيات على أشرطة الكاسيت، لأن هذا العمل صار محكوماً باللوائح والقوانين، مما يقتضي وضع حساب لحقوق المؤلفين والموسيقيين والمطربين. ولذا فقد استمر المكتب التجاري في إنتاج الإعلانات للإذاعة والتلفزيون [110].

ورغم أن العديد من شركات الإعلان قد ظهرت في الساحة إلا أن المكتب التجاري قد حافظ على مستوى زبائنه، خصوصاً فيما يتعلق بالإعلانات الخاصة بالمسرح والمؤسسات الحكومية الأخرى. ومع بداية عقد التسعينات تحول المكتب إلى إدارة كاملة للإنتاج التجاري وظل يمارس دوره الذي لم يختلف كثيراً عن دوره السابق، مع الفارق في طبيعة العمل الموكول إليه في هذه المرحلة. وقد عمل بالمكتب التجاري كل من: (**عيد الخانجي، صخر محمد صالح فهمي، أحمد قيلي**)، وعدد آخر من الفنيين والموظفين الإذاعيين.



110 أقامت الهيئة القومية للإذاعة شركة إنتاج برامجي تعمل تجارياً لتحقيق عائدٍ مالي للهيئة.



قضايا وأحداث إذاعية

الفصل الرابع

قضايا وأحداث إذاعية

((لقد أصبح الإعلام قوةً أساسية من مكونات القوة الذاتية للدولة، وقد يتحول إلى مهدد خطير لقوة الأمة وأمنها القومي إذا لم يُوظف بشكلٍ مسؤول ومُرشد)).

[البروفيسور علي محمد شمو]
وزير الثقافة والإعلام الأسبق

4

لا شك أنَّ للإذاعة خصوصيتها وطبيعتها المتميزة ومفرداتها التي لا يتم التعامل بها إلا داخلها. حيث يجد الإنسان الذي يتعامل معها أنه بين كوكبةٍ من الناس جمعتهم طبيعة المهنة، رغماً عن اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم. فلا يسير دولاب العمل الإذاعي إلا بتوافر عدد من التخصصات كالفنيين والمهندسين والمخرجين والفنانين والكُتاب والمحررين والشعراء والممثلين والبرامجيين والسائقين وعمال الصيانة وغيرهم. ولذلك فأروقة الإذاعة تكتظ بكل هذه الأنماط من البشر يومياً وعلى مدار ساعات عملها. والإذاعة بهذا لا تعرف تكديس

المواد بين أضابير الورق، ولا التقوقع بين جدران المكاتب كما هو حال بعض المرافق الأخرى، وإنما تفرض طبيعة المهنة على كل العاملين فيها أن يكونوا بمواقع العطاء الحقيقي التي غالباً ما تكون هي الأستديوهات. ووسط هذا التفرد في طبيعة المهنة الإذاعية، نجد بعض الأقسام التي لا نجد لها شبيهاً في المؤسسات الأخرى، ولذا نتوقف عندها في هذا الفصل من الكتاب.

الدورات الإذاعية

تعمل الإذاعة السودانية بنظام الدورات الإذاعية، التي تستمر البرامج فيها لمدة أربعة أشهر. وبانتهاء كل دورة إذاعية تعقد إدارة البرامج اجتماعاتٍ مكثفة لمناقشة مقترحات الدورة الجديدة. ومن خلال هذه الاجتماعات يُناقش رؤساء الأقسام سلبيات وإيجابيات البرامج التي قُدمت خلال الدورة المنصرمة.

ويقوم كل قسم بمناقشة مقترحات برامجه الجديدة أولاً، ثم بعد إجازتها المبدئية في داخل القسم تُرفع إلى لجنة البرامج العليا بغرض مناقشتها وإجازتها بصورتها النهائية. وفي هذه المرحلة يقوم رؤساء الأقسام بالدفاع عن مقترحات أقسامهم في شكلٍ أشبه بمناقشة الرسائل العلمية بالجامعات Viva. حيث يوضح مقدم الاقتراح أهمية فكرة البرنامج الذي تقدم به، وما هو الجديد المتوقع من هذا البرنامج،

وكيفية الإخراج، وشكل المادة المراد عرضها من خلاله وهكذا. وبعد أن تُجيز لجنة البرامج مقترحات الدورة يقوم كل رئيس قسم بإخطار الأفراد الذين تمت إجازة مقترحاتهم بغرض الإعداد والتسجيل قبل بداية الدورة. وهناك دوراتٌ خاصة درجت الإذاعة السودانية على عقدها في كل عام على رأسها دورة رمضان. وهي دورةٌ متفردة تستعد لها الإذاعة طوال العام حيث يكون شكل البرامج فيها متفرداً، ويتنافس الإذاعيون في ابتكارِ برامج خاصة بهذا الشهر.

وهناك دورة العيد القصيرة الأجل، وهي تُقدم مرتين في كل عام، إحداها في عيد الفطر والثانية في عيد الأضحى. وهي في معظم الأحيان لا تتعدى الأربعة أيام. ورغماً عن قصرها إلا أنها تجيء في كل عام مليئةً بالبرامج الترفيهية المنتقاة التي يكون قاسمها المشترك الأعظم هو فن الغناء الذي يُولع به السودانيون، خصوصاً عندما يُقدم من خلال اللقاءات الفنية والسهرات التي يشارك فيها كبار المطربين، وكذلك تُقدم فيها المواد الطريفة ذات الطابع الخاص. وفي كثيرٍ من الأحيان تقوم الإذاعة بتشكيل فرقٍ من الإذاعيين تتبارى في تقديم برامج العيد. وذلك من أجل خلق المنافسة، التي هي السلاح الأقوى لتقديم الأجود للمستمع في مثل هذه المناسبات [111].

---

111 أكثر الذين قد ترأسوا هذه الفرق المتنافسة هم الأساتذة:حمزة مصطفى الشفيع، معتصم فضل، صلاح الدين الفاضل، السر محمد عوض، ذو النون بشرى. وكل رئيس فريق يختار مجموعته.

هيكل البرامج

من أهم أعباء لجنة البرامج العليا بالإذاعة وضع هيكل عام للبرامج يسير بموجبه العمل اليومي. وهذا الهيكل يكون بالاتفاق بين كل رؤساء الإدارات والأقسام المختلفة.

ومن خلال هيكل البرامج تتضح نسبة الخدمات الإذاعية التي يقدمها كل قسم. حيث إنَّ هناك بعض الثوابت التي لا تتغير في البرمجة الإذاعية مثل نشرات الأخبار وبعض البرامج مثل: **(عالم الرياضة، وصباح الخير يا وطني، وما يطلبه المستمعون)** وغيرها. أما بقية البرامج، فهي تتغير حسب الدورات، مما يقتضي تغيير شكل الهيكل الإذاعي من دورةٍ إلى دورة.

وعملية توزيع البرامج الإذاعية تحكمها كثير من المعطيات منها طبيعة المرحلة السياسية التي تمر بها البلاد، ونوع الجمهور المقصود بالبرامج، وطبيعة الموجات الإذاعة التي تنقل الإرسال، والفترة الزمنية التي تشهد تقديم الدورة الإذاعية. حيث إن لكل واحدةٍ هذه المعطيات تأثيرها المباشر على نوع الخدمات الإذاعات وشكل البرامج المقدمة.

وبنظرةٍ عاجلة لهياكل الدورات المتلاحقة نجد أنَّ إذاعة أم درمان قدمت ما يربو على الألف عنوان من خلال البرامج المختلفة. وكل عنوانٍ حمل للمستمعين فكرةً جديدة، وأسلوباً جديداً، ومعلومات

جديدة. ولا يتصور إنسانٌ حجم المعاناة التي يتعرض لها مقدم البرنامج وهو يبحث عن الجديد، لأنه ببساطة إن لم يكن جديراً بالبقاء فمصيره رسالةٌ رقيقة من مدير البرامج توقف صوته من المايكرفون وربما إلى الأبد. وبالطبع فإنَّ أخشى ما يخشاه الإذاعي في حياته هو إيقافه من المايكرفون. وفي الجدول التالي جزءٌ من الهيكل العام لبرامج إذاعة أم درمان حسبما وضعته لجنة البرامج العليا في إحدى الدورات الإذاعية.

{الهيكل العام لبرامج الإذاعة}

نوع الخدمة	النسبة	الزمن اليومي
الغناء والموسيقى	%22	57ق 2 ساعة
برامج المنوعات	%15	42ق 2 ساعة
البرامج الثقافية	%15	42ق 2 ساعة
البرامج السياسية	%15	42ق 2 ساعة
الأخبار	%10	48ق 1 ساعة
البرامج الدرامية	%10	48ق 1 ساعة
البرامج الدينية	%10	48ق 1 ساعة
الإعلانات	%3	32ق يومياً

التدريب الإذاعي

ظلت إذاعة أم درمان تقدم خدمات تدريب العاملين بها داخل الإذاعة إما في الأقسام المختلفة، كلٌ حسب قسمه، أو في داخل الأستديوهات. ومعظم التدريب يتم للمذيعين والفنيين الجدد. فقد درجت الإذاعة على التعاقد مع بعض الأساتذة من قدامى الإذاعيين ذوي الخبرة لتدريب المذيعن الجدد مثل: **(يس مَعَني، عبد الرحمن الياس، فراج الطيب، أحمد قباني، محمد صالح فهمي، ومحمد خوجلي صالحين)**. حيث لم يكن هناك معهد للتدريب بالإذاعة في الماضي.

ولما تمَّ إنشاء معهد التدريب الإعلامي القومي التابع لوزارة الثقافة والإعلام جرى تنسيقٌ بينه وبين الإذاعة لإقامة دورات تدريبية للعاملين في مجالات العمل الإذاعي المختلفة. كانت الإذاعة تبعث المذيعين والمخرجين والفنيين للتدريب بمعهد الإذاعة والتلفزيون بجمهورية مصر العربية.

وفي السنوات الأخيرة توقفت هذه البعثات التدريبية لأسبابٍ عديدة لعبت السياسة دوراً فيها. حيث كانت الإذاعة ترسل عدداً من العاملين بها كلٌ حسب تخصصه للتدريب بمعاهد الإذاعة العالمية المتخصصة في الدول الغربية والصديقة مثل بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد استفاد الإذاعيون فائدةً كبيرة من تلك البعثات

في تطوير العمل الإذاعي [112]. على أن تدريب العاملين بالخارج يقتضي توفر بعض الشروط فيمن يُبتعث لتلك الدورات التدريبية. ومن هذه الشروط إجادة اللغة الإنجليزية، مما استدعى تنظيم دوراتٍ فيها للإذاعيين بمعهد السودان لتعليم اللغة الإنجليزية. وظلَّ قسم المذيعين يقوم بتدريب المذيعين الجدد في دورات يعقدها داخل القسم حتى يتمكنوا من دخول الأستديو، والتعامل مع الميكروفون، وكسر حاجز البداية الذي هو أصعب مراحل عمل الإذاعي الجديد.

وكما جرت العادة فإنَّ تدريب المذيعين الجدد غالباً ما يبدأ بشكلٍ تلقائي يتمثل في وضعهم بالقسم دون أعباء مع المذيعين القُدامى. ويستمر هذا الوضع لأيامٍ عديدة يأتي فيها المتدربون من منازلهم ويمكثون طوال ساعات العمل اليومي ثم يعودون.

والغرض من هذا البقاء هو مراقبة ما يحدث داخل القسم، والاحتكاك بالعاملين، والتعرف على طبيعة السلوك اليومي للمذيعين. بعد ذلك يوضع الجميع في جدول التدريب الذي يختلف من مرحلة إلى مرحلة حسب الخطة الموضوعة. ويكون التركيز بصورةٍ عامة على قراءة نشرات الأخبار وإعدادها. حيث يتعرف المتدربون على فنون

---

[112] من أمثلة تلك الاستفادة ما قام به المهندس صلاح طه عندما عاد من بعثته لألمانيا، حيث غيَّر أسلوب العمل بأستديوهات أم درمان من النظام اليدوى التقليدى إلى النظام التلقائي Automatic. واعتُبرت تلك طفرةً متقدمة ساعدت كثيراً في تيسير مهمة الفنيين والمخرجين داخل الأستديوهات.

الاداء ومراحل إعداد النشرة وفلسفة المحطة الإذاعية التي ينتمون إليها. وتأتي أهمية هذه النقطة من طبيعة العمل الإذاعي في المحطات المملوكة للدولة ومنها إذاعة أم درمان. حيثُ إنَّ السياسة الإعلامية تضعها الدولة وفقاً لأولوياتها التي ينظمها الدستور وفلسفة النظام السياسي المتبع في الدولة.

كما يتضمن التدريب دوراتٍ في إعداد البرامج المختلفة لاسيما المنوعات والبرامج الثقافية، إجراء الحوارات الإذاعية، والمقابلات المختلفة، وعمل التغطيات الإذاعية الحية من مواقع الأحداث وغيرها من ضروب العمل اليومي.

وخلال عقد السبعينيات من القرن العشرين أدخلت الإذاعة تدريباً لمذيعيها في معهد الدراسات الاستراتيجية لتعريفهم بالتكوين الهرمي للنظام السياسي الذي كان قائماً آنذاك وهو الاتحاد الاشتراكي السوداني فضلاً عما تعلموه من العمل الإذاعي والتعامل مع الميكروفون، وطريقة الأداء الإذاعي.

وكما هو معتاد فإنَّ الإذاعيين الجدد يقضون فترةً تتراوح بين ستة أشهر إلى عام لإتقان فنون العمل الإذاعي، ثم بعد ذلك يدخلون إلى الأستديوهات لتقديم المواد الحية. وفي معظم الأحيان يبدأ عمل المذيع برفقة أحد الزملاء القدامى ليستفيد من خبرته العملية. وفي الأستديوهات يقضون فترة مراقبة تمتد بين العام والعامين يمارسون فيها

الأعمال السهلة، ثم يتطورون إلى المواد الصعبة والتي تأتي على رأسها قراءةُ نشرات الأخبار. والذي يقرأ نشرة الأخبار الرئيسية خصوصاً أخبار الثالثة يعتبر قد وصل إلى حد النضج الإذاعي. ووسط هذه النظم والقيود توجد بعض الحالات الفردية النادرة التي لم يمر أصحابها بكل تلك الفترات الطويلة من التدريب، وإنما نزلوا إلى المايكرفون في فتراتٍ وجيزة بعد التحاقهم بالإذاعة[113].

محرقة الأسطوانات

كانت الإذاعة في بداياتها تقدم المواد حيةً على الهواء، ثم ما لبثت أن أدخلت نظام التسجيل على الأسطوانات في عام 1949م. ثم بعد انتقالها إلى مقرها الدائم في عام 1957م أدخلت نظام التسجيل على الأشرطة المغنطيسية ذات البكرات.

وبعد أن استقرت الإذاعة قامت بنقل المواد الإذاعية من الأسطوانات إلى الأشرطة المغنطيسية التي تتميز على الأسطوانات بأنها أسهل تسجيلاً وأسهل تلعيباً على الهواء للمستمع، حيث يمكن

---

113 أقرب مثال لذلك هو الإذاعية عوضية أحمد يوسف، حيث دخلت باب الإذاعة لأول مرة في الساعة الثامنة صباحاً وعند الثانيةَ عشرةَ ظهرَ نفس اليوم كانت تُسجل أقوال الصحف، ثم قرأت نشرة أخبار العاشرة في صبيحة اليوم التالي. كل ذلك لأنها كانت موهوبةً بالفطرة، ولم تحتج إلى أي جهد من الإذاعيين الذين يقومون بالتدريب يومها.

مسحها وإعادة تسجيلها بسهولة. وأصدر مدير الإذاعة أمراً لقسم الفنيين بالقيام بنقل جميع المواد من الأسطوانات إلى الأشرطة الحديثة. وأخبره قسم الفنيين بأن هذه العملية تحتاج إلى جهدٍ كبير ووقتٍ طويل حتى تتم بشكلها الصحيح.

وبدأ العمل الذي استغرق شهوراً بذل فيها الفنيون أقصى ما لديهم من جهود، ونقلوا كثيراً من المواد التي كانت بالأسطوانات. بعد ذلك أمر السيد المدير بجمع كل الأسطوانات التي بالمكتبة وحرقها في ركنٍ من أركان الإذاعة. وذلك حسب رأيه لعدم وجود مكان لها بالمكتبة التي ستوضع فيها الأشرطة المغنطيسية الجديدة [114]. وأُشعلت النيران في أكوام الأسطوانات في ركنٍ قصيٍ من أركان سور الإذاعة.

في تلك اللحظة وألسنة اللهيب تتصاعد وسط الدخان الكثيف جاء المرحوم (**النور موسى**) وهو من الفنيين الذين عملوا بالإذاعة بعد الرعيل الأول الذي ضمَّ (**موسى إبراهيم، ود الفيل، وكمال جابر**). حيث التحق النور موسى بالإذاعة في تلك الفترة وهو صبيٌّ صغير أحضره والده الذي كان يعمل شُرطياً ليعمل في السلك الإذاعي. شاهد النور موسى تلك النيران المضرمة، فسأل الحاضرين عن سبب الحريق، فقالوا له: «**إنَّ السيد خاطر أبو بكر مدير الإذاعة قد أمر**

114 كان قرار نقل المواد الإذاعية من الأسطوانات إلى الأشرطة المغنطيسية ثم حرق الأسطوانات قد صدر من السيد خاطر أبو بكر مدير الإذاعة.

بحرق جميع الأسطوانات، وهو الآن ينفذ ما أمر به)). لم يتمالك النور نفسه، وأخذ يبكي ويولول حتى سقط على الأرض مغشياً عليه. والتف الحاضرون من حوله يحاولون تخفيف وطأة الصدمة والحزن على زميلهم الذي قضى معظم أيامه ينسخ تلك الأسطوانات.

وبعد أن فاق الجميع من هول الموقف عرفوا أنَّ تلك المدامع كان لها ما يبررها، حيث إنَّ النور قد أخبرهم بأن كثيراً من المواد لم يتم نقلها بعد وأن المدير قد تعجل في قرار حرق الأسطوانات، وبذلك فإنَّ تراثاً ثميناً يكون قد ضاع في وهج اللهيب.

ورغماً عن تأكيد الأستاذ خاطر أبو بكر بأنَّ جميع المواد قد تمَّ نقلها بالأشرطة إلا أنَّ العارفين ببواطن الأمور قد أكدوا أنَّ هناك مواد كثيرةً جداً لم يتم نقلها إلى الأشرطة المغنطيسية، وهي تحوي تراثاً نادراً من الغناء والموسيقى والأحاديث المرتبطة بفترة النضال من أجل الاستقلال. وكان الفنيون أمثال موسى إبراهيم وود الفيل وكمال جابر والنور موسى أكثر الناس إدراكاً لتلك الحقيقة لأنهم هم الذين سجلوها على الأسطوانات. وفي حقيقة الأمر كان الأستاذ خاطر أبو بكر قد اتخذ ذلك القرار الفردي دون أن يستشير أحداً مما أفقد السودان ثروة نادرة، لأن صناعها فارقوا الحياة عندما أُشعلت فيها النيران [115].

---

115 كان من أندر المواد التي أحرقها خاطر أبو بكر ولم يُعثر لها على أي تسجيل فيما بعد هي أغنيات سجلتها الإذاعة للفنان الراحل كرومة بمصاحبة الأوركسترا الموسيقية. حيث لم

مسح جميع تلاوات القرآن

كانت الإذاعة السودانية في الماضي تتعاقد مع قارئي القرآن الكريم ليقوموا بقراءته حياً على الهواء من داخل أستديو البث المباشر. وتتم هذه القراءات بالتناوب بين القارئين المعتمدين لدى الإذاعة وهم الشيوخ: (**عوض عمر، وصديق أحمد حمدون، ومحمود سامي، ومحمد بابكر**).

ففي كل صباحٍ يأتي القارئ الذي عليه التلاوة، ويقرأ ما يتيسر له من القرآن الكريم على الهواء مباشرةً لمدة ربع ساعة. ثم يذهب ليأتي شيخٌ آخر في المساء يقدم تلاوة المساء من الساعة السابعة إلا رُبُعاً حتى السابعة. كانت الإذاعة تدفع أجراً مالياً لكل قارئ بصورة منتظمة، مقابل مشاركته بالتلاوة.

وبعد فترةٍ من الزمن رأت الإذاعة أن تقوم بتسجيل هذه التلاوات بحجرة المراقبة أثناء تقديمها على الهواء حتى لا يضيع هذا الجهدُ هباءً. ولم ينشأ ذلك القرار من فراغ، حيث إنَّ طبيعة العملية الإذاعية تتطلب الدقة والحذر والاحتياط لكل الظروف غير المتوقعة. وبدأت بالفعل تسجل تلاوات القرآن الكريم، وقطعت شوطاً بعيداً، حتى جمعت حصيلةً محترمةً من الأشرطة بأصواتِ مختلف القارئين.

يُعهد عن كرومة أن غنى في حياته بالأوركسترا إلا تلك المواد التي أحرقت. وكان كرومة قبلها يغني بالإيقاع والرق فقط. وبذلك حُرم أبناء السودان من سماع كرومة بالأوركسترا.

وفي يوم من الأيام لاحظ الشيخ محمد بابكر بمحض الصدفة أن الإذاعة كانت تسجل أثناء قراءته على الهواء، فذهب إلى مدير الاستعلامات غاضباً، وتظَلَّمَ إليه، مُدَّعِياً أنَّ الإذاعة عندما تكمل تسجيل القرآن فإنها حتماً ستستغني عن خدماته وخدمات زملائه القارئين، ومن شأن ذلك أن يحرمهم من الأجر المالي الذي يتقاضونه عند كل قراءة حية.

واتصل مدير الاستعلامات بمدير الإذاعة الذي أكد أن هذا التخوف لا أساس له من الصحة. حيث إنَّ الإذاعة لا يمكن أن تستغني عن خدمات القارئين ما دامت على قيد الحياة، وكلُ ما في الأمر أنّ الإذاعة تريد توثيق المادة المذاعة حتى لا تقع في أي محظورٍ أو حرج، وحتى إذاما أخطأ القارئ فإنَّ الأسلوب الوحيد لاكتشاف ذلك الخطأ ولإقناعه بتصحيح نفسه هو الرجوع إلى ذلك التسجيل الذي يتم على الهواء.

وساق مدير الإذاعة عدداً من التبريرات، منها أن الإذاعة تسجل حتى نشرات الأخبار أثناء إذاعتها على الهواء كجزءٍ من الاحتياط، ثم تمسحها بعد فترةٍ من الزمن.

ورغماً عن كل تلك الحُجج لم يقتنع الشيخ، ولم تُجْدِ معه كُلُ التبريرات التي ساقها مدير الإذاعة ومديرُ الاستعلامات الذينِ أكدا له أنَّ الإذاعة لن تستغني في يوم من الأيام عن خدماته وخدمات زملائه

من القراء الذين هم في الأصل لا يزيدون عن الثلاثة. ولكنَّ الشيخ أصرَّ على طلبه بمسح جميع هذه التلاوات التي سجلتها الإذاعة. وقال إنهم لن يتعاونوا معها إذا لم تقم بمسح تلك الأشرطة بحضورهم.

ولما لم تُجدِ كل المحاولات، رضخ مدير الاستعلامات لتلك الرغبة وأمر مدير الإذاعة بمسح جميع أشرطة القرآن التي سُجلت بتلك الطريقة. وكانت مفاجأة القدر أنه بمجرد أن أكملت الإذاعة مسح تلك الأشرطة تُوفي القارئ الشيخ محمد بابكر الذي كانت جميع قراءاته قد مُسحت بالفعل ما عدا شريطين فقط هما اللذان ما زالا يذاعان حتى يومنا هذا من راديو أم درمان. وضاع كل ذلك الكنز الثمين المتمثل في صوته الجميل وتلاوته العذبة.

حرق أستديوهات الإذاعة

بعد أن سعدت الإذاعة بافتتاح عدد جديد من الأستديوهات في عام 1976م استمرت تلك الأستديوهات الجديدة بالإذاعة تعمل لمدة أربعة أشهر فقط، وقبل أن يدخلها بعض الإذاعيين تعرضت لحريق مدمر في صبيحة اليوم الثاني من شهر تموز يوليو عام 1976م[116]. وكادت الإذاعة السودانية كلُّها أن تروح ضحية ذلك الحريق الذي لم يكن مصادفةً، وإنما كان له مدبروه من المنتمين لإحدى الحركات

116 هذه الأستديوهات هي أستديو كرومة وأستديو سرور وأستديو الفلاتية وأستديو خليل فرح.

الانقلابية الساعية للإطاحة بنظام جعفر نميري القائم آنذاك. احترقت من جرّاء ذلك الحادث أعدادٌ ضخمة من أشرطة التسجيل النادرة بالإذاعة، من بينها أغنياتٌ لعدد من الفنانين، وبعض البرامج القديمة التي استضافت فيها الإذاعة نجوم الغناء والرياضة والأدب وما إلى ذلك. وعند حصر الخسائر تأكد للإذاعة أن تلك المواد لا يمكن تعويضها أبداً. حيث امتدت النيران من المكتبة إلى الغُرف المجاورة التي كانت تحوي بعض المكاتب، فتصدعت جدران المباني، وتشوهت الأثاثات بشكلٍ فظيع. وعمَّ الهرج والفوضى.

وعلى الفور كونت وزارة الثقافة والإعلام بالتشاور مع وزارة المالية والاقتصاد لجنةً لحصر الخسائر وتقويم الموقف، أسهمت فيها قوات الشرطة التي ظلت مرابطةً طوال أيام الحصر بمبنى الإذاعة. وأعلنت اللجنة نتائج أعمالها التي رُفعت إلى وزير الداخلية.

ومن خلال الحصر ثبت أنَّ تلك الخسائر كانت أكبر من أن تتحملها ميزانيةُ الإذاعة المتواضعة. وما كان أمام الدولة من خيار إلا أن تتدخل لمعالجة الأمر فصدر قرارٌ من القصر الجمهوري يقضي بأن تسهم بعض الوزارات [117]. في إعادة ترميم المباني والأجهزة بأسرع فرصةٍ ممكنة.

---

[117] وزارتا المالية والاقتصاد الوطني والثقافة والإعلام.

كان من الممكن أن تحترق في ذلك اليوم العصيب جميع أشرطة الإذاعة والمواد التي في داخل المكتبة الصوتية، وذلك لأن المكتبة لم تكن بعيدة عن موقع الأستديوهات المحترقة. بل كانت هي أقرب المباني إليها لا تفصلها عنها إلا بعض المكاتب التي يشغلها قسم الأخبار وقسم المهندسين وقسم الالتقاط السياسي.

وبعد شهرٍ من ذلك الحادث صدر قرارٌ من مدير الإذاعة بنقل المكتبة من تلك المباني التي ظلت فيها منذ إنشائها في عام 1957م. ولعل ذلك الحادث، ورغم الخسائر التي نجمت عنه قد أتى بثمرةٍ طيبة هي ذلك القرار المهم بنقل المكتبة.

وللحقيقة فقد كان مشروع المكتبة الجديدة معداً سلفاً، ولكنَّ ظروف ذلك الحريق قد عجلت بالأمر، وأدت إلى إصدار القرار الذي بدأ تنفيذه على الفور [118]. ولم يمضِ عامٌ على ذلك الحريق الذي كلَّف الإذاعة الكثير حتى كانت تلك الأستوديوهات قد أُعيدَ ترميمها بكاملها وافتُتِحَتْ مرةً أخرى في يوم 27 أيار مايو عام 1977م.

طائرة تقصف الإذاعة

في صبيحة الجمعة 16 آذار مارس 1984م كان عدد من الأطفال يتوجهون صوب مبنى الإذاعة كعادتهم لتسجيل برنامج

118 بُنيَ المقر الجديد للمكتبة تحت الأرض تحسباً لمثل هذه المفاجآت مستقبلاً.

الأطفال. وجرت العادة أن تسجل الحلقات في الساعة العاشرة صباحاً لتذاع في الساعة الثامنة والنصف من صبيحة الجمعة التي تليها. ودخل الجميع أستديو B، وبدأ التسجيل بتلعيب شعار البرنامج.

كان الجميع واقفين يسجلون فقرات البرنامج، وفجأةً وجدوا أنفسهم مطروحين تحت الكراسي والترابيز من هول القصف الصاروخي ودوي الرصاص الذي صمَّ آذان الجميع، وتصاعدت سحب الدخان الكثيف الذي عمَّ أرجاء المكان.

لم يصدق أحد أذنيه، ولم يتمالك أحد نفسه. فهدير القصف كان أقوى وأسرع حتى من مجرد التفكير في مصدره أو أسباب حدوثه. ولم يكن بمقدور أحد أن يفسر ما يحدث في تلك اللحظة. وهرع الجميع نحو البوابات الرئيسية عبر الممرات الضيقة وسط اهتزاز المبنى العتيق. كانت سماء الإذاعة قد تلبدت بغيومٍ كثيفة داكنة اللون غطت كل معالم المبنى. ولم يعرف الأطفال إلى أين يلتجئون، ولا الفنيون والمهندسون الذين تجمهروا خارج مدخل الاستقبال الداخلي للإذاعة يرقبون طوق النجاة.

كان أزيز الطائرة ماثلاً للعيان، وكل الحاضرين يشاهدونها تطير ببطءٍ وعلى ارتفاعٍ منخفض يكاد يُلامس هامات البيوت. أسقطت الطائرة صواريخها على مبنى الإذاعة، واتجهت مباشرةً نحو الشمال، حيث أسقطت مجموعةً أخرى من الصواريخ أصابت منزل

السيد **(حسن عوض الله)** المواجه لبوابة الإذاعة مباشرةً. والسيد حسن عوض الله هو أحد السياسيين البارزين بالسودان، وكان مناوئاً لحكم جعفر نميري الذي انقلب على السلطة المنتخبة والتي يمثل حسن عوض الله أحد أقطابها بحكم انتمائه للحزب الاتحادي الديموقراطي. وعلى بُعد حوالي مائة متر من ذلك المنزل أسقطت الطائرة صاروخاً آخر قصف منزل السيد **(الصادق المهدي)** رئيس وزراء السودان الأسبق ورئيس حزب الأمة المعارض لحكومة نميري.

وتهدمت جدران المنزلين من عدة نواحي. خرجت الجموع الغفيرة من المواطنين من داخل البيوت حيث كان اليومُ جمعة، وجميع السودانيين يحرصون على البقاء في منازلهم صباح الجمعة، حتى إذا انتهى الإفطار يخرجون لزيارات الأقارب، أو النزهة.

كان الجميعُ مذعورين من هول المفاجأة، والكل يستفسر عما حدث. وبعد ساعتين من ذلك القصف وصل إلى مبنى الإذاعة رئيس الجمهورية وعدد من قادة القوات المسلحة والوزراء يستطلعون الأمر. وتجول نميري والوفد المصاحب له في أنحاء الإذاعة المختلفة وقال في أول تعليق له:

((إنها حماقات العقيد المجنون، ولكن الله ردَّ كيده في نحره، فبدلاً من إسكات صوت السودان الذي هدف إليه، حطم منازل مناصريه وبطانته من فلول المعارضة)).

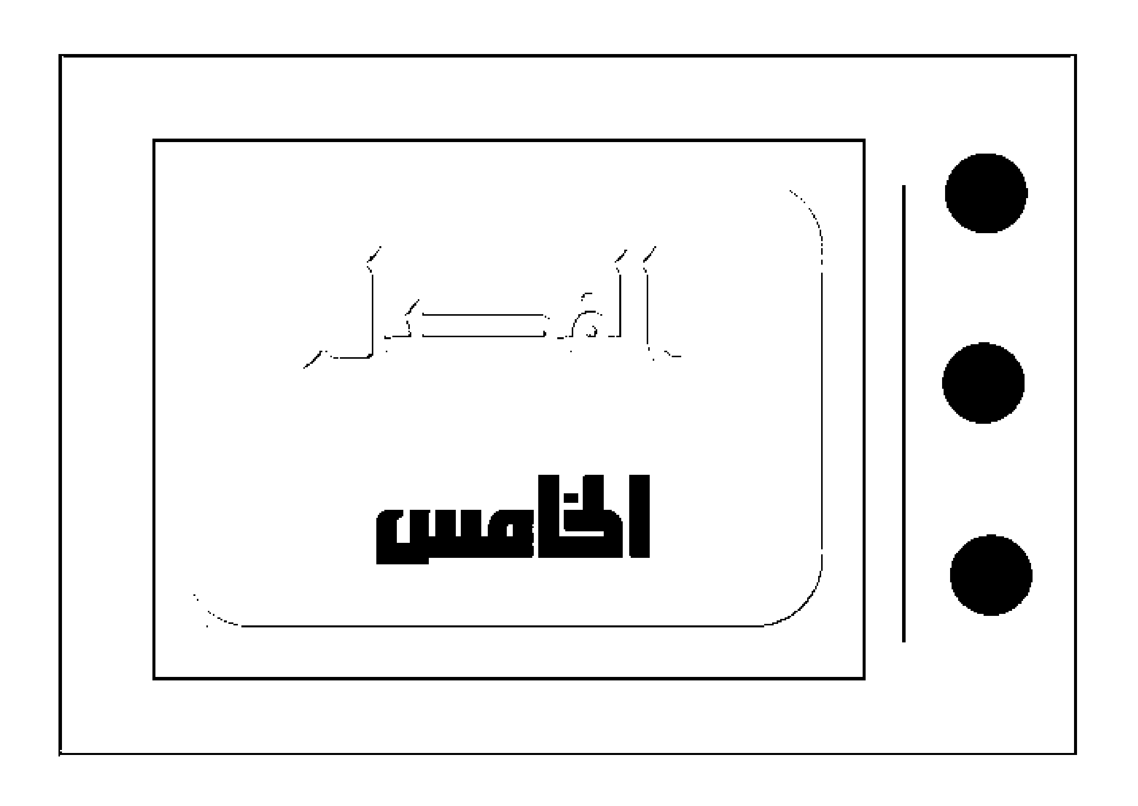
كـان نميـري يعنــي الـرئيس الليبــي معمـر القـذافي، ويقصـد بمناصـريه السـيد الصـادق المهـدي والسـيد حسـن عـوض الله الـذينِ قصفت الطائرة منازلهما، حيث كان كلاهما عُضوين بالجبهة الوطنية التي كانت تقود نضالاً مسلحاً من ليبيا ضد حكومة مايو بقيادة جعفر نميـري. وتقـول تقـارير المخـابرات السـودانية السـرية إن إرسـال تلـك الطائرة وقصفها للإذاعة قد تم بعد دراسةٍ مستفيضة من قبل الحكومة الليبية التي ضاقت ذرعاً بكيل السباب الموجه إليها من إذاعة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا التي تبث إرسالها من السودان. حيث كانت تلك الإذاعـة التـي تبـث برامجهـا العدائيـة للحكومـة الليبيـة علـى الموجـة القصيرة 21 مسموعة بشكلٍ واضح في معظم أنحاء ليبيا مما حدا بالحكومة لإسكاتها. حيثُ ظن المسؤولون أن تلك الإذاعة تبث من داخل الأستديوهات الجديدة لإذاعة أم درمان.

وقالـت تقـارير المخـابرات إن تلـك الطـائرة كـان يقودهـا أحـد الطيارين السودانيين واسمه السر كُنة، وأنه قد هرب من ليبيا ثم عاد مرةً أخرى للتعامل معها. وأنه بعد أن استقبلَ في السودان استقبالاً طيباً بواسطة سكرتير مكتب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز الأمن القومي المقدم صلاح دفع الله انخرط بعد ذلك في حوار طويل مـع نائـب الـرئيس كانـت نتيجتـه أن عُين طيـاراً فـي شـركة الخطـوط الجويـة السودانية بدرجـة كـابتن بحكم دراسته وعملـه السـابق فـي قيـادة

طائرات البوينج 707. وقيل إنه بعد أن قرر الخروج من السودان ترك رسالةً سبَّ فيها النظام السوداني وانتقده أشد الانتقاد، ثم خرج من البلاد ليعود إليها قائداً تلك الطائرة التيبلوف التي قصفت الإذاعة في صبيحة يوم الجمعة 16 آذار مارس عام 1984م.

كانت هذه التفاصيل عن اشتراك الكابتن السر كنة قد أوردتها مخابرات جهاز الأمن، إلا أنَّ السر كنة نفسه قد ظهر بعد الانتفاضة الشعبية في أبريل 1985م ونفى إلصاق هذه التهمة بشخصه جملةً وتفصيلا. وتبقى الحقيقة أن الطائرة قد حلقت في سماء أم درمان وقصفت الإذاعة ودمرت بعض أستديوهاتها دون أن تُلحق خسائر فادحة بالإذاعة. وقد أجريت التحقيقات فوراً فأكدت أن رادرات الدفاع الجوي لم تتمكن من رصدها لا عند دخولها الأجواء السودانية ولا عند قصفها مبنى الإذاعة.





الإذاعات الولائية، الموجهة، والمتخصصة

الفصل الخامس

الإذاعات الولائية، الموجهة، والمتخصصة

((منذ اللحظة التي نشأت فيها إدارة الإذاعات الموجهة ونحن نسعى لمخاطبة العالم بكل لغاته الحية. وهذا لن يتأتي إلا بتغيير النمط المتبع لدينا في صوت الأمة السودانية)).

[د. صلاح الدين الفاضل]
المدير السابق للإذاعة السودانية

5

أدرك المسؤولون عن إذاعة أم درمان منذ الوهلة الأولى أنها الوسيلة الأنجع والأفضل لتوصيل المادة الإعلامية لأبناء السودان. ولذا قررت إدارتها إنشاء خدماتٍ متخصصة تكون بعضها من داخل الأستديوهات وبعضها من أقاليم السودان المختلفة. وقد وُجهت كلُ إذاعةٍ منها لتحقيق أهدافٍ معينة تختلف باختلاف الخدمة ذاتها. كان بعض تلك الخدمات مواكباً لنشأة الإذاعة وبعضها جاء لاحقاً في

فترات مختلفة كنتيجةٍ للتطورات العديدة التي طرأت على العمل الإذاعي. وفي هذا الفصل نفرد دراسة خاصةً بكل واحدة من هذه الخدمات الإذاعية التي انبثقت جميعها من إذاعة أم درمان.

أولاً/ الإذاعات الموجهة

وهذه الإذاعات تشمل البرنامج الإنجليزي، البرنامج الفرنسي، البرنامج السواحيلي، إذاعة الوحدة الوطنية، إذاعة صوت الأمة السودانية، وبعض البرامج الأخرى التي توقف بعضها.

البرنامج الإنجليزي

في يوم 10 كانون ثاني يناير عام 1942م أذاعت الإذاعة السودانية حديثاً باللغة الإنجليزية بين فقرات البرنامج العربي العام [119]. ولم يستغرب المستمعون ذلك التصرف حيث كانت اللغة الإنجليزية وقتها معروفةً للجميع من خلال سياسة الحكومة البريطانية التي فرضت هيمنتها الثقافية والفكرية جنباً إلى جنب مع الهيمنة السياسية. وقد بادرت الإذاعة أيضاً بتقديم نشرات الأخبار باللغة الإنجليزية. وكان ذلك التصرف قد حدث لعدة أسباب وهي:

---

119 أنظر الفصل الأول نشأة الإذاعة).

1/ كان بعض القادة البريطانيين في السودان لا يعرفون اللغة العربية.

2/ كانت معظم المكاتب الحكومية تستخدم اللغة الإنجليزية المفروضة على دواوين الحكومة، حيث كانت القرارات واللوائح تصدر أساساً باللغة الإنجليزية.

3/ كان هناك إجماعٌ بين القادة البريطانيين الذين تحدثوا لمستر فنش دوسون مسؤول الإذاعة بالحكومة االبريطانية أن تتم الاستفادة من الإذاعة في نشر اللغة الإنجليزية بين السودانيين.

4/ كانت معظم المصادر التي تستقي منها الإذاعة أخبارها مصادر إنجليزية أو مترجمة إلى اللغة الإنجليزية من اللغات الألمانية والإيطالية والبرتغالية.

لكل تلك الأسباب صدر قرار من مكتب الاتصال العام بأن تصبح الخدمة الإنجليزية برنامجاً رئيسياً قائماً بذاته له مواعيد بثه المنتظمة. وبدأ تنفيذ ذلك القرار فعلياً في بداية عام 1955م، حيث أفردت الإذاعة مساحة خاصةً لتلك الخدمة الإذاعية المستقلة. كان زمن البرنامج الإنجليزي نصف ساعة تُقدم خلالها نشرةٌ للأخبار

وموسيقى وأغنيات أوربية. وظل البرنامج الإنجليزي مستقلاً إلى عام 1969م، حيث أُقيمت الإذاعة الموجهة للمديريات الجنوبية، والتي تبث برامجها من داخل الأستديوهات الرئيسية لإذاعة أم درمان [120]. ولذلك صدر قرارٌ من إدارة الإذاعة ووزارة الإعلام بدمج البرنامج الإنجليزي في فقرات تلك الإذاعة الجديدة **(ركن الجنوب)**.

وكان التبرير لذلك الدمج أنَّ هذه الخدمة تُبث للمتحدثين باللغة الإنجليزية ومعظمهم من أبناء جنوب السودان. واستمر هذا الحال إلى أن أُلغيت تلك الخدمة الخاصة **(ركن الجنوب)** وحُولت إلى إذاعة قائمة بذاتها ونُقلت إلى مدينة جوبا. وفي تلك المرحلة عاد البرنامج الإنجليزي مرةً أخرى إلى إذاعة أم درمان.

وفي عام 1990م تطورت هذه الخدمة وأصبحت منفصلةً من إرسال البرنامج العام، حيث أفردت لها الإذاعة ساعات بثٍ خاصة على موجةٍ قصيرةٍ مستقلة. وتوسعت خدماتها لتشمل إلى جانب نشرات الأخبار التعليقات السياسية وآراء الصحف والمقابلات والبرامج الثقافية

---

120 المديريات الجنوبية كانت تُطلق على المحافظات الثلاث التي يتكون منها جنوب السودان وهي الاستوائية وبحر الغزال وأعالي النيل. وقد ظلّ الشكل الإداري لهذه المحافظات يتغير حسب الظروف السياسية في الحقب المختلفة التي مرت على السودان. حيث تحولت المحافظات الثلاث إلى أقاليم، ثم تم تقسيمها إلى ستة أقاليم، ثم صارت في النهاية عشر ولايات هي: ولاية شرق الاستوائية، غرب الاستوائية، بحر الجبل، البحيرات، شمال بحر الغزال، غرب بحر الغزال، واراب، جونقلي، الوحدة، وأعالي النيل.

والغنائيـة المختلفـة. وتـمَّ تعيين بعـض المـوظفين والبـرامجيين، ليعملـوا خصيصـاً فـي هـذه الخدمـة. وقـد تطـورت تبعـاً لـذلك الترجمـة، التـي اعتمدت إلى حدٍ كبير على المادة الخبرية والتحليلية المذاعة من خلال نشرات البرنامج العام.

البرنامج الفرنسي

فـي شـهر آب أغسـطس عـام 1965م قامـت الإذاعـة بإعـداد برنامجٍ باللغة الفرنسية مدته نصف ساعة، وقدمت خلاله نشرة للأخبار مدتها عشر دقائق وبعض الموسيقى والأغنيات باللغة الفرنسية. وكان هذا البرنـامج يذاعُ مرتين أسبوعياً. وقد كـان الهدف المباشر من ذلك البرنامج هو أن يُسهم في توصيل صوت السودان إلى الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية في حدود السودان الغربية والجنوبية الغربية وغيرها من البقـاع الأفريقيـة التـي كـان بهـا وجـود معتبـر لمتحـدثي اللغـة الفرنسـية كالسنغال، تشاد، الكميرون، والقرن الأفريقي.

وكـان أكثـر مـا شـجع المسؤولين علـى تقديم هذا البرنـامج هو قوة إرسـال الإذاعـة ووصـولها إلـى تلك البقـاع من قارة أفريقيا. ولـذلك عنـدما ضـعف الإرسـال وأصـاب الـوهن محطـاتِ التقويـة الإذاعيـة بعد عـامٍ واحد من إنشـائها أي فـي منتصـف عـام 1966م توقف البرنـامج الفرنسـي. وظلَّـت هذه الخدمـة الإذاعية فـي طـيِّ النسيان. ولـم يتشـجع

القائمون على أمر الإذاعة طوال السنوات اللاحقة لإعادة ذلك البرنامج، نسبةً لما كانت تعانيه الإذاعة من كثرة الإنفاق المالي من ميزانيتها المحدودة.

وبعد ثلاثةٍ وعشرين عاماً، أي في عام 1989م عاد البرنامج الفرنسي إلى خارطة البرامج الخاصة بإذاعة أم درمان. ولكنه عاد أقوى وأكبر مما كان. حيث بدأ يبثُ فقراته المنوعة على الموجة القصيرة 31 متراً، وهي من أقوى موجات الإذاعة السودانية. وبذلك أصبح البرنامج الفرنسي يغطي مساحاتٍ أكبر للاستماع، حيث وصل إلى معظم القارات شأنه شأن البرامج الأخرى التي كسرت الحواجز بمطلع عقد التسعينات.

البرنامج السواحيلي

بدأت الإذاعة السواحيلية الموجهة من أم درمان إلى شعوب شرق ووسط أفريقيا في مطلع عام 1993م، ومدتها نصف ساعة يومياً. وظلت تقدم برامجها المنوعة بشكلٍ منتظم متضمنة شيئاً من الأخبار الخفيفة التي تتعلق بمتحدثي هذه اللغة، إلى جانب بعض الأغنيات السواحيلية على قلتها لدى مكتب الإذاعة.

وقد تقرر عدم زيادة تلك الفترة القصيرة لأسباب تعلقت بطبيعة الخدمة ذاتها وعدم توفر المادة الكافية لزيادة زمن البث. وقد أقيمت

خصيصاً لتخدم القاطنين في شرق ووسط القارة الأفريقية. كما إنها ظلت تسعى دائماً لتأطير الدور السياسي للسودان الذي ظلّ يلعبه في أفريقيا، لاسيما منطقة القرن الأفريقي ودول الجوار الجنوبية والغربية والجنوبية الشرقية [121].

إذاعة المغتربين

هذه الإذاعة قامت أساساً لخدمة السودانيين الذين يعيشون خارج الوطن والذين هاجروا من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية. ولما كان ارتباطهم بالوطن شيئاً أساسياً، فقد قامت هذه الإذاعة لخدمتهم. وهي تقدم يومياً نشرةً للأخبار الداخلية وبرنامجاً يُسمى **(مع المغتربين)**، يقوم بنقل الرسائل الصوتية من الأهل لأبنائهم بالخارج والعكس. كما تقدم حلقاتٍ منتظمة من برنامج ما يطلبه المغتربون.

استمر إرسال إذاعة المغتربين لمدة ساعة يومياً، كانت تقدم على الموجة المخصصة للإذاعات الموجهة. وقد توقفت عن العمل لعدة سنوات بسبب تعطل الموجات التي لم تعد قادرةً على توصيل الإرسال إلى خارج القُطر. ثم ما لبثت أن عادت إلى تقديم برامجها من

121 خدمة البرنامج السواحيلي نشأت خصيصاً لتعكس الدور السوداني في بسط السلام والوئام من خلال تجربة السودان الخاصة مع دول القارة الأفريقية ودوره في إيواء اللاجئين من دول الجوار.

خلال موجات البرنامج العام. كانت إذاعة المغتربين في البداية تقدم برامجها من الساعة الثامنة إلى التاسعة مساءً، ثمَّ تحولت من الساعة الحادية عشرةَ إلى منتصف الليل.

إذاعة الوحدة الوطنية

قررت الإذاعة السودانية أن تُغير في أسلوب خدماتها الإذاعية بعد التطورات السياسية والاجتماعية التي حدثت عقب اتفاقية أديس أبابا 1973م الخاصة بحل مشكلة جنوب السودان. حيث إنه عند إنشاء إذاعة جوبا وانتقال برنامج ركن الجنوب إليها قد ترك فراغاً في إذاعة أم درمان كان لا بد من ملئه فتقرر إنشاء إذاعةٍ جديدة تواكب ظروف واحتياجات المرحلة، فقامت إذاعة الوحدة الوطنية لتخدم الشمال والجنوب معاً.

بدأت إذاعة الوحدة الوطنية إرسالها في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين أول أكتوبر عام 1976م. وامتد إرسالها إلى ست ساعات يومياً متضمناً نشرات الأخبار والبرامج الترفيهية والاجتماعية والثقافية، إلا أنَّ برامجها كانت تتسم بالصيغة المحلية البحتة وتبتعد تماماً عن المواد الأجنبية.

أرسل أحدُ المواطنين خطاباً إلى رئيس الجمهورية جعفر محمد نميري، في برنامجه الشهري الذي كان يذاعُ من الإذاعة والتلفزيون

تحت عنوان **(لقاءُ المكاشفة الشهري، بين الشعب والقائد)**. وكانت الحلقة مذاعةً يوم الإثنين 11 شُباط فبراير 1977م، واقترح ذلك المواطن في رسالته تغيير اسم إذاعة الوحدة الوطنية إلى إذاعة صوت الأمة السودانية، وذلك حسب رأيه لأنَّ مرحلة بناء الوحدة الوطنية قد تجاوزها السودان، وأصبح بناء الأمة السودانية الموحدة هو هدف المرحلة. وقد وجدت تلك الرسالة قبولاً حسناً لدى رئيس الجمهورية، الذي وجه فوراً بتعديل اسم تلك الإذاعة إلى إذاعة صوت الأمة السودانية.

إذاعة صوت الأمة السودانية

ظلَّ مضمون هذه الإذاعة بعد تسميتها الجديدة مشابهاً لإذاعة الوحدة الوطنية، رغم أنه طرأ عليها فيما بعد كثيرٌ من التغيير في هياكل البرامج وأزمنة الإرسال. وتوسعت إدارتها وأنشطتها بعد أن تعين لها كادرٌ كبيرٌ من الإذاعيين من مقدمي البرامج والمخرجين وقارئي الأخبار والموظفين. حتى أنَّ مديرها أصبح في درجةٍ وظيفية واحدة مع مدير البرنامج العام. حيث أصبح كلاهما ينوبان عن مدير عام الإذاعة.

وقد خصصت لها الإذاعة مكاتب وأستديوهات خاصة تؤدي خدمتها من خلالها. وكان واضحاً أنَّ إذاعة صوت الأمة قد بدأت

تنافس البرنامج العام بصورةٍ كبيرة، خصوصاً في الفترة التي تولى إدارتها محمود أبو العزائم، الذي أطلق يدها في كل الاتجاهات لكسب المزيد من المستمعين.

البرنامج الموجه للصومال

أبرمت الإذاعة السودانية وإذاعة الصومال اتفاقاً يقضي بأن تقدم إذاعة أم درمان برنامجاً يُسمى من أم درمان إلى مقديشو، وتقدم إذاعة الصومال برنامجاً مماثلاً يُسمى من مقديشو إلى أم درمان [122].

وظلَّ هذا البرنامج يقدم لعدد من السنوات يتضمن أخبار الصومال والسودان ويهتم بالتراث الموسيقى والثقافي للدولتين، وكانت اللغة الصومالية واللغة العربية هما اللغتان المستخدمتان في ذلك البرنامج. وكان للعلاقات الخاصة بين الشعبين السوداني والصومالي دورٌ كبير في إثراء ذلك البرنامج.

صوت الثورة الإرترية

أنشأت الإذاعة ركناً خاصاً بالثورة الإرترية يشرف عليه مكتب الثوار بالخرطوم. وقام هذا البرنامج بتغطية نشاط الثوار في حربهم من أجل استعادة السيادة على أراضيهم بعد أن تشردوا نتيجة حربهم مع

---

122 أبرم هذا الاتفاق في منتصف شهر تموز يوليو عام 1967م.

إثيوبيا. ولما كان السودان يعج بالآلاف من اللاجئين ومن بينهم الإرتريون فقد كان تقديم تلك الخدمة الإذاعية أمراً هاماً، خصوصاً وأنها كانت تبث برامجها باللغات الإرترية، وتغطي أخبار الحرب الأهلية وتقدم الأناشيد الوطنية الحماسية لمؤازرة الثوار. وقد لعبت تلك الخدمة الإذاعية دوراً كبيراً في ربط اللاجئين بأسرهم من خلال الرسائل الإذاعية التي كانت تُبث لأولئك المواطنين، وتقدم لهم المواد الإذاعية التي يطلبونها.

إذاعة ركن الجنوب

بدأت إذاعة ركن الجنوب ببرنامج خاص كان يذاع من خلال موجات البرنامج العام [123]. ولكن في عام 1955م استفحل التمرد في جنوب السودان فدخل المسلحون الغابة، وأصبحوا يشنون غاراتٍ مسلحةً على المسافرين. وقد استدعى ذلك التطور نشأة إذاعة تختص باحتواء هذه المسألة وتهدئتها قدر المستطاع. فقامت الإذاعة السودانية بتنظيم إذاعة ركن الجنوب كبرنامجٍ موجه للمديريات الجنوبية.

كانت إذاعة ركن الجنوب تبث برامجها باللغات المحلية للقبائل الكبيرة بالجنوب [124]. وقد تطورت برامجها التي تحولت إلى

---

123 كان زمن ذلك البرنامج 40 دقيقة.

124 هي ثلاث قبائل (الدينكا والشلك والنوير).

إذاعةٍ كاملة قائمة بذاتها في تموز يوليو عام 1969م. وأصبح زمن البث لهذه الإذاعة ثلاث ساعاتٍ كاملة، تبث على موجات مستقلة عن موجات البرنامج العام. وظلت برامج ركن الجنوب مستمرة لعدة سنوات، حتى انتقلت بعد ذلك إلى إذاعة جوبا بعد تنظيمها وافتتاحها للمرةً الثانية بصورةٍ رسمية. وقد اهتمت إذاعة ركن الجنوب بالتراث المحلي، والفنون الجنوبية المميزة وتوجيه الإرشادات التعليمية والثقافية لأبناء ذلك الجزء من الوطن.

ثانياً/ الإذاعات المتخصصة

ظلت إدارة البرامج المتخصصة تقدم نمطاً معيناً من المواد يختلف عن المواد الموجهة. حيث إنَّ جميع المستمعين مقصودون بإرسال هذه المواد المتخصصة. ومنها إذاعة القرآن الكريم ذات العراقة الخاصة، وإذاعة البرنامج الثاني التي تعتبر من أحدث الإذاعات بالسودان، وإذاعة وادي النيل التي دخلت منتصف عقدها الثاني في تقديم خدماتها لجمهور المستمعين.

وإلى جانب ذلك فهناك خدماتٌ قدمتها الإذاعة السودانية خلال مسيرتها تندرج تحت إطار الخدمات المتخصصة، رغم أنَّ بعضها قد توقف تاركاً المجال لغيره من الخدمات الجديدة. وفيما يلي نقف مع كل واحدة من هذه الإذاعات:

إذاعة القرآن الكريم

في اليوم الخامس عشر من تشرين أول أكتوبر عام 1970م تمَّ افتتاح إذاعة القرآن الكريم من أم درمان. وقد قامت على غرار إذاعات القرآن الكريم في كلٍ من المملكة العربية السعودية ومصر. وهي تقدم قراءاتٍ متعددة للقرآن الكريم وتفسيراً للآيات ودراساتٍ في السُنة والأحاديث النبوية. وتبث أيضاً فواصل من المديح النبوي وبعض البرامج الخاصة بالسيرة والتاريخ الإسلامي.

كانت إذاعة القرآن الكريم في بدايتها ترسل برامجها لمدة ساعتين تبدأ من الساعة التاسعة حتى الساعة الحادية عشرة مساءً. إلا أن مواعيد هذه الإذاعة قد تعدلت في شهر تموز يوليو عام 1971م، حيث أصبحت تبث برامجها من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الخامسة مساءً.

وتقدم المحطة برنامجاً إضافياً صباح كل جمعة يبدأ في الساعة العاشرة صباحاً ويستمر حتى الثانية عشرة ظهراً. وتطورت هذه الإذاعة في أوائل الثمانينات حيث وصلت ساعات إرسالها إلى خمس ساعات يومياً، تضمنت لأول مرة نشرةً للأخبار فضلاً عن المواد الدينية الثابتة والمتحركة.

وظلت هذه الإذاعة تعمل بعدد قليل من الموظفين. حيث عمل في إدارتها لسنواتٍ عديدة الأستاذ **(قرشي الطاهر)**، ثم جاء بعده

الأستاذ (**محمد عبد الكريم**) الذي قضى بها هو الآخر سنواتٍ طويلة. وظلّ يقدم من خلالها سهرة الجمعة التي استمرت على مدى الأعوام، حيثُ يتم تسجيلها من دور العبادة المختلفة ومن خلال الاحتفالات الدينية التي يكون قاسمها المشترك هو المديح النبوي والإنشاد وقراءة القرآن الكريم في بعض الأحيان. وقد ظلّ يعمل بهذا القسم لفتراتٍ طويلة: (**عبد الله الأمين، سر الختم عثمان، هاشم ميرغني عبد الحفيظ، تاج الدين مكي كرار، حيدر الفاضل، وحسن محمد علي**).

إذاعة البرنامج الثاني

نشأت هذه الإذاعة في مطلع عقد التسعينيات ضمن التوسع الكبير الذي طرأ على الإذاعة من حيث عدد الخدمات، وساعات الإرسال، وتوسع رقعة التلقي بين المستمعين. وقد استجلبت لها الإذاعة عدداً من المهتمين بأمر الثقافة لتسييرها وإعداد برامجها.

وشملت قائمة الذين يتعاملون معها في أمر الثقافة عددٌ كبيرٌ من الأدباء والمبدعين المرموقين بالسودان في المجالات المختلفة. وتنوعت برامجها بين الشعر والقصة والدراما والنقد والموسيقى والحوار الفكري. وكان واضحاً حجم الجهد الذي بذله القائمون على أمرها، حيث استقطبت عدداً كبيراً من المثقفين الذين طال العهد بينهم وبين الإذاعة.

إذاعة الشعب

هذه الإذاعة واحدةٌ من الخدمات التي أنشئت بعد قيام الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون. وقال وزير الإرشاد والإعلام القومي[125] لدى إنشائها: ((**إنَّ كثيراً من المواطنين يولعون بغناء البنات والأغاني الشعبية الخفيفة التي تعج بها أجهزة التسجيل في الحافلات والمقاهي والأسواق وأحياناً حتى البيوت، فلماذا لا تستقطبهم الإذاعة بتقديم نفس هذه الأعمال الغنائية من خلال خدمة متخصصة ومنتظمة؟**)).

على تلك القاعدة قامت إذاعة الشعب، وقد قدمت إضافةً للغناء الشعبي كثيراً من البرامج التي اهتمت بالممارسات الشعبية والعادات والتقاليد. وظلت تقدم برامجها في الفترة النهارية من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثالثة مساءً يومياً في قالب مبسط تتخلله نشرات أخبار محلية وبرامج منوعة.

إذاعة صوت الموسيقى

نشأت إذاعة صوت الموسيقى كخدمةٍ أكثر محدودية من سابقاتها. حيث تقدم نماذج من الموسيقى العالمية الهادئة في الصباح، والموسيقى الصاخبة في فترة إرسالها المسائية. ورغماً عن نقاء إرسالها

---

125 الوزير محمد خوجلي صالحين.

وجمال الموسيقى التي كانت تبثها إلا أنها لم تجد كثيراً من الآذان الصاغية، لسبب واحد هو أنها كانت تبث برامجها على موجة F.M، وهذه الموجةُ محدودة المدى، حيث لم يكد إرسالها يتجاوز العاصمةً المثلثة. وقد توقفت هذه الخدمة الإذاعية مفسحةً المجال أمام البرنامج العام الذي استفاد من موجة ال F.M بعد تعطل الموجات المتوسطة 524 و531 متراً في العرضة والفتيحاب. ولعل الطفرة الأكبر قد حدثت عندما وضعت الإذاعة قانوناً وتنظيماً لكل هذه الخدمات أنشئت بموجبه في شهر شُباط فبراير من عام 1992م إدارةٌ قائمة بذاتها تُسمى إدارة الإذاعات الإقليمية الموجهة والمتخصصة.

وأسندت رئاسة هذه الإدارة للأستاذ الإذاعي صلاح الدين الفاضل الذي ما لبث أن ترقى بعد ثلاث سنوات من تقلد ذلك المنصب إلى منصب مدير عام الهيئة القومية للإذاعة السودانية، فخلفه في إدارتها الأستاذ عمر عبد المنعم الذي اهتمت إدارته بتطوير كل الإذاعات التابعة لها في مدن السودان المختلفة، ثم أعقبه المهندس صلاح طه الذي جاءها من مدني.

ثالثاً/ الإذاعات الولائية

إذا تجاوزنا حدود العاصمة نجد عدداً من الإذاعات قد نشأت بالسودان لتقديم خدماتٍ مماثلة، ساعدت فيها خصوصية كل إقليم من

أقاليم السودان وتمتعه بموروثاتٍ ثقافية تختلف عن غيره، إلى جانب بُعد المسافات الذي يصعب معه وصول الإذاعة الأم إلى كل تلك المناطق. وبالفعل كان التفكير منذ وقتٍ مبكر في إنشاء مثل هذه المحطات التي تخدم أبناء الإقليم والحكومة القومية في آن واحد. ووفقاً لذلك فقد نشأت العديدُ م الإذاعاتٍ الإقليمية والولائية التي صمدت رغماً عن الظروف القاسية التي مرت يها كل واحدةٍ منها، لاسيما فيما يتعلق بالتمويل، والتدريب، واستيعاب الكفاءات الإقليمية أو الولائية في السلك الوظيفي لحكومة السودان. وهذه الإذاعاتُ هي:

إذاعة جوبا (صوت السلام)

أنشئت عام 1962م

في يوم 15 كانون أول ديسمبر 1962م افتتحت محطةٌ إقليمية للإذاعة بجوبا تبث برامجها على موجةٍ قصيرةٍ طولها خمسون متراً. وكانت مسموعةً بوضوحٍ تام في كل المديريات الجنوبية الثلاث. وكانت تذيع لمدة ثلاث ساعاتٍ يومياً من الثانية بعد الظهر حتى الخامسة مساءً، وتُقدم في يومي الجمعة والأحد برنامجاً إضافياً يبدأ في الساعة العاشرة ويستمر حتى الثانيةَ عشرةَ ظهراً. كما تقدم يومي السبت والخميس برامجها لمدة ساعتين تبدأ من الساعة السابعة حتى التاسعة مساءً وتمتد فترةُ بثها في المناسبات القومية المختلفة. وقد

توقفت هذه الخدمة الإذاعية في شهر شُباط فبراير عام 1965م عن العمل، ثم عادت مرةً أخرى بصورةٍ أوسع وأكبر في عقد السبعينات، ولم تزل تبث برامجها حتى اليوم.

إذاعة نيالا

أنشئت عام 1983م

لما كان إقليم دارفور بعيداً عن العاصمة، وتجاوره دولة تشاد التي تشهد معارك طاحنة بسبب حربها الأهلية بين الفصائل السياسية المتحاربة وتدخل بعض الدول المجاورة في تلك الحرب، كان التفكير في إنشاء إذاعة نيالا لكي يصل صوت السودان لأولئك المواطنين الذين لا يستطيعون التقاط برامج الإذاعة الرئيسية، وبالتالي ليست لديهم مصادر أخبارية وطنية تدحض ما يأتيهم من أجهزة الإعلام الأخرى، خصوصاً ليبيا التي كانت على عداءٍ مستفحل في تلك الفترة مع حكومة جعفر نميري.

لذلك نشأت إذاعة نيالا في عام 1983م بدعمٍ خاص من ميزانية الإذاعة الأم. حيث ظلت ترسل إليها الأشرطة والموظفين من إداريين وفنيين ومذيعين ومخرجين، شأنها شأن بقية الإذاعات الإقليمية الأخرى التي نشأت بعد ذلك. وقد ساعد في تطور إذاعة نيالا اهتمام الأهالي بها منذ إنشائها. حيث أسهموا في توفير بعض الإمكانات

المحليـة مـن سـكن وسـيارات وغيرهـا لتسـهيل مهمـة العـاملين فيهـا، خصوصاً وأنها قد وُضعت في مكان بعيد من وسط المدينة.

إذاعة الأبيض

أنشئت عام 1984م

بدأت هذه الإذاعة إرسالها في يوم 17 من شهر شباط فبراير عام 1984م بجهدٍ خاص من حكومة كردفان، التي كان يترأسها حاكم الإقليم السيد الفاتح بشارة. حيث كـان قيامهـا بمبـادرةٍ شخصـية منـه، ولـيس وفقـاً لخطـة الهيئـة القوميـة للإذاعـة والتلفزيـون التـي كانـت هـي المسؤولة عن ذلك حسب القانون.

وهـي إذاعـةٌ بـدأت محـدودةً جـداً فـي إطـار لا يتعـدى مدينـة الأبـيض ومـا جاورهـا. ولكـن بعـد اسـتجلاب المعـدات اليابانيـة قـويَ إرسالها وكسر حواجز المحلية، وأصبحت تُلتقط في العديد من بقاع السـودان. ويمتـد إرسـالها يوميـاً لمـدة ثـلاث سـاعات تبـدأ فـي الثالثـة وتستمر حتى السادسة مساءً، مع إضافة فترةٍ صباحيةٍ يوم الجمعة من التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً.

وتقـدم الإذاعـة يوميـاً القـرآن الكـريم وحـديثاً دينيـاً ونشـرتين للأخبار المحليـة التـي تغطـي نشـاط الحكومـة الإقليميـة بكردفان وطرفاً من النشاط القومي. وتقدم إذاعة الأبيض برامج للمرأة والمُزارع والشباب

والعُمال وكل قطاعات المجتمع فضلاً عن نقل وقائع وأنشطة البورصة التجارية بالأبيض. حيث إنَّ الإقليم يُعتبرُ غنياً بموارده الزراعية والحيوانية. وكثيراً ما أجرت هذه الإذاعة استطلاعاً لآراء المستمعين من مواطني كردفان الذين اهتموا بشكلٍ واضح ببرامجها. وقد ركزت هذه الاستطلاعات على معرفة آراء المستمعين في مستوى البرامج، ومدى قوة استقبالها، ومقترحاتهم بتقديم المواد التي تفتقر إليها المحطة، ثم آرائهم عن أداء العنصر البشري من خلال الميكروفون.

إذاعة ود مدني

أنشئت عام 1986م

بعد قيام مهرجان الثقافة الأول بالإقليم الأوسط كان التفكير جاداً في إنشاء إذاعةٍ في الإقليم الأوسط الذي يعتبر من أغنى أقاليم السودان بحكم توسطه للبلاد وتمركز عدد من المشاريع الكبيرة فيه كمشروع الجزيرة، ومشاريع إنتاج السكر ومصانع الأسمنت والنسيج وغيرها. وقد استقر الرأي على إقامة تلك الإذاعة في مدينة ود مدني.

وكان ذلك الاختيار قد أملته أهمية المدينة التي تُعتبر ثاني مدينة في الوطن من حيث الأهمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. حيث إنَّ ود مدني تحتضن مشروع الجزيرة الذي هو أكبر المشاريع الاقتصادية في السودان. ومما ساعد على إنشاء تلك الإذاعة بود

مدني وجود محطة تلفزيون الجزيرة الريفي الذي نشأ لخدمة قطاعات المزارعين العاملين في المشروع. ونشأت الإذاعةُ قويةً في مستوى إرسالها الذي بدأ في عام 1986م، حيث التُقط منذ أول أيامها في أقصى بقاع السودان. وقد لعبت طبيعة التربة في قرية ود المجدوب التي أُقيمت فيها المحطة دوراً هاماً في وصولها إلى تلك البقاع النائية. ومنذ إنشائها اهتمت إذاعة ود مدني باستقطاب الكفاءات الشابة المقتدرة فجاء لإدارتها الأستاذ الخاتم عبد الله يونس وأعقبه الأستاذ صلاح طه ثم الأستاذ عبود سيف الدين. كانت تُسمى إذاعة الإقليم الأوسط ثمَّ تحولت إلى إذاعة الأقاليم الوسطى بعد التطورات الإدارية التي طرأت على خارطة السودان.

إذاعة عطبرة

أنشئت عام 1986م

نشأت إذاعة عطبرة كإحدى الإذاعات التي خُطط لها أن تخدم أكبر القطاعات الوطنية تأثيراً وهو قطاع العمال [126]. وظلت إذاعة عطبرة طوال سنواتها تبث برامجها على الموجة المتوسطة 783 متراً. وهذه البرامج تبث على فترتين صباحية ومسائية، حيث تُقدم المحطة

---

126 ظلت مدينة عطبرة تمثل المدينة العمالية الأولى في السودان بحكم هيمنة مصلحة السكة الحديد على كل أنشطة المدينة المختلفة.

فقرات في الفترة الصباحية من الساعة 30: 5 إلى الساعة 30: 6 وفي المساء من الساعة 3 بعد الظهر حتى الساعة 7 مساءً. وقد استحدثت أسلوباً متفرداً عن باقي الإذاعات الولائية لزيادة دخلها المالي [127]. حيثُ قامت بتسجيل العديد من الأغنيات للمطربين المحليين الذين يكثر إنتاجهم المحلي والقومي.

إذاعة كسلا

أنشئت عام 1987م

نشأت إذاعة كسلا مثلها مثل بقية الإذاعات الإقليمية لخدمة مواطني شرق السودان ذوي التراث الثقافي المتميز. وقد افتتحها وزير الثقافة والإعلام في حكومة الجزولي دفع الله الإنتقالية التي أعقبت فترة نميري بالسودان [128]. وكان افتتاحها في يوم 17 كانون أول ديسمبر عام 1987م. وظل يعمل بها فريقٌ من شباب إذاعة أم درمان يتكون من إبراهيم البزعي وعثمان شلكاوي وبعض الفنيين والمهندسين.

---

127 أنشأت الإذاعة مكتباً تجارياً لإعداد وتقديم الإعلانات التجارية.

128 الوزير محمد بشير حامد الذي كان أستاذاً بجامعة الخرطوم ثم عُين وزيراً ضمن مجلس الوزراء الانتقالي لتلك الفترة.

إذاعة دنقلا

أنشئت عام 1990م

تمَّ افتتاح إذاعة دنقلا يوم أول كانون ثاني يناير عام 1990م. وبدأت تقديم برامجها اليومية بكادرٍ بشريٍ يتكون من ثمانية أفراد يمثلون الإدارة والمذيعين والمحررين والفنيين والمهندسين.

وتبث إذاعة دنقلا برامجها على الموجة المتوسطة 366 متراً بذبذبة مقدارها 819 كيلوهيرتس وقد تولى إدارتها الأستاذ حسين أبو العائلة. وقد ظلت تقدم برامجها لفترتين إذاعيتين صباحية ومسائية. حيث يبدأ بثها من الساعة 30: 5 إلى 30: 6 صباحاً ومن الساعة 3 إلى الساعة 5 مساءً. أما في أيام الجمعة فإنَّ فترة الإذاعة تبدأ في الساعة 7 وتستمر حتى الساعة العاشرة صباحاً.

إذاعة ملكال (صوت السلام)

أنشئت عام 1990م

أنشئت إذاعة ملكال في عام 1990م كإحدى القنوات الإعلامية التي خُطط لها أن تُسهم في ترقية وحفظ التراث السوداني لدى أبناء جنوب السودان. ولما كانت تلك البقعة قد شهدت العديد من سنوات التمرد والخروج على طاعة الأنظمة السودانية من خلال المتمردين الذين دخلوا الغابات وروعوا أمن المنطقة فإن إذاعة ملكال قد نشأت

لتسهم في بلورة الأمن والطمأنينة والسلام في ربوع الجنوب. وقد حمل قرار إنشائها بعض الموجهات والأهداف المتمثلة فيما يلي:

- الدعوة إلى الوحدة الوطنية بنبذ الخلافات وروح الفرقة.
- حث المواطنين على التنمية وتطوير الثقافات المختلفة وعرضها في الإطار الثقافي القومي للسودان.
- ربط ولاية أعالي النيل التي نشأت فيها الإذاعة بباقي الولايات الجنوبية وبقية ولايات السودان المختلفة.
- إحياء التراث الفني والثقافي للمنطقة والمحافظة على العادات والتقاليد الحميدة والعزوف عن العادات والممارسات الضارة.
- الاهتمام بحل مشكلات إنسان المنطقة.
- تشجيع المواهب المحلية في مجالات الإبداع والفنون المختلفة.
- ربط الإذاعة بمستمعيها وكسب ثقتهم وتقديم ما يُرضي طموحاتهم.

إذاعة ولاية الخرطوم

أنشئت عام 1991م

نشأت إذاعة ولاية الخرطوم كواحدة من القنوات التي تمَّ إنشاؤها بعد توسيع نظام الإدارة الولائية بالسودان في عام 1991م. وقد قامت لخدمة المرافق الخاصة بولاية الخرطوم دون التدخل في

الشأن القومي للمستمع السوداني. وقد بدأت إرسالها في صبيحة يوم 30 حزيران يونيو 1991م. وفي بداية عهدها قامت الإذاعة من داخل إذاعة أم درمان، واستعانت بالكفاءات الإذاعية القومية. وقد تجاوبت معها إذاعها أم درمان التي لم تبخل بمبدعيها على تلك الإذاعة الوليدة.

وقد عمل في إدارتها الإذاعيون صلاح الدين التوم، محاسن سيف الدين، وعبد الرحمن أحمد، وبهاء الدين علي بشير. وفي بداية عهدها كانت إذاعة الخرطوم تقدم برامجها في قالب سريع وخفيف على غرار إذاعة الشرق الأوسط في القاهرة. ولم يرق هذا الأسلوب الخفيف والسريع لبعض التقليديين من المسؤولين الذين انتقدوا مسلك الإذاعة في خدمة المستمعين، واتهموها بأنها تجاري إذاعة مونت كارلو. ولكن عادت الإذاعة إلى أسلوب أقرب إلى ذلك، بعد أن عادت إدارتها للإذاعي الشاب صلاح الدين التوم، الذي حاول جاهداً أن يضع بصماته الخاصة على أسلوب برمجتها.

إذاعة وادي حلفا

أنشئت عام 1993م

تم افتتاح إذاعة وادي حلفا في شهر أيلول سبتمبر عام 1993م بعد فترةٍ تجريبية ظهر منها نجاح الإرسال من خلال التقارير التي

تلقتها الإذاعة من مستمعيها المنتشرين في أنحاء الإقليم الشمالي [129]. وقد بدأت هذه المحطة بساعةٍ ونصف، ثم ما لبثت أن زادت إرسالها حتى وصل في بعض الأحيان إلى ثلاث ساعات يومياً. وتعمل هذه المحطة على الموجة المتوسطة 358 متراً بذبذبة مقدارها 837 كيلوهيرتس وهي موجةٌ تغطي الولاية الشمالية وما جاورها من مدن وولايات السودان.

وقد عُين لها مديراً الأستاذ قسم السيد محمد البُشرى الذي يعاونه فريقٌ من الإذاعيين بعضهم من إذاعة أم درمان والبعض من أبناء مدينة دنقلا الذين اجتازوا اختبارات التعيين التي أجرتها لهم الإذاعة.

وضعت إدارة إذاعة وادي حلفا بالتنسيق مع إدارة الإذاعات الإقليمية والموجهة والمتخصصة بالإذاعة القومية إطاراً عاماً للبرامج وخطةً لبدء نظام الدورات الإذاعية أسوةً ببقية الإذاعات الإقليمية والإذاعة الأم. وقد راعت هذه الدورات طبيعة الخدمة الإذاعية التي اهتمت بنشر التراث والثقافة المحلية.

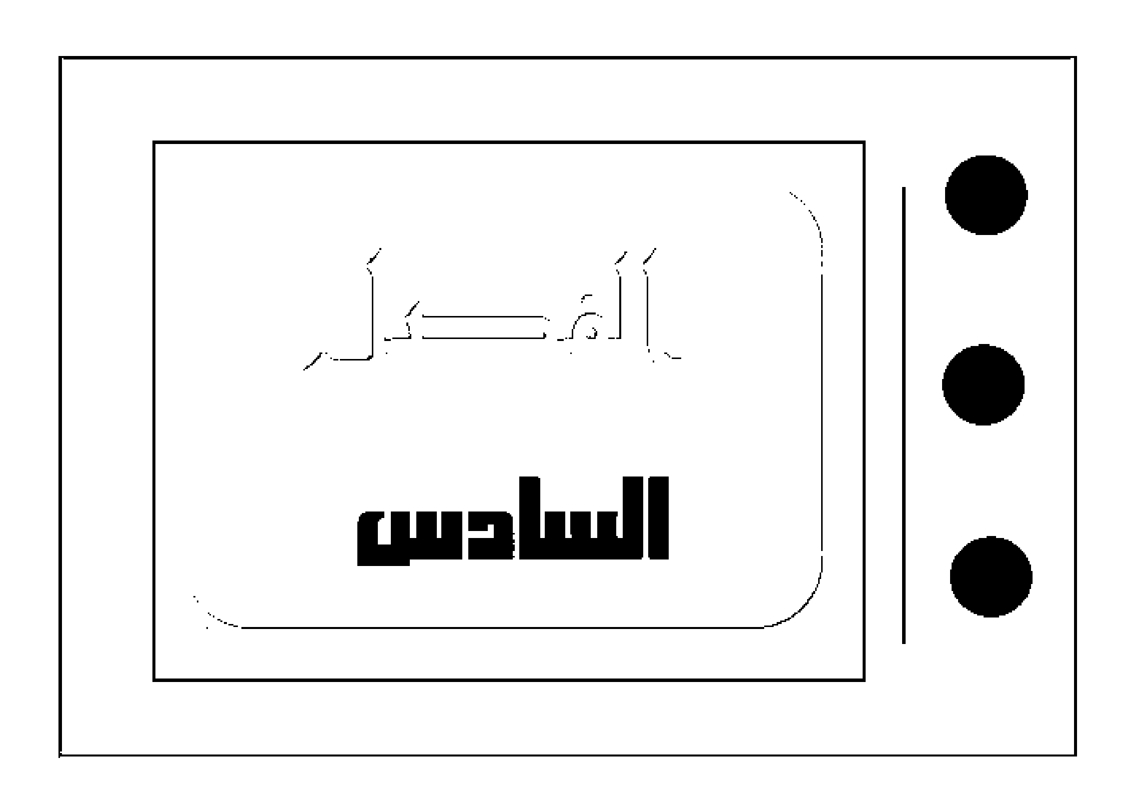
وإلى جانب هذه الإذاعات هناك عدد آخر من المحطات التي ظهرت تباعاً بعد ذلك وهي: **(إذاعة الفاشر، وإذاعة واو، وإذاعة**

---

129 تغير إسم الإقليم الشمالي بعد أن تمّ تقسيمه إلى ولايتين هما الولاية الشمالية وولاية نهر النيل.

الجنينـة، وإذاعـة كـادقلي، وإذاعـة بورتسـودان، وإذاعـة الـدمازين، وإذاعة القضارف، وإذاعة الفولـة).

&●&



التطور الإداري للإذاعة

الفصل السادس

التطور الإداري للإذاعة

((إنَّ أطرف موقف مرَّ بي في حياتي أن أكون مدير إذاعة وأنا لستُ من أهل الإذاعة بل من أهل الصحافة. ولكني رغم هذا سأجعل من هذه الإذاعة وجبةً يومية لا يستغني عنها أحد)).

[محمود أبو العزائم]

المدير الأسبق للإذاعة السودانية

6

في عام 1940م وهو العام الذي نشأت فيه الإذاعة، لم يكن لها مديرٌ رسمي يضع السياسات، أو يقرر في الأمور الإدارية اليومية. وإنما كان كل شيء يتم عن طريق مكتب الاتصال العام، الذي يقوم بنفس الدور الذي تلعبه وزارة الثقافة والإعلام حالياً. ولم يكن ذلك الأمر يشغل بال المتعاونين مع الإذاعة كثيراً، لأن أمور الوطن كلها كانت تُدار بواسطة البريطانيين، إما عن طريق مكتب السكرتير الإداري أو عن طريق مكتب الحاكم العام، لذلك لم تكن الإذاعة بدعةً

من ذلك. وكانت الإدارة تتم من الألف إلى الياء عن طريق مكتب الاتصال العام بالخرطوم. وكان الأثر الواضح لهيمنة مكتب الاتصال على العاملين السودانيين هو ما يتعلق بفرض لونٍ معين من الأخبار في نشرات الإذاعة. الشيء الذي أثار حفيظة الوطنيين كثيراً وجعلهم يتصرفون دائماً بشيء من الذكاء علهم يغيرون شيئاً من آثار القبضة الاستعمارية القوية على البرامج.

ورغماً عن وجود مقر الإذاعة الرئيسي في مدينة أم درمان إلا أنَّ إدارتها كانت في العاصمة الخرطوم. حيث إنّ مكتب الإدارة والرئاسة وبقية المكاتب الحكومية كلها كانت في مدينة الخرطوم.

وكانت كل المستندات الخاصة بالشئون المالية والوظيفية والإدارية وكل ما يتعلق بالميزانية وبنود الصرف من مسؤوليات أحد الموظفين البريطانيين العاملين بمكتب الاتصال العام بالخرطوم، والذي يتردد على مقر الإذاعة بأم درمان ليتابع بنفسه ما يدور فيها من عمل يومي ويرفع به التقارير إلى المراقب العام [130].

وحتى الأستاذ عبيد عبد النور الذي كان أول موظفٍ رسمي بالإذاعة لم يكن يتقاضى أجراً في بداية عمله، وإنما كان يمارس ذلك الدور على سبيل الهواية والتطوع ليس إلا، وبعد أن استمر لفترةٍ من

---

130 نسبةً لذلك الوضع المتميز للعمل الإذاعي في بداياته لم يعرف العاملون شيئاً إسمه المرتب وإنما بدأ العمل كله تطوعياً بلا مقابل.

الزمـان علـى ذلـك الـنمط تقـرر أن يوضـع لـه مرتـبٌ متواضـع كـان يتقاضـاه مـن خزينـة مكتـب الاتصـال العـام. إنـتظم الشـكل الإداري للإذاعـة بعـض الشـيء بعـد اسـتقالة مسـتر فـنش دوسـون المـدير البريطـاني وتـولِي الأسـتاذ متولي عيد مقاليد الإدارة. حيث رسم لهـا بمعاونة مكتب الاتصال العام هيكلاً متواضعاً لتسيير العمل والبرمجة.

وكانت تلك هي البداية الحقيقية لإدارة الإذاعة وتأطير مسارها في ظل إدارتها الجديدة. وبالطبع حتى في تلك المرحلة التي آلت فيها الإدارة للسودانيين لم تكن الإدارة حرةً وطليقةً في تنفيذ كل ما تراه من مقترحـاتٍ وآراء، وإنمـا كانـت تنفذ سياسـةً عليـا تمليهـا عليهـا الإدارة البريطانية عن طريق مندوبيها المرابطين بمكتب الاتصال.

ولم يكن مسموحاً بالعمل النقابي في معظم دواوين الحكومة كان أكثر ما يشغل بال العاملين طوال الفترة الاستعمارية، هو عدم وجود كادر منظم للعمل ولا لوائح تحفظ حقوق العاملين. وبالتالي لم يكن هناك من يُطالب بحقوقٍ للإذاعيين أسوةً ببقية العاملين في كل بقاع العالم. وقد استمر ذلك الحال لفترة خمسة عشر عاماً هي التي قضتها الإذاعة في قبضة الحكومة البريطانية. ولكن ظهرت بوادر التغيير الواضحة بعد إعلان استقلال السودان في الأول من كانون ثاني يناير 1956م.

الإذاعة بعد الاستقلال

كانت إدارة الإذاعة أكثر حريةً وانطلاقاً بعد الاستقلال خصوصاً في وضع هيكل البرامج وتنظيم العمل اليومي المتعلق بالبرمجة أو الإدارة. وعندما تربعت على كراسي الحكم أول حكومة وطنية في عام 1954م بزعامة الأزهري ظهرت بعض الأصوات المنتقدة للزعيم الأزهري على أنه تعامل مع الخدمة المدنية في بعض المرافق بشيء من التحيز الحزبي الذي لم يُراعِ المصلحة الوطنية [131].

وكان رد الزعيم الأزهري بأنَّ تلك الاتهامات دافعها التنافس الحزبي ولا أساس لها من الصحة.

وقال إنه دائماً يضع مصلحة الوطن قبل المصلحة الحزبية أو الخاصة. كان سبب تلك الاتهامات هو حركة التنقلات الكبيرة التي أجرتها حكومة الأزهري بين الموظفين وأحس البعض أنها قد شملت عدداً من العاملين بالإذاعة لمواقفهم الحزبية. ثم ظهرت حركةُ تنقلات أخرى بين صفوف العاملين في الدولة، ومنهم أهل الإذاعة بعد انقلاب 17 تشرين ثاني نوفمبر 1958م الذي جاء بعدد من العسكريين للمناصب المدنية ومنها منصب مدير الإذاعة.

---

131 عوض إبراهيم عوض، (2000)، أبعاد الصراع السياسي حول استقلال السودان، المركز العربي الأفريقي، كوالا لمبور 1997م.

وبدا كأنَّ الفريق إبراهيم عبود قد كافأ المؤسسة العسكرية التي أتت به إلى سدة الحكم بتعيين قادتها في المناصب الحساسة في الدولة. حيث كان للإذاعة نصيبها من القادة العسكريين بعد أن عُينَ لإدارتها الصاغ التاج حمد. وفي تلك الفترة أي بداية الستينات تمَّ تثبيت أكثر من 90 % من العاملين بالإذاعة في الخدمة المدنية المستديمة، وتوسعت الإذاعة توسعاً كبيراً من ناحية الإدارة والبرامج.

في عام 1971م تكونت في الإذاعة نقابةٌ للعاملين تتحدث باسمهم، وتم تسجيلها عند مسجل عام النقابات، أسوةً ببقية النقابات المعترف بها في المصالح والمؤسسات الأخرى. وظلت مطالب العاملين في هذه الفترة تتمثل في ثلاثة أشياء رئيسية هي:

- إيجاد كادر للعمل الإذاعي.
- سن قانون يرعى شئون العاملين بالإذاعة.
- وضع لائحة مالية للإذاعة أسوةً ببقية المرافق الحكومية الأخرى.

وقد استطاعت الإدارات المتعاقبة على الإذاعة في الفترات المختلفة أن تحقق عدداً من تلك المطالب، التي اعتبرها العاملون مكاسب وظيفية لهم خصوصاً وأنَّ القوى العاملة بالإذاعة ظلت في ازديادٍ مستمر. ففي منتصف السبعينات قفز عدد العاملين بالإذاعة

المثبتين في الخدمة إلى مائتي شخص يتقاضون رواتب شهرية، ويدخلون في الخدمة المعاشية. وتطور في تلك الفترة أمر الترقي إلى الدرجات العليا، فقفز عددٌ كبيرٌ من العاملين إلى الدرجات الوظيفية العليا، حتى خلق ذلك إشكالاً إدارياً لم يتم حله إلا بخلق وظائف جديدة خاصة بأولئك الذين شملتهم كشوفات الترقي.

وظل هذا الأمر يسبب هاجساً إدارياً حقيقياً، فالإذاعة على صغر حجمها تعج بحملة درجاتٍ وظيفية توازي درجات وكلاء الوزارات في بعض الأحيان. ويكاد الحجم الوظيفي لا يتسق مع طبيعة عمل بعض الوظائف مما جعلها في حوارٍ مستمر يطرأ كلما ظهرت كشوفات الترقي.

وإذا قارنا الإذاعة برصيفاتها الأخريات من الأجهزة الإعلامية في السودان نجد أنها أفضل حالاً وأكثر استقراراً خصوصاً فيما يتعلق بعزل العاملين من وظائفهم والتي تعتمد دائماً على الأهواء السياسية والموازنات الحزبية لدى رؤساء الحكومات أو قادة الانقلابات العسكرية التي حدثت في السودان.

قيام الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون

وقد مرَّت سنواتٌ طويلةٌ وخيال الإذاعيين يجنح نحو إنشاء كِيانٍ مُستقلٍ عن هيمنة السلطة المباشرة يخدم قضاياهم بشكلٍ أفضل

ويؤدي لتطوير العمل في ظل التطور التقني الذي غَيَّرَ أساليبَ قنواتِ الاتصال ومفاهيم العمل الإذاعي في كل أنحاء العالم. لم يكن ذلك الطرح نابعاً من فراغ، وإنما تأثر إلى حدٍ كبير بإذاعات العالم الأخرى من حول السودان.

ولعلَّ طبيعة العمل في الإذاعة قد فرضت ذلك الإحساس بأهمية خلق كيانٍ جديد يتمثل في هيئة مستقلة، خصوصاً وأنَّ هيئة الإذاعة البريطانية BBC وشركات الإذاعة في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا واليابان وبقية الدول المتقدمة قد أفرزت إفرازاً أغرى معظم أبناء الدول النامية بتقليد ذلك النمط المتطور للعمل الإذاعي.

وكانت فكرة قيام هيئة قومية للإذاعة والتلفزيون قد راقت للحكومة والقائمين بأمر الثقافة والإعلام في السودان، فكلفّ وزير الثقافة والإعلام لجنةً من بعض المختصين بتقديم دراسةٍ حول هيكلٍ مستقبلي للخدمات الإذاعية والتلفزيونية. وبالفعل رفعت تلك اللجنة تقريرها لمكتب الوزير في السابع من شهر شُباط فبراير عام 1981م حيث تضمن مقترحاتٍ بما يلي:

1/ دمج إذاعة وتلفزيون السودان في مؤسسة واحدة تُعرف باسم هيئة الإذاعة السودانية.

2/ ينشأ مجلس للأمناء يكون مسؤولاً عن وضع سياسة الهيئة وتعيين كبار التنفيذيين فيها.

3/ تحول إلى الهيئة الجديدة كل الصلاحيات والسلطات المتعلقة بالأنشطة ذات الصلة الأساسية بشئون الإذاعة بما فيها التوظيف والمرتبات وشروط الخدمة.

4/ توحيد الغالبية العظمى من أقسام البرامج والهندسة والإدارة.

5/ يتم تشجيع قيام الإذاعات الإقليمية في إطار الهيئة.

6/ يجب التركيز على تطوير البرامج التعليمية.

وشيئاً فشيئاً اكتملت الدراسات حول ذلك المشروع وصدر في يوم 19 أيلول سبتمبر عام 1981م أول قانون لهيئة قومية للإذاعة والتلفزيون بجمهورية السودان. ووفقاً لذلك القانون، فإن الإذاعة والتلفزيون أصبحتا هيئةً واحدة لها إدارةٌ واحدة وشخصيةٌ اعتباريةٌ واحدة. وبعد ذلك صدرت العديد من اللوائح التي فصلت شكل التنظمات الداخلية التي نصَّ عليها القانون. وكان من أكبر المبررات

لدمج جهازي الإذاعة والتلفزيون في هيئةٍ واحدة في تلك المرحلة وجود خدماتٍ مشابهة كالتي تقوم بها وحدة أفلام السودان، ومعهد التدريب الإذاعي، ووحدة الإعلام الإنمائي، والمكتب التجاري، والتلفزيونات الريفية، وغيرها من الخدمات ذات الطبيعة المشابهة، مما استدعى دمج هذه الأجهزة لتعمل بتخطيطٍ وتنسيقٍ واحد. بعد ذلك صدر قرارٌ بتعيين السيد **(الفاتح التجاني)** كأول مديرٍ عام ورئيسٍ لمجلس إدارة الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون [132]. ووفقاً لذلك القرار تكوَّن مجلسُ إدارة الهيئة على النحو التالي:

1/ مدير عام الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون رئيساً.
وعضوية كلٍ من:

1/ رئيس لجنة الإرشاد القومي بمجلس الشعب.
2/ الأمين العام للمجلس القومي للتعليم العالي.
3/ ممثل للقوات النظامية.
4/ وكيل رئاسة مجلس الوزراء.
5/ وكيل وزارة الثقافة والإعلام.
6/ وكيل وزارة المالية والاقتصاد القومي.

---

132 أصدر القرار السيد رئيس الجمهورية.

7/ وكيل وزارة التخطيط القومي.

8/ وكيل وزارة التربية والتوجيه.

9/ مدير عام وكالة السودان للأنباء.

10/ مدير المؤسسة العامة للمواصلات السلكية واللاسلكية.

11/ أمين عام المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف.

12/ أمين عام المجلس القومي للرعاية والتنمية الاجتماعية.

13/ أمين عام المجلس الأعلى للرياضة.

14/ أمين عام المجلس الأعلى لرعاية الشباب.

15/ مدير معهد البحوث والدراسات الاشتراكية.

16/ مدير الإذاعة.

17/ مدير التلفزيون.

18/ المدير الإقليمي للإعلام بالإقليم الجنوبي.

19/ السيد نصر الحاج على.

20/ السيد عبد الوهاب موسى.

21/ السيد علي أبو عاقلة أبو سن.

22/ الدكتور الطيب حاج عطية.

23/ السيد مكاوي عوض مكاوي.

صلاحيات مجلس إدارة الهيئة:

وكانت لمجلس إدارة الهيئة صلاحياتٌ واسعة تمثلت في مباشرة جميع التصرفات والأعمال التي من شأنها تحقيق أغراض الهيئة والتي تتمثل فيما يلي:

أ/ أن يمتلك الأجهزة والمعدات وأي منقولات أخرى، بالقدر الضروري والمناسب.

ب/ أن يحض على التسهيلات المصرفية من البنوك والهيئات المماثلة لتمويل المشروعات الاستثمارية على أن يحدد الوزير الحد الأقصى للمديونية.

ج/ أن يُجيز الميزانية السنوية.

د/ أن يوافق على تحرك العاملين داخل وخارج القُطر.

هـ/ أن يعتمد قواعد الاستعانة بالخبرات الأجنبية في مجال الإذاعة المسموعة والمرئية.

كما نصَّ قانون الهيئة على أن يجتمع مجلس إدارتها ثلاث مرات في السنة على الأقل، كما يجتمع بصفةٍ طارئة بدعوةٍ من رئيسه، أو إذا طلب ذلك ثلثا الأعضاء، حيث يكون النصاب القانوني نصف الأعضاء. ووفقاً لقانون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون فإنَّ

كل إذاعةٍ تنشأ في أي واحدٍ من أقاليم السودان تكون تابعة تلقائياً للهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون. وتقوم على أساس سياسةٍ مدروسة من الهيئة ومعرفة الجدوى الإعلامية منها.

وبموجب ذلك فقد انضمت تلقائياً للهيئة جميع الخدمات الإذاعية السابقة كإذاعة جوبا وتلفزيون الجزيرة الريفي ومحطة تلفزيون عطبرة الريفي. وبعد صدور ذلك القانون أيضاً أصبح الرباط أقوى بين الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون والحكومات الإقليمية التي كانت قائمةً آنذاك، حيث كانت تلك الحكومات تسهم بتوفير المتطلبات الحيوية كالمباني ومقومات التسيير اليومي للعملية الإعلامية.

ثم صارت الإذاعة هيئةً مستقلة

في عام 1992م صدر قرارٌ ينص على أن تصبح الإذاعة السودانية هيئةً مستقلة [133]. وبموجب هذا القرار لم يعد للإذاعة أيةُ صلةٍ إداريةٍ بالتلفزيون أو برئاسة الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون والتي لم يعد لها وجود. وقد تضمن قرار إنشاء هيئة الإذاعة الجديد تكوين مجلس إدارة خاص بالإذاعة.

وبدا أنَّ هذا القرار قد أتاح للإذاعة أن تتحرك بتلقائيةٍ أكثر لم تتوفر لها في ظل القانون القديم. وفور قيام الهيئة الجديدة قامت إدارة

---

133 هو القرار رقم (458) لمجلس الوزراء لعام 1992م.

الإذاعـة بوضـع هيكـلٍ عـام للعمـل شـمل جميـع المرافـق الخدميـة والبرامجيـة ورُفـع لـوزير الثقافـة والإعـلام الـذي أجـازه وأصـبح سـاري المفعول تسير على هداه الإذاعة.

وكان واضحاً أنَّ قانون الإذاعة القديم مليءٌ بالثغرات التي دفع ثمنها العـاملون خصوصـاً فيمـا يتعلـق بالناحيـة الوظيفيـة لـذلك عمـل معدوا القانون الجديد لهيئة الإذاعة على تلافي تلك الأخطاء.

علاقة الإذاعة بوزارة الثقافة

ظلـت علاقـة الإذاعـة بـوزارة الثقافـة والإعـلام علاقـةَ تـداخلٍ تتغيـر وتتبـدل علـى مـر الزمـان. وقـد أشـار إلـى ذلـك بعـض خبـراء الإعلام في السودان في مؤتمرهم الذي انعقد بقاعة الصداقة بالخرطوم فـي منتصـف عـام 1990م، حـين قـالوا إنَّ واقـع الأمـر فـي دولـةٍ كالسـودان تتبـع فيهـا وسـائل الإعـلام الجمـاهيري للدولـة يكـون مـن الصعب فيها ترك الحبل على غاربه بالنسبة للأجهزة الإعلامية وعلى رأسها الإذاعة.

وبـرر المؤيـدون لـذلك الطـرح وجهـة نظـرهم بـأن تمثيـل هـذه الأجهزة في حد ذاته ظلَّ عبئاً من الأعباء التي ينوء بحملها كاهل من يتصـدى لهـا خاصـةً وأنهـا ليسـت مـن المؤسسـات ذات العـائد المـادي، حتـى ينشط رأس المـال الخـاص لخـوض غمارهـا. فضـلاً عـن هـذا فـإنَّ

سياسة الدولة وسيطرة الفكر السياسي، وبث نشاط الجهاز التنفيذي والجهاز السياسي، تستدعي إشراف الدولة على أجهزة الإعلام خصوصاً الأجهزة ذات التأثير كالإذاعة والتلفزيون.

ولكي يتبلور الرأي حول إيجابية أو سلبية هذه العلاقة، لا بد من استقراء واقع الإذاعة نفسها، والنظر إلى هيئات الإذاعة العالمية ذات الأثر الإعلامي الأقوى. وباستقراء حال الدول العظمى كالولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا نجد أنَّ حكومات تلك الدول ظلت تسيطر في كثير من الأحيان على المؤسسات والخدمات الإعلامية الوطنية من إذاعةٍ وتلفزيون ووكالات [134].

وتأتي هذه السيطرة رغماً عن وجود كثيرٍ من الأنظمة الإعلامية التجارية والخاصة في معظم تلك الدول خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نجد أنَّ الحكومة الفدرالية تتولى بنفسها مسؤولية الإذاعة الموجهة للجمهور الخارجي.

وتعتبر إذاعة **(صوت أمريكا)** قسماً من أقسام وكالة الاستعلامات الأمريكية American Information Agency. وهي تتبع لوكالة الإعلام الدولي الحكومية منذ عام 1978م، حينما صدر القرار بتبعيتها لتلك الوكالة من إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق **(جيمي كارتر)**

---

134 جيهان أحمد رشتي، النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، دار الفكر العربي، نوفمبر 1978م.

Jimmy Carter. ووفقاً لهذا الوضع فإنَّ مدير إذاعة صوت أمريكا مكلفٌ بتقديم تقريرٍ دوري لمكتب رئيس الجمهورية في البيت الأبيض، بالإضافة إلى ضرورة التعاون مع وزارة الخارجية الأمريكية في كل ما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة التي يجب على الإذاعة توخيها بصرامة أثناء أدائها لرسالتها ودورها الإعلامي والدعائي للولايات المتحدة.

وفي الاتحاد السوفيتي السابق، كانت الدولة تعتبر مثالاً لسيطرة الحكومة المركزية. لذلك فقد كانت الإذاعة السوفيتية، التي تبث برامجها من موسكو، تعتبرُ منظمةً سياسيةً ضخمة تتحدد برامجها وفقاً لقرارات سياسية تُصدرُها اللجنةُ المركزية للحزب الشيوعي والتي تجاز قراراتها بصفةٍ مستمرة من قِبَلِ مجلسِ السوفيت الأعلى.

أما هيئة الإذاعة البريطانية B B C والتي تفخر باستقلالها في مجال الأخبار والبرمجة الإذاعية فهي مسؤولةٌ مسؤوليةً مباشرة أمام وزارة الخارجية البريطانية والكومونولث The Commonwealth عن اختيار المناطق المستهدفة وساعات الإذاعة والاتصال بالإدارات الحكومية المعنية للحصول على المعلومات عن الظروف والأحوال في الدول التي توجه لها هذه الإذاعات فضلاً عن اللغات التي تستخدمها الإذاعة في برامجها الموجهة إلى تلك الدول. ونفس الأمر نجده في الإذاعة المصرية، التي يُعتبر مبناها أكبر مبنى لإذاعةٍ في العالم حتى

الآن. ورغماً عن كثرة خدماتها البرامجية إلا أننا نجدها خاضعة للرقابة الحكومية بنسبة 100%. وإمعاناً في تنظيم وتأطير هذه الرقابة فقد بُنيَتْ وِزارةُ الثقافة والإعلام في داخل مبنى الإذاعة والتلفزيون **(ماسبيرو)** الذي يطل على نهر النيل بمدينة القاهرة.

ويتخطى الأمر الإذاعة المصرية ليطال كل أنظمة الإذاعة والتلفزيون في العالم العربي والدول الأفريقية والآسيوية مثل ماليزيا والهند وباكستان وإندونيسيا وغيرها. وإذا نظرنا إلى الإذاعة السودانية نجد بعض الخصوصية في طبيعة العمل الذي خطط له أن يخدم أعراقاً متباينة في ثقافاتها حيث لعبت هذه الظروف دوراً وما تزال في ضرورة وضع تنسيق البرمجة بين الدولة وإدارة الإذاعة من أجل استيعاب واستلهام الموروث الثقافي والسياسي لدى هذه الجماعات المختلفة وتوصيل سياسة الدولة إليها في مواقعها النائية.

- ثم جاء قيام الحكم اللامركزي الذي بدأ في أوائل الثمانينيات والذي قسم البلاد إلى تسعة أقاليم في ذلك الوقت.

- ثم تلاه في عام 1992م تقسيم البلاد إلى ولايات ظلت تتأرجح بين الزيادة والنقصان حتى وصلت إلى ستة وعشرين ولاية في شهر أيار

مـايو 1994م تقـوم فـي كـل واحـدة منهـا حكومـةٌ مسـتقلة تحـت مظلـة النظام الفيدرالي.

● في ظل هذه التطورات اقتضت السياسة الإعلامية كثيراً من التداخل بين الجهاز المركزي والأجهزة الفيرالية، مما أدى إلى رسم سياساتٍ عديدة ظلتْ في معظمها تربط العمل الإذاعي بالأجهزة الرسمية لا سيما وزارة الثقافة والإعلام.

وفي الفترة التي سبقت قيام الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون كانت الإذاعة السودانية إحدى الأقسام الرئيسة التابعة لوزير الثقافة والإعلام. وكان الوزير هو الذي يشرف إشرافاً مباشراً وفعلياً على برامج وأعمال الإذاعة ويضع الإطار العام لسياستها من حيث البرمجة والأداء ومحاسبة العاملين.

وبحكم هذه التبعية المباشرة كانت الإذاعة تلجأ لوزير الثقافة في كل صغيرةٍ وكبيرة بحكم أنه حلقةُ الوصل الرئيسية بين السلطة التنفيذية والإذاعة. حيث إنه يملك صلاحيات تعيين المسؤولين في الوظائف القيادية العليا، كما أنَّ له الحق في محاسبة وإقالة من يعتقد أنه ليسَ كفؤاً للعمل.

وحتى أنَّ ميزانية الإذاعة كانت جزءاً من ميزانية وزارة الثقافة والإعلام، مما جعل ارتباط الإذاعة بالوزارة ارتباطاً عضوياً وثيقاً لا

فكاك منه تحت أي ظرف. ولذلك كان لا بُدَّ من النص الواضح في قانون الهيئة التأسيسي على أن تكون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون مستقلةً عن وزارة الثقافة والإعلام.

وبذلك انفصمت عرى العلاقة الأزلية بين الإذاعة والوزير إلا ما فرضته طبيعة الرسالة الإعلامية التي تتصل اتصالاً نوعياً بجهات اتخاذ القرار والجهاز التنفيذي. وقد أصبح أمر الإشراف العام على الإذاعة والتلفزيون من مسؤوليات وزير رئاسة الجمهورية بدلاً عن وزير الثقافة والإعلام.

وفي ظلِّ هذا القانون بدا وكأن حركة الإذاعة قد أصبحت أكثر استقلالاً مما كان. حيث أصبح اتخاذ القرارات الخاصة بالأداء والعاملين والتعيين من اختصاص المدير العام أو مجلس الإدارة.

ورغماً عن إيجابية هذا الأسلوب الذي نظر إليه أهل الإذاعة بعين الرضا إلا أنه لم يعش طويلاً. حيث سرعانَ ما صدر تعديلٌ لقانون الهيئة صار بموجبه وزير الثقافة والإعلام هو رئيس مجلس الإدارة. وعاد الأمر من جديد إلى ما كان عليه في السابق، حيث أصبح وزير الإعلام هو المسؤول الفعلي عن الإذاعة، خصوصاً فيما يتعلق بالتعيينات أو رسم السياسة العامة والتخطيط.

استقلال الإذاعة بين السلب والإيجاب

لقد أثبتت سنوات التحول والتغيير التي طرأت على الإذاعة أنَّ استقلالها أفضل كثيراً من تبعيتها لأي سُلطة سواءٌ كانت هذه السلطة ممثلةً في وزارة الإعلام أو رئاسة الجمهورية وذلك لأسباب كثيرة. حيث إنَّ هناك العديد من المصالح والأقسام كانت تتبع مباشرةً لوزير الثقافة والإعلام وهي: 1/ مصلحة الثقافة 2/ الإعلام الداخلي 3/ الإعلام الخارجي 4/ الآثار 5/ الإنتاج السينمائي 6/ دار التوزيع 7/ مؤسسة الدولة للسينما 8/ المسرح القومي 9/ الفنون الشعبية 10/ إدارة الفنون المسرحية والاستعراضية (وإلى سنوات قريبة مكاتب الإعلام الإقليمية). فإذا أضفنا إلى كل هذه الأقسام الإذاعة والتلفزيون، فإنَّ حجم المسؤولية يتسع بشكلٍ أكبر من طاقة أي وزيرٍ أو وزارةٍ واحدة.

وكما هو معلومٌ في علم الإدارة لا يجوز أن يجمع شخصٌ واحد تحت إدارته المباشرة أكثر من ستة إداراتٍ مختلفة في وقتٍ واحد. ذلك أن تعدد الإدارات تحت المسؤول الواحد يؤدي إلى إهمال بعضها أو تضارب المسؤوليات، مما يضر بمسيرة دولاب العمل اليومي. فكيف الحال إذا كان أحد هذه الإدارات في مثل خطورة الراديو أو التلفزيون؟ واستقلال الإذاعة فضلاً عما فيه من تطوير لملكات الإبداع فإنه يتيح فرصةً أكبر لحرية الحركة بعيداً عن تشعبات الظل الإداري. ولعل تجربة قيام الهيئة كانت دليلاً واضحاً على ذلك خلال

الشهور التي بدأ فيها التطبيق الفعلي للقانون. حيث أتاح استقلالُ الهيئة تطوراً في البرمجة وسرعةً في التعامل المالي نسبةً لاستقلال الميزانية.

ظهر ذلك في سرعة اتخاذ القرار وفي مراقبة سير العمل من خلال المدراء المباشرين والمشاركين في العمل الإذاعي نفسه، مما أتاح التصاقاً ومعرفةً أكبر ببواطن الأمور ومشاكل العمل اليومية.

أما عن حرية الحركة المتاحة للإذاعة في مجال العمل السياسي فيمكن القول إنَّ الضوابط العامة التي تمليها طبيعة مسار الدولة السياسي هي التي ترسم الإطار العام لعمل الإذاعة شأنها في ذلك شأن معظم إذاعات العالم. وهي تترسم في هذا الشأن خطى الجهاز الإعلامي الذي يعرف تماماً دوره في مجتمعٍ كالمجتمع السوداني.

والإذاعة السودانية أسبق من الحكومات في بلورة الروح الوطني في كل أبناء السودان، لم تحد يوماً عن مسارها الوطني الذي يدعم أسس الحرية والديموقراطية والعدالة في توزيع الفرص واستنهاض الهمم من أجل الأداء الأفضل في كل المجالات.

وباستقصاء جميع القوانين في السودان، لم نجد نصاً واحداً يحجر على الإذاعي أو الإعلامي حرية ممارسة مهنته من خلال الجهاز الذي يتبع له، إلا أنَّ الممارسات الفعلية للأنظمة السياسية

على مر العصور كانت تملي واقعاً مؤسفاً في كثيرٍ من الأحيان. وكان الطابع العام للوزراء المتعاقبين على وزارة الإعلام هو التدخل بشكل غير مبرر في شئون العمل الإذاعي الذي أصبح ضحيةً في كثيرٍ من العهود لتلك السياسات التي لم يدعمها قانون في أى مرحلةٍ من المراحل.

لقد دخلت ساحة العمل السياسي كثير من المعطيات بعد الاستقلال، حيث تشعبت الأهواء إلى حدٍ كبير بين الجماعات السياسية المختلفة. وهذا بالطبع قد جاء كإفرازٍ طبيعي لمرحلة ما بعد الاستعمار التي ظهرت في أداء الحكومات الوطنية المتعاقبة، مما انعكس على الإذاعة.

وخلال مسيرة الأنظمة السياسية بالسودان ظهر جلياً أنَّ كل واحدة من الحكومات التي أمسكت بمقاليد الأمور بعد الاستقلال كانت تريد أن تستفيد من الإذاعة كوسيلةٍ أقوى لترسيخ مفاهيمها وسياساتها، بغض النظر عن قومية ما تريد طرحه أو قيمته بالنسبة للمستمع، حيث إنَّ مصالح الحكومات ليست بالضرورة هي مصالح الوطن.

ظلت السمة الغالبة لبرامج الإذاعة في عهود الحكومات الوطنية هي التبشير بمفاهيم الأطروحات الحكومية، سواء أكانت الأنظمة عسكريةً كما هو الحال في عهد إبراهيم عبود وجعفر نميري وعمر البشير أو في العهود الليبرالية الثلاثة التي تخللت فترات الحكم

العسكري بالبلاد. وظلت البرامج في معظم الفترات التي تعقب تغيير الأنظمة السياسية عن طريق الانقلابات العسكرية أو الانتفاضات الشعبية تتسم بالصفة الثورية التي تتأثر دائماً بطرح الساحة الوطنية من خلال حركة الشارع السياسي. وحتى البرامج الأدَبَيْة والثقافية والترفيهية ظلت تشهد تغييراتٍ وتحولاتٍ في محتواها ومضامينها. فبدت فيها روح الشباب المتعطش لحرية التعبير من خلال الراديو.

وظلت الحكومات العسكرية تضع السياسات التي تخدم رؤاها التي تحاول دائماً أن تجعل من الانقلاب ثورةً شعبية. إلا أنَّ الكسب المادي الذي تتلقاه الإذاعة من الدولة لتطوير برامجها ظلَّ أفضل في العهود الشمولية كثيراً من العهود الليبرالية.

ورغماً عن نزعة الأنظمة الشمولية المعروفة بهيمنتها وفرض قراراتها من خلال القنوات المختلفة إلا أنَّ واقع الإذاعة السودانية يقول إنَّه ومن خلال متابعة ما حدث في سنوات ما بعد الاستقلال أنَّ الأنظمة الشمولية لم تتدخل بالشكل الذي تدخلت به الأنظمة الديموقراطية في شئون البرمجة. حيثُ ظلت الأنظمة الشمولية تُملي سياساتها من البيان الأول ثم تترك العاملين يؤدون أدوارهم من خلال هذه السياسة.

وظلَّ معظم التدخل في مجال فصل وتعيين الأفراد ولكن لم يحدث كثيرٌ من التدخل في مجال البرمجة إلا في حالات نادرة. أما

في الفترات الليبرالية فرغماً عن الإيجابيات الكثيرة التي وجدتها الإذاعة وحجم الحريات التي أُتيحت لسماع الصوت الآخر إلا أن الإذاعة تعرضت لكثيرٍ من التدخلات السياسية في البرمجة التي وصلت إلى حدِّ الصراع في بعض الأحيان. والسبب في ذلك هو طبيعة الممارسة الديموقراطية في السودان، التي فرضت عليها الظروف أن تقضي معظم أيامها في محاولات إثبات الذات وسط صراعات المعارضين والمناوئين. ففي شهر نيسان أبريل عام 1986م تسلمت حكومة السيد الصادق المهدي المنتخبة مقاليد الحكم في السودان، بعد ستة عشر عاماً من غياب الليبرالية.

وشعرت الإذاعة السودانية بتغير المسار الذي كانت تسير عليه الأمور حيث أصبحت مراكز اتخاذ القرار متعددة، والمصالح الوطنية نفسها أصبحت تختلف حسب الرؤى الحزبية التي تختلف من حزب إلى آخر.

وكانت قياداتُ الأحزاب الكبيرة ذات الوزن البرلماني (**حزب الأمة والحزب الاتحادي الديموقراطي**) كثيراً ما تؤثر على شكل البرمجة الإذاعية من خلال رفض بعض المواد والتركيز على مواد أخرى وهكذا. وهذا الواقع الجديد جعل الإذاعة تتعامل بشيء من الحذر في كثيرٍ من الأحيان خوفاً من تضارب مصالح القيادات الحاكمة. وأصبح التردد سمةً من سمات صُناع القرار بالإذاعة من

مغبة الوقوع في ما لا يُرضي هذا الحزب أو ذاك. لم يكن ذلك الخوف نابعاً من فراغ، وإنما كانت الإذاعة تخشى الوقوع في مزالق الاتهام والمساءلة، وذلك من خلال التجارب الفعلية والتي نسوق هنا بعضاً منها. ففي فترة الديموقراطية الثانية 1964م – 1969م أيام أن كان السيد الصادق المهدي رئيساً للوزراء كانت الإذاعة تنقل احتفالاً رسمياً من خارج الأستديو يتحدث فيه السيد رئيس الوزراء.

وكعادة الإذاعة في هذه الحالات تضع برامجها كاملةً في داخل الأستديو حسب خارطة التنسيق تحسباً لأي طارئ قد يحدث أثناء الانتقال. وكالعادة تُختتم البرامج بتلاوةٍ من آي الذكر الحكيم مدتها عشر دقائق أو ربع ساعة تبدأ في الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً ليتوقف الإرسال عند منتصف الليل.

وفي تلك الليلة استمر خطاب رئيس الوزراء لمدة طويلة، ولم ينته إلا في الزمن المحدد لتلاوة الختام وهو الثانية عشرة إلا ربعاً. وكإجراءٍ طبيعي قدم المذيع تلاوة الختام بعد أن عَقّبَ على رئيس الوزراء. ودخلت التلاوة التي أقامت الدنيا ولم تُقعدها. حيث اتصل كبار مسؤولي الحزب مستنكرين ومتهمين الإذاعة بأنها أرادت الإساءة لرئيس الوزراء باختيار تلك الآيات للتلاوة، حيث تصادف أن بدأ القارئ بقوله تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**

أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} [135]. ودخلت الإذاعة في مشكلة شائكة لم يشفع لها فيها تأكيدُ المدير بأنهم لم يقصدوا الإساءة إلى رئيس الوزراء ولا إلى حكومته، وإنما جاءت إذاعة تلك السورة حسب الهيكل الموضوع سلفاً من إدارة التنسيق بالإذاعة. وهي عندما وضعت تلك السورة إنما كانت تتبع تسلسلاً عادياً لإذاعة القرآن يبدأ بسورة الفاتحة ويختم بسورة الناس.

والصدفةُ وحدها هي التي وضعت تلك الآيات من تلك السورة في ذلك اليوم، ولم تكن الإذاعة تدري أنَّ رئيس الوزراء سيتحدث إلى ذلك الوقت المتأخر من الليل. وحتى لو أنها كانت تعلمُ ذلك فليس من طبع الإذاعة مكايدة الساسة، والقرآنُ الكريم الذي هو كلام الله عز وجل لم يكن في يوم من الأيام مستفزاً لمشاعر أحد ولا ينبغي له [136].

موقفٌ آخر حدث إبان الفترة الديموقراطية الثالثة 1985م – 1989م حيث كانت الإذاعة تذيع المفكرة الصباحية التي تحوي العديد من الإعلانات المجانية عن الأنشطة الثقافية والعلمية الدائرة في المنتديات العامة بالخرطوم وباقي مدن السودان. والمفكرة هي برنامج للخدمات ظل يقدم على مدى سنوات طويلة بإشراف قسم المنوعات.

---

135 سورة الحجرات، الآية رقم 6.

136 روى هذه الحادثة للمؤلف الأستاذ محمد خوجلي صالحين في يوم تعيينه وزيراً للثقافة والإعلام.

حيث يذاعُ بعد فترة الأخبار الصباحية الأولى التي تقدم في السادسة والنصف صباحاً كل يوم ما عدا أيام الجمعة. وأثناء إذاعة المفكرة على الهواء دخل شخصٌ في أستديو البث المباشر بدون مقدمات ونظر إليه فنيو الأستديو فإذا به وزير الثقافة والإعلام [137]. وبأسلوب غاضب هجم الوزير على جهاز التلعيب وأوقف شريط المفكرة التي كانت مذاعةً على الهواء. وقال للمساعد الفني المسؤول عن تنفيذ الفترة: ((**ضع أي مادة موسيقية أو غنائية أو غيرها بدلاً من هذه المفكرة التي لا أريد أن أسمعها بعد اليوم**)).

وتوتر جو الأستديو الذي لم يدخله وزيرٌ في تاريخ الإذاعة بتلك الصورة الغاضبة. وبعد ذلك عرج سعادة الوزير على مكتب مدير الإذاعة وهو يرغي ويزبد، وعقد اجتماعاً عاجلاً بكل قيادات الإذاعة لتدارس الأمر. وقال الوزير في مطلع حديثه: ((**إنني كنتُ في طريقي للمكتب وسمعت هذا البرنامج في راديو السيارة فحولت طريقي من الوزارة إلى الإذاعة لأوقفه بنفسي**)).

ولما سأله العاملون عن سر تلك الغضبة وذلك التصرف غير المسبوق قال الوزير: ((**هذه مفكرة للأخبار والأنشطة الثقافية للجبهة الإسلامية القومية المنافس اللدود لحزبنا الاتحادي وحزب الأمة**

---

137 هذا الوزير هو التوم محمد التوم وزير الثقافة والإعلام في الحكومة الائتلافية الأولى التي كونها السيد الصادق المهدي مع الحزب الاتحادي الديموقراطي.

الحاكم فلماذا تسمحون بإذاعتها)). وكان الرد على الوزير: **((هذه المفكرة لا علاقة لها بالجبهة الإسلامية ولا بالاتحادي الديموقراطي ولا بحزب الأمة ولا بأي تنظيمٍ سياسي سابق أو لاحق، وإنما هي برنامجٌ ظل لأكثر من عشر سنوات يقوم بنقل الأنشطة الثقافية التي ترد من أي بقعةٍ في أرض السودان الواسعة. ومعظم الأنشطة هي لطلبة الجامعات والمنظمات الخيرية وغيرها من الجهات المهتمة بقضايا الثقافة والمعرفة))**. فقال الوزير: **((ولكني لا أسمع في هذه المفكرة غير أنشطة أبناء الجبهة الإسلامية في الجامعات والمعاهد والمدارس والأحياء وغيرها))**.

وكان الردُّ من صلاح الدين الفاضل على الوزير: **((هذا هو الذي يجرى في ليالي العاصمة يا سعادة الوزير، ونحن ما علينا إلا أن نعكس كل ما يصل إلينا من أي جهة ما دامت جهةً سودانية ومشروعة تمارس نشاطاً ثقافياً مشروعاً. ونحن عندما نذيع هذه الأنشطة لا نكترث للجهة أو الحزب الذي يرعى ذلك النشاط لأن البلاد تحكمها الديموقراطية))**[138].

فرد الوزير بشكلٍ حاسم: **((لا وألف لا لهذه المفكرة ما دامت معظم الإعلانات والأنشطة الفكرية المبثوثة من خلالها مُحتكرة لشباب الجبهة))**.

---

138 كان هذا الرد من صلاح الدين الفاضل الذي كان مسؤولاً وقتها عن المفكرة الصباحية.

وتوقفت المفكرة اليومية من ذلك اليوم ولم تعد إلا بعد خروج السيد التوم محمد التوم من التشكيلة الوزارية. هذه أمثلةٌ عابرة لبعض تدخلات المسؤولين في شئون الإذاعة في فترات مختلفة، مما جعل العاملين في بعض الأحيان يتوجسون من تقديم بعض المواد تحسباً لعدم إرضاء المسؤولين. ولذلك فإنَّ الإذاعة بذلك الاستغلال غير المرشد قد لعبت دوراً مضاداً لتلك الحكومات، حيث إنها أسهمت إسهاماً حقيقياً في قلب جميع أنظمة الحكم في السودان طوال الأربعين سنةً الماضية.

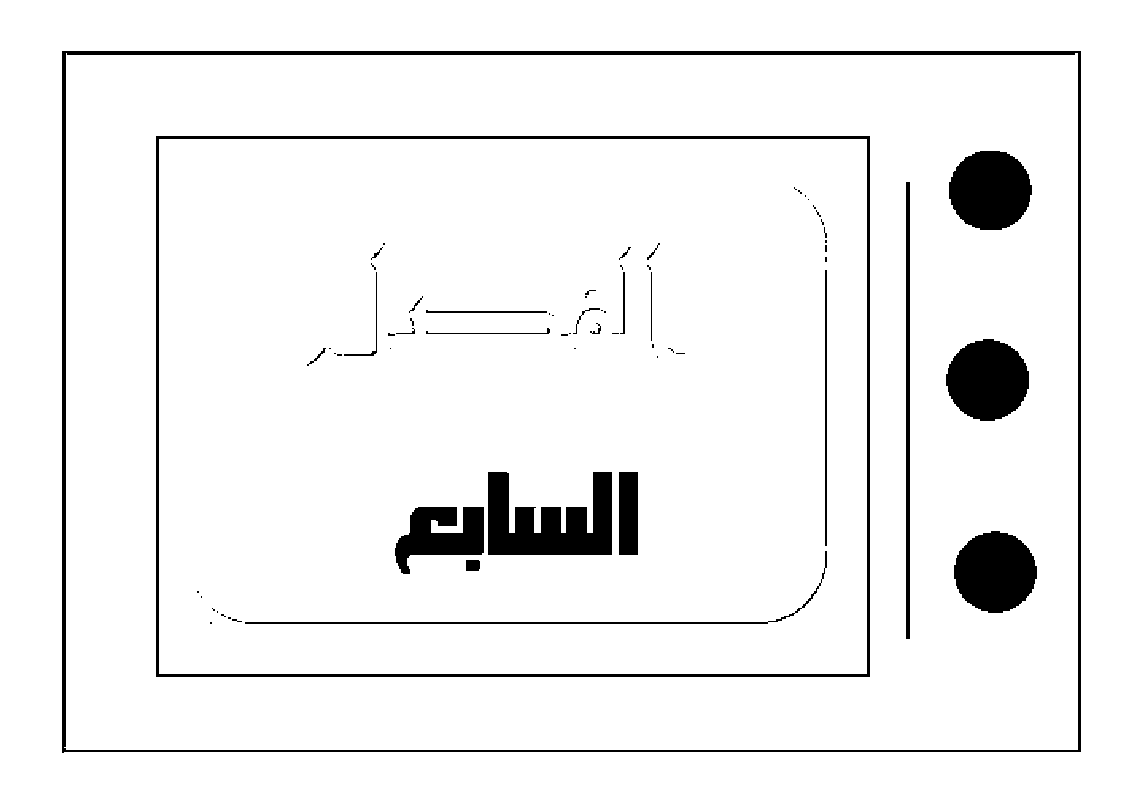
بالطبع فإنَّ هناك خطوطاً عريضةً يهتدى بها العمل الإذاعي في كل زمان ومكان مثل احترام المثل والقيم والأخلاق والتحلي بالسلوك الاجتماعي النابع من الفكر الإنساني والروح العقائدية وما إلى ذلك. وقد ظلت كل هذه المؤشرات نبراساً يهتدي به العمل الإذاعي كلما وُضع في مساره الصحيح.

والرقابة الإذاعية لا تحتاج لحراسةٍ عسكرية أو جنودٍ مدججين بالسلاح، وإنما تمليها طبيعة الرسالة الإعلامية التي تشربها أبناء الإذاعة وصارت شغلهم الشاغل بحكم أنهم يدخلون كل البيوت وفي كل الأوقات بلا استئذان مما جعلهم يُدركون ما يفعلون. وذلك بالطبع قد جعل من كل فرد رقيباً على أداء نفسه سلباً كان أم إيجاباً. وإذا عُدنا للأنظمة الشمولية فإننا أيضاً نلاحظُ وجودَ سلبياتٍ عديدة في

تعاملها مع الإذاعة وعلى رأسها قضية الفصل من العمل التي ظلَّلت سماء الإذاعة مراتٍ ومرات في ظل هذه الأنظمة. ورغماً عما سردناهُ آنفاً إلا أنَّ هناك بعض وزراء الفترات الشمولية الذين تدخلوا في مجال البرمجة والعمل اليومي وكان على رأسهم الوزير الراحل الأستاذ محمد خوجلي صالحين الذي ظلَّ رقيباً على الإذاعة طوال الفترات التي قضاها بالوزارة.

إلا أنَّ تدخله قد كان في معظمه ذا طبيعة مهنية وأدائية ولم يكن تدخلاً سياسياً في أي مرحلة من المراحل. والخلاصة هي أنَّ العاملين بالإذاعة هم ألصق الناس برغبات وميول المستمعين. وهم أدرى الناس بالأسلوب الأمثل لخدمة كل القطاعات المنتشرة في بقاع السودان المختلفة. ولذلك كلما أُطلقت يَدُهم في تقديم البرامج تحت رايات الحرية التي يتطلبها العمل كلما كان ذلك أفضل للإذاعة وللمستمع وللسودان، بل وللأنظمة الحاكمة ذاتها.





دور الإذاعة في بلورة الهُوية السودانية

الفصل السابع

دور الإذاعة في بلورة الهوية السودانية

((هذه الإذاعة كالبحر يرد الناس إليه فيشربون ويسبحون ويتطهرون في مياهه، ويظل معطاءاً للجميع رغم أن البعض يأتي ليرمي بالقاذورات فيه)).

[محمد خوجلي صالحين]

مدير إذاعة أم درمان الأسبق

7

في سنوات ما قبل الاستقلال عملت الإدارة البريطانية على إزكاء روح القبلية، وشجعت الأهالي على تعلم الإنجليزية، التي كانت هي لغة الدواوين والتعليم في البلاد. ولم يكن هناك مكانٌ لمن تخصصَ في اللغة العربية إذا لم ينسلخ عنها ويتعلم الإنجليزية. وكان على الجميع أن يُذعنوا لذلك الواقع المرير إذا أرادوا أن يجدوا مصدراً للرزق داخل الوطن. حيث لم تكن اللغات المحلية مكتوبةً، إنما ظلت لغاتٍ شفاهيةً للتخاطب اليومي بين أهل القبيلة الواحدة. وسط تلك القيود الاستعمارية القوية والظروف الصعبة التي مرت بها البلاد،

انحسر إلى حد كبير دور اللغة العربية داخل دواوين الحكومة، وتراجعت هيبتها في المحافل العامة. وتنامت نتيجةً لذلك اللغة الإنجليزية. وبدأ تشجيع اللهجات المحلية ولغات الأقليات القبلية في بقاع السودان المختلفة [139]. إلا أنَّ رجال العربية المستميتين من أجلها لم تنكسر شوكتهم، رغماً عن تلك الحرب المعلنة وغير المعلنة. وظلَّ نفرٌ منهم يقاومون أي تفتيت لكيانها أو استخفافٍ بهيبتها. حيث انبرى نفرٌ منهم يكتبون في الصحف الأدبيّة، ويخطون المؤلفات الداعية لتخليدها وإحياء تراثها.

وكان بعضهم يترسم خطا الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير الذي أصدر في مطلع العشرينات كتابه الشهير (**العربية في السودان**)، والذي عرض من خلاله فنون البلاغة في أسلوب أهل السودان ذوي الفصاحة والنباهة في لغة الضاد، وحاول من خلاله أن يؤصل لعروبة السودانيين بكثيرٍ من الشواهد من السلوك اللغوي والأمثال الشعبية وغيرها.

وظهرت من خلال المنتديات والمجامع قصائد الشيخ الطيب السراج التي لا تعترف بغير العربية لساناً لأهل السودان. كما ظهرت كتابات خضر حمد الذي ناصر قضية اللغة رغماً عن انشغاله بهموم السياسة التي تختلف عن منحى أهل اللغة وأساطين الكلام. وظهرت

---

139 عوض إبراهيم عوض، لغة الإذاعة، (2000)، دار النشر جامعة الخرطوم.

نداءات التجاني يوسف بشير وجماعة مدرسة الفجر ورواد الجمعيات الأدبية في ود مدني والهاشماب وأبي روف، التي كانت تنزع كلها للتأصيل لآداب وفنون العربية بالسودان. وظلّ الصوت الوطني متمسكاً بها رغماً عن خطط بريطانيا لضربها. فحمل لواءها نفرٌ من أبكار كلية غردون وطلبة الأزهر وخريجي المدارس الحديثة، أمثال اسماعيل العتباني وأحمد يوسف هاشم ومحمد عبد القادر كرف وعبد الله الطيب ومصطفى طيب الأسماء وسعد الدين فوزي وأبو القاسم عثمان وغيرهم. حيث كان إصرارهم الشديد على لغةٍ وطنية تجمعهم وتوحدهم فكانت اللغة العربية. وانتقل هذا الهم الكبير من أعمدة الصحف وفصول المجلات إلى مايكرفون الإذاعة.

الإذاعة وبناء الوحدة الوطنية

نشأت إذاعةُ أم درمان وبدأت تذيع كل موادها باللغة العربية، التي اعتبرتها لغتها الرسمية، إلى جانب الإنجليزية التي كانت تُستخدم في قراءة بعض نشرات الأخبار والتعليقات والبرامج السياسية.

ولما انزاح شبح الاستعمار عن البلاد، وتربعت أول حكومةٍ وطنية على كراسي الحكم في آذار مارس 1954م، بدأت الإذاعةُ السودانيةُ مرحلةً جديدةً هي مرحلةُ بناء الذات السودانية المستقلة، التي تتوجت بإعلان الاستقلال الكامل في الأول من كانون ثاني

يناير 1956م، بعد ستين عاماً من السياسة الثقافية المفروضة على أهل السودان. وأصبح استخدام اللغة العربية في تلك المرحلة من خلال الإذاعة ذا مدلولٍ مختلف تماماً عما كان عليه في الماضي. فقد وقفت نداً قوياً ضدَّ الأصوات التي كانت تعمل على تثبيت المستعمر عسكرياً وثقافياً وسياسياً وتُعرقلُ مسيرة الاستقلال. كما وقفت ضدَّ الأصوات التي رفضت الثقافة العربية التي اعتبرتها ثقافة السودان الغالبة. فكان موقف الإذاعة من أبرز العوامل التي أدَّت إلى صيانة حق الوطن في حريته واستقلاله، لا سيما في مجال الثقافة والمعرفة.

إشكالية الوحدة

اعتمدت إذاعةُ أم درمان ومنذُ الوهلة الأولى اللغةَ العربيةَ كلغةٍ رسميةٍ لها للأسباب الآنف ذكرها. وبدأت تذيع بها معظم البرامج ونشرات الأخبار إلى جانب اللغة الإنجليزية التي استخدمتها في قراءة بعض نشرات الأخبار والتعليقات والبرامج السياسية. وعندما خرج البريطانيون من البلاد في عام 1956م بدأت الإذاعةُ مرحلةً جديدةً هي مرحلةُ بناء الذات السودانية المستقلة التي ظهرت بعد ستين عاماً من المحاولات المكثفة لطمس الهوية وصبغ الثقافة بروح التغريب التي

فُرضت على البلاد [140] والتي أشار إليها بِنْش بمبروك أحدُ كُتّاب الإدارة البريطانية بقوله: (*لقد انقضت الأخلاق القديمة والسلوك الحميد لأبناء الجيل القديم... ومال أبناء الجيل الحديث إلى اتباع وسائل ومظاهر الحضارة الأوربية التي لا تتجافى مع العادات والأعراف السودانية فحسب، بل كان أكثرها يتنافى مع المفاهيم الإسلامية*) [141].

لقد أرادت الإذاعةُ السودانية أن تستعيد بذلك ما كاد أن ينطمسَ من الأعراف، وأن تُحافظَ على التراث. ولذلك لم يكن استخدامُ العربية فقط كسلاحٍ في وجه المستعمر، وإنما كان أمراً حتمياً فرضه وضع القبائل ذات اللغات المختلفة والتي لم تتخاطب فيما بينها إلا بالعربية.

وكانت النتيجة أن تراجعت تلك اللغات بحكم أنها لم تُستخدم إلا في إطار القبيلة الواحدة. أما في الأسواق والشارع لعام ودور العبادة واللقاءات العامة فلم يكن لدى الجميع غير العربية. وسقطت بذلك نبوءةُ المستعمرين بأن الدولة ستتفكك إلى دويلات بحكم طبيعة البناء القومي الهش. كان ذلك الموقف الذي وقفته الإذاعة هو أول العوامل التي أدّت إلى الحفاظ على كيان الوطن ككيانٍ واحدٍ ومتماسك

---

140 عوض إبراهيم عوض، أبعاد الصراع السياسي حول استقلال السودان، تحت الطبع كوالا لمبور، ماليزيا.

141 جعفر محمد علي بخيت، (1972م)، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919-1939م، ترجمة هنري رياض، دار الثقافة بيروت، صفحة 131.

لا سيما في مجال الثقافة والعِلم. ولذلك أصر أبناءُ الإذاعة على اتخاذ العربية وحدها لغةً للبرامج والخدمات الإذاعية بأشكالها المختلفة، القائم منها والمتوقع في المستقبل. وكان الغرض الأساسي للإذاعة هو تذويب الفوارق العرقية التي غذاها الاستعمار عندما عملَ على استنهاض روح القبيلة وتشجيع اللهجات المحلية المتعددة.

ولم تُصبح اللغة بموجب ذلك لغة البرامج فحسب، وإنما أصبحت لغة التدريب الإذاعي، ولغة الاجتماعات، ولغة التداول العامة في ردهات الإذاعة. وساعد على ذلك أنَّ الدولة الوطنية قد اعتمدتها بعد الاستقلال كلغةٍ للتعليم، ولغةً لدواوين الحكومة، فتكامل دور الإذاعة مع دور المؤسسات الأخرى.

واللغة الفصحى هي التي اعتمدتها الإذاعة رغماً عن تعامل الشارع السوداني بالعامية بشكلٍ متواصل. وعاميةُ أهلِ السودان هي أقربُ العاميات إلى اللغة الفصحى بين كل البلاد العربية بلا استثناء [142]. وقد ثبت من خلال استعراض مسيرة البرمجة الإذاعية أنَّ كل مستويات التخاطب في العربية قد وجدت طريقها عبر إذاعة أم درمان. فلغة التراث القديمة مثلاً وجدت حظاً في البرامج التي تحدثت عن التاريخ مثل: **(سيرة ابن هشام)** الذي قدمه **(الطيب صالح)** في أوائل

---

142 أنظر عبد الله عبد الرحمن الضرير، (1967م)، العربية في السودان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت صفحة 6.

الستينيات، وبرنامج **(من تُراث العرب)** الذي كان يعده ويقدمه **(فراج الطيب)**. وهو برنامجٌ درامي يتناول بالحوار حياة المشاهير من العرب القُدامى، ويستخدم لغة البادية الفصيحة. وجاء بعده برنامج **(من القصص العربي)** الذي أعده وقدمه لدوراتٍ عديدة **(عبد الوهاب أحمد صالح)**. وهو على نمط البرنامج السابق حيثُ يقدم سرداً درامياً من واقع الحياة العربية بلغة العصور القديمة.

وهناك برامج أخرى من بينها **(قصص الأنبياء)**، و**(قبسٌ من نور الإسلام)**، و**(من تاريخ العرب)**، و**(مع الشعر الجاهلي)**، و**(لسان العرب)**، وغيرها من البرامج التراثية التي قدمتها الإذاعة حتى منتصف عقد الثمانينيات[143].

أما اللغة المعاصرة فهي لغة معظم البرامج التي ظلت تقدمها الإذاعة. وقد ظهرت من خلال نشرات الأخبار والحوارات الإذاعية والتعليقات السياسية وربط فقرات البرامج وغيرها من المواد الحية. وظلت اللهجة العامية هي القاسم المشترك للمقابلات الفنية والاجتماعية والرياضية. وظهرت أيضاً بشكل واضح من خلال برامج الطوائف، كالمرأة، والطفل، والثقافة العمالية، والأسرة، وبرامج الحركة، والشباب، وركن المزارع. ولتحقيق التجويد اللغوي قامت الإذاعة بتعيين عدد من المصححين من أساتذة اللغة العربية ليقوموا بتصحيح نشرات

---

143 هياكل البرامج الدورية لإذاعة جمهورية السودان (1973-1986م).

الأخبار وبعض البرامج التي تُقدم باللغة الفصحى قبل إذاعتها. وبعد ذلك ظلَّ المخطئون في اللغة من مذيعين ومقدمي برامج يتعرضون للمساءلة والمحاسبة من قبل الإدارة. وظلَّ المصححون مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بقسمي الأخبار والدراما بالإذاعة، حيث يقومون بمراجعة نشرات الأخبار الرئيسية وتشكيلها خصوصاً أخبار السادسة والنصف صباحاً وأخبار الثالثة مساءً اللتين تعتبرهما الإذاعة السودانية أهم فتراتها الإخبارية على الإطلاق بحكم حيث كثافة الاستماع.

ولما كانت الإذاعةُ تشترط في مذيعيها أن يكونوا ملمين بقواعد وفنون اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، فإنَّ المذيعين عادةً ما يقومون بأنفسهم بتصحيح نشرات الأخبار التي لا تمر على هؤلاء المصححين. وهي بالطبع تمثل معظم نشرات الإذاعة اليومية فيما عدا النشرتين المشار إليهما آنفاً. وقد درجت الإذاعة على إقامة دوراتٍ تدريبية متباعدة لتجويد اللغة العربية للعاملين في حقلي الأخبار والبرامج.

وكان يقوم بالتدريس في هذه الدورات بعض الإذاعيين القدامى والمهتمين باللغة العربية مثل: **(يس حسن معني، أحمد قباني، محمد خوجلي صالحين، محمد صالح فهمي، وفراج الطيب)** [144]. وبذلك

---

144 جميع هؤلاء الأساتذة من أبناء الإذاعة الذين تعاملوا معها طوال سنوات عمرهم، وانخرطوا إما في سلك العمل الرسمي بها أو سلك التعاون معها لسنواتٍ طويلة.

ظلت اللغة العربية تتطور يوماً بعد يوم في إذاعة أم درمان من حيث الكم والكيف. وظلّ السودانيون أكثر التصاقاً بالراديو الذي أعطاهم جرعاتٍ كبيرةً منها، مما ساعد في انتشارها عبر بقاع السودان المختلفة فتراجعت كثيرٌ من اللهجات المحلية. وقد ظهرت في عقد الستينيات أصواتٌ نادت باعتماد اللهجات المحلية بدلاً عن اللغة الفصحى بدعوى أن الفصحى لا تُعبر عن وجدان السودانيين.

وعند استقراء ذلك الطرح الذي واكب استفحال الصراعات السياسية والفكرية بعد أن استتب الأمر لأبناء الوطن اتهمت الإذاعة المروجين لتلك النداءات بأنهم قد تأثروا بأطروحات الدكتور لويس عوض والأستاذ سلامة موسى [145].

وكان مجرد الاتهام بذلك التعاطف كفيلاً بحسم الأمر لصالح الطرف المناوئ نظراً لحساسية المثقف السوداني تجاه النقد والاتهام بالموالاة لغير الوطنيين في طرح أمور الوطن. وصمدت الإذاعة تجاه كل الدعوات التي رفضت تبنيها للغة الفصحى واعتبرتها أصواتاً هدامةً تأثرت باليسار العالمي الذي مدَّ ظلاله على الحركات الماركسية التي ازدهرت في تلك الآونة في عدد من الدول العربية، وسعت لطمس الهوية الإسلامية لكل المجتمعات العربية. كما اعتبرتها صدىً لنداءات الاستعمار الذي رفض مسبقاً أطروحات وحدة السودان.

---

145 أنظر عوض إبراهيم عوض، مرجع سابق، صفحة 92.

وأعلنت الإذاعة في أحد تعليقاتها الشهيرة أن الاستعمار لم يُرِدْ للسودان توحداً ولا تقدماً ولا انصهاراً في بوتقةِ الأمة الواحدة. وبذلك فإنَّ هدف تلك الأصوات حسب تعليق الإذاعة لم يكن تطوير اللهجات المحلية كما ادَّعى أصحابُها بقدر ما كان محاولةً لتفتيت الكيان القومي القائم على أساس الإرث والدين، والذي أرادت الإذاعة أن توحده على لسان غالبية السكان.

ووسط تلك الصراعات المذهبية والفكرية استطاعت الإذاعة أن تغرس مفردات اللغة العربية في كثيرٍ من بقاع السودان حتى تلك التي تمثل العُجمة فيها نسباً أكبر من الأواسط. وبذلك أسهمت في تعليم كثيرٍ من أبناء القبائل أصول اللغة العربية التي أصبحت لغة الشارع بفضل تلك الجهود.

وكانت النتيجةُ أن استطاع جميعُ أبناء السودان، رغم تباين ألسنتهم وعدم التوسع في التعليم أن يتوحدوا خلف هذه اللغة. وبالطبع لا نستطيع أن نجزم على وجه الدقة بحجم انحسار اللهجات المحلية مقابل انتشار اللغة العربية في السودان، ولكننا نستطيع أن نؤكد تنامي حجم المتحدثين بها خلال مسيرة الإذاعة الطويلة، وذلك بفضل البرامج التي جذبت بها ألوف المستمعين للتحلق حولها طوال ساعات الإرسال.

اللغات المحلية واللهجات في الإذاعة

وسط هذا التحدي انتبهت الإذاعةُ لخطورة موقفها إذا ما تجاهلت اللهجات واللغات المحلية الأخرى. ولذلك قررت في عام 1959م أن تفرد لها حيزاً معتبراً في البرامج بعد أن تأكد لها نجاح دورها في ترسيخ اللغة العربية بين السودانيين وتوحيد الكيان الوطني من خلالها. وظلَّ الهدفُ نفسَ الهدف وهو بناءُ الكيان القومي القائم على وحدة الأعراق إلى جانب احترام موروثاتها الحضارية والثقافية بل وحتى الدينية في هذا الوطن الذي دَانَ غالبيةُ أبنائه بالإسلام. وأعطت الإذاعة فرصاً أكبر للغات واللهجات المحلية عندما أصبح أحدُ أهدافها الرئيسية أن تقومَ بتوصيل الرسالة الإعلامية لكل القطاعات السكانية.

وقدمت طوال عقد الستينات برامج باللهجاتِ واللغات المحلية لجنوب السودان من خلال إذاعة ركن الجنوب [146]، وقد استخدمت فيها لغات: **(الزاندي، والدينكا، والنوير، والشُلك، وعربي جوبا)**[147].

---

[146] إذاعة ركن الجنوب نشأت خصيصاً لخدمة مديريات الجنوب الثلاثة آنذاك وهي أعالي النيل، وبحر الغزال، والاستوائية. وكانت تُقدم برامجها بالعربية المكسرة أو ما يُسمى بعربي جوبا، وأحياناً باللغة الإنجليزية الممزوجة ببعض اللغات المستخدمة في جنوب السودان.

[147] عربي جوبا هو إحدى اللهجات العربية المستخدمة في جنوب السودان، وقد سُميت كذلك نسبةً إلى مدينة جوبا إحدى أكبر مدن الجنوب السوداني التي تسكنها مجموعةٌ من القبائل النيلية ذات اللغات المحلية خصوصاً قبيلة الدينكا ذات الانتشار الواسع في تلك المنطقة.

قدمت الإذاعة بتلك اللغات برامج تعريفية عن جنوب السودان وخصوصية تركيبته الإثنية والثقافية. كما أدخلت من خلال تلك البرامج العديد من المواد الترفيهية والغنائية التي استقتها من تراث تلك القبائل وبعض البرامج التعليمية التي قصدت بها محوَ آثار التخلف الذي فرضه قانون المناطق المقفولة لعام 1921م والذي فرض على أبناء جنوب السودان وبعض مناطق جبال النوبة والأنقسنا ودار فور الابتعاد تماماً عن بقية مدن الشمال.

كما قدمت خدماتٍ يومية تمثلت في نشرات الأخبار والبرامج التعليمية. وبالمثل اهتمت الإذاعة بلغات القبائل القاطنة في غرب وأواسط وشرق وشمال السودان. حيث ظهرت هذه اللغات بشكلٍ أكبر من خلال برنامج **(ربوع السودان)** وهو برنامجٌ غنائي استمرَّ لأكثرَ من خمسةٍ وثلاثين عاماً لم يتوقف خلالها في أي دورة. وقد أسهم في إنجاحه الأستاذ **(علي الحسن مالك)** وأعقبه عدد من الإذاعيين منهم **(أحمد العوض الحسن، ومحمد حسن محمد علي)**.

وهناك برنامج **(مع التراث)**، الذي أخرجته **(ماجوري ألينانا)**. ثم جاء بعد ذلك برنامجٌ بعنوان: **(برنامج اللهجات)** كان يذاع من خلال موجات البرنامج العام تحت إشراف **(السر السيد)**. وهو من البرامج المستقلة ذات الطابع السياسي. وقد بدأ في عام 1988م حينما بدأت قواتُ الجيش الشعبي لتحرير السودان بقيادة العقيد جون قرنق

تنحى منحىً جديداً بعد انخراط **(يوسف كوة)** و**(محمد هارون كافي)** ونفرٍ آخرين من أبناء جبال النوبة في صفوفها [148]. في تلك الفترة بدأ فرع التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة تقديم برامج متخصصة بلغات: **(النيماج، والماندي، والغلفان، والدلنج)**، وهي من لغات النوبة المستخدمة على نطاقٍ واسع في منطقة جنوب كردفان. وكانت هذه البرامج تُبَثُّ على موجات إذاعة الوحدة الوطنية التي أشرف عليها **(جمعة خواجة)** أحدُ أبناء جبال النوبة العاملين بالقوات المسلحة.

بعد ذلك تحولت هذه البرامج من فرع التوجيه المعنوي لِتُصبحَ جزءاً من خدمات الإذاعة السودانية بعد أن أُسندَ أمرُ الإشرافِ عليها في مطلع التسعينيات للمخرج **(طارق البحر)**. وبدأت الإذاعة تقدم وفقاً لذلك رسائل ذات طابع سياسي ودعوي إلى مختلف أبناء القبائل السودانية. ومن خلال هذه البرامج وغيرها وجدت بعضُ اللغات حظاً وافراً في الإذاعة، وهي لغات: **(الشُلُكْ، والنوير، والدينكا، والمحس، والأنقسنا، والفور، واللاتوكا، والزغاوة)**.

ومن خلال هذا الاستقراء أصبحت قضية ربط البيئات السودانية ببعضها إحدى المهام التي شغلت بال الإذاعة في معظم الأوقات سواءً في ظروف السلم أو ظروف الحرب التي استشرت بين أبناء السودان منذُ اندلاع تمرد توريت الأول في عام 1955م واستمرت

---

148 بدأ هذه الخدمة فرع التوجيه المعنوي بالقيادة العامة للقوات المسلحة.

تراوح مكانها من فترةٍ إلى أخرى حسبما تمليه ظروف السياسة والعلاقة بين النظام الحاكم وقيادات الجنوب. ظلّ هدفُ الإذاعة في كل المراحل هو عكس التراث الثقافي لأبناء السودان بسحناتهم المختلفة، مع الإبقاء قدر الإمكان على رابطة الوحدة والتماسك.

ومن خلال ذلك قدمت الإذاعة في منتصف الستينيات ولسنواتٍ عديدة لاحقة برنامجاً خاصاً بعنوان **(رسائل المديريات)** [149] كانت تُعِدُّه مكاتبُ الإعلام الإقليمية المنتشرة في عدد من مدن السودان. حيثُ تُرسلُ الأشرطة إلى قسم المتابعة في الإذاعة حاويةً مواد ثقافية من الإقليم الذي أُعدت فيه. ومن ثم يتم تقديمها للمستمع دون تدخلٍ من الإذاعة الأم في معظم الأحيان.

وكان التنافس محتدماً بين مقدمي هذه البرامج التي تحمل طابعاً خاصاً هو طابع الإقليم الذي جاءت منه. كانت أشهر تلك الرسائل رسالة كردفان التي يعدها من مكاتب الإعلام بمدينة الأبيض الأستاذ **(عوض محمداني)**، تليها رسالة عطبرة التي كان يقدمها **(عبد المنعم الكتيابي)** ورسالة دارفور التي يعدها مكتب الإعلام بمدينة الفاشر. ومن خلال تلك الرسائل وجدت العديد من اللهجات المحلية فرصاً في الإذاعة لا سيما اللهجات التي استخدمت في فنون الغناء

---

149 كانت رسائل المديريات هي النافذة الوحيدة لتراث وفنون الجماعات العرقية المختلفة، حيث كان لكل مديرية يومٌ محدد في خارطة البرامج الإذاعية.

والـدوبيت والهسـيس والجـرداق والمشـكار وغيرهـا مـن فنـون التعبيـر الشفاهي. وظلت هذه الفنون تُقدمُ بأسلوبٍ غنائي أو شعري منظوم في قوالب قصصية مُسترسلة ذات لحن رتيب في معظم الأحيان. وقد اشتُهرت بها العديد من بقاع السودان خصوصاً الأقاليم الغربية، التي جاءت معظم فنونها على النمط الكلاسيكي للبادية العربية.

ولما كان معظم الغناء الشعبي لدى قبائل السودان ينزع إلى الفخر والرثاء والهجاء والمديح شأنه شأن فنون البادية العربية في عصور ما قبل الإسلام [150] فقد جعلت رسائل المديريات منه أدباً شعبياً تذوقته مختلف قطاعات المستمعين حتى أولئك الذين لم يتشربوا بالثقافة العربية. وترسخت من خلاله العديدُ من اللهجات العربية المستخدمة في تلك المناطق كالجزيرة وشمال غرب السودان، حيث يكثر استخدامُ لهجات البطانة والشكرية والشايقية والبقارة والحَمَر ببطونهم المختلفة.

وفي أول استفتاء على رئاسة الجمهورية بالسودان في عام 1973م اعتمدت الإذاعة عدداً من اللهجات واللغات المحلية لبث الدعاية الانتخابية. فظهرت من خلال تلك البرامج لغات: 1/ الفور: دارفور، 2/ الداجو: دارفور، 3/ المساليت: دارفور، 4/ الزغاوة: دارفور، 5/ الغُلفان: كردفان، 6/ النوبة: كردفان، 7/ الهدندوة: شرق

---

150 أنظر عبد الله عبد الرحمن الضرير، مرجع سابق، صفحة 11.

السـودان، 8/ البنـي عـامر: شـرق السـودان، 9/ المحـس: شـمال السـودان، 10/ والدنقلاويـة: شـمال السـودان [151]. وأثنـاء فتـرة الحكومـة الانتقالية التـي أعقبت قيام الانتفاضـة الشـعبية فـي السـادس من نيسـان أبريل عام 1985م كانت الإذاعة مشغولةً بالترتيب للعهد الجديد الذي سيعقب الفترة الانتقاليـة. وكـان التركيـز علـى برامج الدعايـة الانتخابيـة للمرحلة الديموقراطية القادمـة أكثر من التركيز علـى مسألة اللغات أو اللهجات. حيثُ لم تظهر برامج تهتم بهذا الأمر إلا في أضيق نطاق.

ولكـن شـهدت تلـك الفتـرة نشـاطاً فنيـاً وثقافيـاً مكثفـاً مـن خـلال النتـاج الـذي ظلَّ حبيسـاً طـوال فتـرة حكـم مـايو، وقـد حمـل بـدوره شـكلاً جديداً من الرؤى السياسية التي ظهرت من خلالها الرؤى الثقافية لأبناء القبـائل مـن خـلال لهجـاتهم ولغـاتهم المحليـة. بعـد ذلـك حـدثت بعـض التطـورات العسـكرية والسياسـية فـي الـبلاد أدت إلـى الاهتمـام باللغـات المحليـة بشـكلٍ أكبـر. حيـث عـادت لخارطـة البـرامج الإذاعيـة عنـدما سقطت مدن الكرمك وقيسـان وتوريت فـي أيدي قوات الجيش الشـعبي لتحرير السودان بقيادة جون قرنق.

واستحدثت الإذاعة بعض البرامج الخاصـة لمخاطبـة مستمعيها فـي الجنـوب والجنـوب الشـرقي. فتعاملـت مـرةً أخـرى مـع بعـض اللغـات ذات الوزن الأكبر من حيثُ البُعدُ الثقافي وعدد المتحدثين ومنها: **(لغة**

---

[151] هيكل البرامج للإذاعة السودانية، مايو–ديسمبر 1973م.

الدينكا، ولغة النوير، ولغة الشلك، ولغة الزاندي). وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر حُزيران يونيو عام 1989م تسلمت السلطة في السودان حكومةٌ عسكرية جديدة فبدأت مرحلة أخرى من التعامل مع قضية الحرب الدائرة في جنوب السودان. واستحدثت الإذاعة نمطاً جديداً من البرامج التي وجهتها للمستمعين في البقاع النائية من القُطر. وعادت بذلك العديد من اللغات واللهجات إلى البرمجة الإذاعية. ففي بداية تلك الفترة قدمت الإذاعة باللغات المحلية واللهجات برنامجاً يومياً يحمل سياسة الحكومة الجديدة القائمة على تبني الشريعة الإسلامية من خلال الحكم الفيدرالي Federation. وكان هذا البرنامج يُذاع في الفترة الصباحية خلال ساعات البث الرئيسي للبرنامج العام.

وظهرت من خلاله لأول مرة وبشكلٍ مكثف المصطلحات الدينية التي تعبر عن التوجه الإسلامي للنظام الجديد. وفي هذه المرحلة فقط عرفَ أبناء السودان أنَّ تلك المصطلحات شأنها شأن بقية اللغات المتأثرة بالثقافة الإسلامية، مصطلحاتٌ مشتركة بين كل اللهجات واللغات المستخدمة في السودان، لأن الأصل الذي نبعت منه يُعتبرُ واحداً، وهو اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

وفي هذه المرحلة انخرط عدد من شباب القبائل في سلك العمل الإذاعي ليقوموا بتقديم البرامج بأنفسهم. ولم تقتصر هذه الخدمة على موجات البرنامج العام بل تخطتها إلى موجات إذاعة الوحدة

الوطنيـة التـي كانـت تابعـةً حتـى ذلـك الوقـت لفـرع التوجيـه المعنـوي بالقيادة العامـة للقوات المسلحة. وظلت الإذاعـة تستخدم تلك اللغـات المحلية واللهجات جنباً إلى جنب مع اللغة العربية في كثيرٍ من برامج الخدمات الخاصـة. وأكثر الأوقات التـي استخدمت فيها الإذاعـة هذه اللغات عندما أرادت الدولة مخاطبة قطاعاتٍ من المواطنين في البقاع النائية التي يغلب فيها استخدامُ اللغات المحلية.

وفي السنوات الأخيرة تعددت الخدمات الإذاعية ببقاع السودان المختلفة بعد أن تحولت الأقاليم إلى ولايات وأصبح لكل ولاية إذاعتها أو إذاعاتها الموزعـة فـي عدد مـن المـدن المهمـة. وظهـر دورٌ أكبـر للهجات المحلية من خلال العديد من برامج تلك الإذاعات التي اتخذت من اللغة العربية لغةً رسميةً لها.

أقرت قوانينُ إنشاء هذه الإذاعات أن يكونَ هناك تعاونٌ بينها وبين إذاعة أم درمان في مجال تبادل المواد الإذاعية خصوصاً البرامج ذات السمة الخاصـة بأبنـاء تلك المنـاطق، والتـي حملت بدورها عدداً آخر من اللهجات واللغات المحلية إلى إذاعة أم درمان.

نخلـص مـن كـل هـذا السـرد إلـى أنَّ الإذاعـة قـد لعبـت دوراً مزدوجـاً فـي خلـق توليفـة قوميـةٍ متجانسـة مـن خـلال توحيـد اللسـان السـوداني فـي الوقـت الـذي أرضـت فيـه أبنـاء هـذه الأعـراق المختلفـة

باحترام موروثاتهم وعطائهم الفني من خلال لغة الخطاب الإنساني ونشر النتاج الثقافي.

صيانة الذوق العام

لقد أقرَّت إذاعة أم درمان ضمن سياستها وأهدافها التي رُسمت منذ البداية أن تسعى إلى صيانة الذوق العام لإنسان السودان، الذي تنازعته في سنوات الهيمنة الاستعمارية شتى أساليب الاستمالة، وعصفت بتوجهاته المعرفية أرتال الثقافات الدخيلة [152].

وبما أنَّ ولاء الإذاعة قبل الاستقلال قد كان للسياسة البريطانية التي فرضتها الإدارةُ الاستعمارية بحكم أنها السياسة المفروضة في جميع المستعمرات، فقد نحت الإذاعةُ منحىً مغايراً بعد الاستقلال من أجل صيانة الذوق العام للإنسان السوداني. حيثُ درجت في تلك المرحلة على ترسيخ الرؤية الوطنية التي اتسقت مع مناهج التعليم في المراحل الدراسية المختلفة وأدوات الثقافة المقروءة والمسموعة.

وقد آلت الإذاعةُ على نفسها عندئذٍ أن تغرسَ في نفوس الوطنيين الرؤيةَ الوطنيةَ الخالصة القائمة على أساس الثقافةِ السودانيةِ الغالبة، وأن تتعهدها بالرعاية حتى تنتشر بين أبناء المحافظات التي

---

152 أنظر التقرير الخاص بإنشاء الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون.

لعبت القبليةُ فيها دوراً واضحاً في عُجمةِ اللسان. وكان القرارُ الذي اتخذته الإذاعة هو أن تكون ثقافة الوسط التي هي الثقافة الغالبة في السودان هي محور البرمجة الإذاعية. ورغم أنَّ هذا الأمر قد أثار جدلاً واسعاً بين ممثلي القبائل وقادة الفكر السياسي والثقافي من أبناء بعض الأقاليم السودانية ذات السحنات غير العربية في تلك المرحلة إلا أنه قد تغلب في نهاية الأمر لأسبابٍ عديدة نُجملها فيما يلي:

1/ إنَّ ثقافة الوسط هي ثقافة مدينة أم دُرمان التي تلاقحت فيها موروثات أبناء الشرق والغرب والشمال والجنوب في قالب الثقافة العربية الإسلامية التي رسختها دولة المهدية 1885-1898م التي اعتبرت أم درمان عاصمتها الوطنية. وأم درمان تعتبر الجزء الأكثر حيويةً بين مدن العاصمة المثلثة [153] من حيث النهضة الفنية والأدبية والرياضية، ولذلك سرى عليها اسم العاصمة الوطنية رغماً عن وجود الخرطوم كعاصمة قومية للبلاد.

2/ ظلَّ الوسط الذي تمثل أم درمان قطب الرحى فيه يحمل مشاعل الثقافة لكل أبناء السودان، نسبةً لما توفر له من فرص التعليم الواسعة

---

153 لمزيدٍ من المعلومات حول تكوين العاصمة المثلثة أنظر محمد إبراهيم أبوسليم، (1971م)، الخرطوم، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، صفحات 133-177.

والمعرفة المتنوعة.

3/ إنَّ الثقافات السودانية متعددة المشارب ومتشعبة السحنات، ولا يسهلُ على أحدٍ بلورتها من خلال قناةٍ إعلامية واحدة إلا بالتوفيق بينها بالشكل الذي يجعل منها مادةً إعلاميةً سهلة الإعداد والتقديم. وكان ذلك الرأي قد أقنع معظم أبناء السودان الذين ارتضوا ثقافة الوسط التي أصبحت بفضل الإذاعة ثقافة السودان كُلِه.

كان أكثر ما لجأت إليه الإذاعةُ في سعيها لتوحيد المزاج السوداني هو فن الغناء. حيثُ بدأت منذُ الوهلة الأولى بالتركيز على غناء أم درمان الذي ظلَّ على مَرِّ السنواتْ متفرداً ولم تضارعها فيه أيُّ مدينةٍ أخرى من مدن السودان حتى الخرطوم العاصمة. ونعني بغناء أم درمان ما اصطُلِح عليه بغناءِ الحقيبة [154] والذي تطور لاحقاً على أيدي العديد من المطربين الذين كان على رأسهم الفنان (**إبراهيم الكاشف**) الذي أشرنا إلى أنه أدخل الأوركسترا الموسيقية لأول مرة بالسودان فظهر ما سُمي بالغناء الحديث.

وجاءت كوكبة الفنانين الرواد وعلى رأسهم أحمد المصطفى والتاج مصطفى وعثمان حسين وعبد الحميد يوسف وعبد العزيز محمد

---

154 أنظر صفحات 140-144.

داؤود وعائشة الفلاتية ومُنى الخير ورمضان حسن والخير عثمان وغيرهم ليسيروا على نفس النهج الأمدرماني في الغناء. وكما سبق فإنَّ غناء أم درمان قد وجد مرتعاً خصيباً في برامج الإذاعة من خلال برنامج الحقيبة الذي قدمه الإذاعي السابق والدبلوماسي **(صلاح أحمد محمد صالح)** والذي استمر في تقديم هذا النمط الغنائي لسنوات طويلة. وقد تواصل في المراحل اللاحقة عندما أُسند تقديمه للأستاذ **(علي شمو)**، ثم ظهر الأستاذ **(أحمد الزبير)** الذي اشتهر من خلال برنامجه الأسبوعي **(أشكال وألوان)**.

ورغم أن غناء أم درمان الذي يُسمى بغناء الحقيبة قد نشأ على يد المطرب **(محمد ود الفكي)** الذي جاء من بلدة **(كبوشية)** في شمال السودان، إلا أنَّ هذا النمط الذي يغنيه لم يزدهر في الشمال ولا حتى في منطقة كبوشية التي جاء منها، وإنما ازدهر في أم درمان التي تبلورت فيها ثقافات السودان المختلفة.

وأصبح الجميع يستمعون لأغنياتِ الحقيبة من **(محمد أحمد سرور، وكرومة، والأمين برهان، وعبد الله الماحي، وإبراهيم عبد الجليل، وعمر البنا، والتوم عبد الجليل، وحسن بدير، وزنقار)**. كما صار شيئاً مألوفاً سماعُ تلك الأغنيات يومياً من إذاعة أم درمان التي أفردت مساحةً كبيرةً من وقت برامجها لذلك النمط الغنائي المميز، في حين لم تفرد إلا مساحةً محدودةً جداً للأنماط الأخرى التي تُغنى

باللغات المحلية واللهجات. وكان ذلك الأمرُ مقصوداً ومدروساً لأنَّ الإذاعة قد قصدت منه توحيد المزاج السوداني. كان التنافس على أشده بين مطربي السنوات الأولى من عمر الإذاعة في عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم. وقد خرجت العديد من الأعمال الغنائية التي فرضت نفسها على عالم الثقافة الذي بدأ ينشط بكثافة مع إرهاصات الاستقلال.

وبحكم ترديد الإذاعة المستمر لتلك الأغنيات أصبحت معلماً بارزاً لأسلوب تلك المرحلة من التعبير السياسي والوجداني. ورسخَ في أذهان الكثيرين أنَّ هذا هو الشكل الغنائي المقبول لدى الإذاعة، وبالتالي فهو الشكلُ المعترف به والذي ساد أرجاء السودان المختلفة. ومن خلال ذلك التحييد المدروس والمخطط له سُميَ ذلك النمط الثقافي بالثقافة القومية للسودان. ولم يستطع اللاحقون الفكاك من إساره من حيثُ القوالب والمضامين والمفردات.

قد يتهم البعضُ هذا الشكل من الثقافة بأنه وُصِفَ جوراً بالقومية وأنه مصنوعٌ أو مفروضٌ على أبناء القبائل الأخرى في غرب وجنوب وشرق وشمال السودان.

ورغم أننا لا نريدُ أن ننفي هذا الاتهام الذي قد لا يخلوا من بعضِ الواقعية إلا أننا نُقرُ أنه لم يكن منه بُدٌّ، حيثُ إنه كان الخيار الأوحد لتحقيق الهدف الأسمى وهو بلورة الكيان المتحد لأبناء السودان

في تلك الحقبة الحرجة والحساسة جداً من مراحل بناء الأمة السودانية. وتبقى النتيجة أنَّ أسلوب التعبير الأمدرماني خصوصاً في مجال الغناء، والذي لم تعرفه الأقاليمُ المختلفة إلا من خلال الإذاعة ق شجَّع كثيراً من المبدعين ليترسموا خطاهُ.

وفتحت الإذاعةُ أبوابها لكل مَنْ جادت قرائحهم الأدَبَيْة والفنيةُ بعطاء جميل. وظهرت وفقاً لذلك العديد من الأعمال الفنية والأدبية التي أثرت ساحة العطاء بمفرداتٍ إضافية أسهمت بدورها في إثراء وتحوير الحس القومي لإنسان السودان.

قيادة الرأي العام

إنَّ مفهوم الرأي العام مفهومٌ هُلاميّ لا يمكن قبوله على علاته أو التسليم به بشكلٍ مُقنع في ظلِّ تقلبات الرأي الكثيرة وتباين الرؤى الفردية لدى أبناء المجتمعات المختلفة لاسيما السياسية منها، والتي غالباً ما تؤدي إلى تقلباتٍ فكرية وتقلباتٍ في المسار الثقافي لكل بلد تختلف فيه الرؤية من شريحةٍ إلى أخرى. و

ذلك لأنَّ عبارة الرأي العام لا تخلو من عُموميةٍ فضفاضة يصعب معها التحديد والجزم. ولكنها في إطار المفهومِ السياسي ظلتْ تُستخدمُ للتعبيرِ عن رأي أغلبية السكان أو الجماعات البشرية في أمرٍ من الأمور. وهذا التفسير بالطبع لا يسهل قبوله بهذا الشكل أو قياسه

بدقـة مـن خـلال المقـاييس المتاحـة لقيـاس الـرأي، إلا أن معظـم المجتمعات قد تعارفت عليه بوصفه قائماً على مبادئ عامة اعتُبِرَتْ في مُجملها موقف الأكثرية تجاه الأمر المطروح. واتباع هذه المواقف أو العزوف عنها هو الذي اصطُلِحَ عليهِ بالرأي العام.

وإذا أخذنا بهذا المدلول رغماً عن تحفظاتنا على بعضِ جوانبه نجد أنَّ هموم السياسة في السودان قد تمرحلت عبر الحقب المتعاقبة وفقاً للظروفِ التي مرَّ بها الوطن. وقد أثرت تلك الظروف في بلورة الرأي العام من مرحلةٍ إلى أخرى.

وباستقرائنا لذلك من خلال المفهوم الواسع الذي أثبتته المواقف السابقة للإذاعة في مختلف مراحلها نجد أنها قد أسهمت بالكثير في هذا الإطار. ففي جلسة مجلس الوزراء التي انعقدت في العاشر من شهر أيار مايو عام 1955م قال الزعيم اسماعيل الأزهري: «**لقد بدا واضحاً الآن أنَّ علينا أن نوجه طاقات الإعلام وعلى رأسها الإذاعة لترتيب المرحلة القادمة. ولعلكم ترون خطورة هذه القنوات في قيادة وتوجيه الرأي العام في بلادنا. وإذا لم نحسب لهذا الشأن ألف حساب من الآن فسوف ينفلت زمام الأمور من أيدينا**» [155].

كان واضحاً من تلك العبارة أنَّ الجهد الذي بذلته الإذاعة في الإطار القومي قد أقنعَ الساسة الوطنيين، مما جعلهم يحسبون حسابها

---

155 صحيفة الرأي العام اليومية عدد الخميس 11 مايو 1955م.

كإحدى أهم القنوات التي تؤطرُ الرأي العام وتضعه في المسار الذي يخدمُ قضية الوطن في مرحلة ما بعد الاستقلال. وهذا الدور الوطني مهم بمقاييس تلك المرحلة التي تكرست فيها كل الجهود لبناء الذات على أنقاض التمزق والتشتت الذي أفضت إليه سنواتُ الاستعمار. وقد تحدد ذلك الدور الجديد للإذاعة بعد خطابٍ بعثه مدير الاستعلامات والعمل السيد (**محمد عامر بشير فوراوي**) بعد تكليفٍ من وزير الاستعلامات [156] له بوضع موجهات العمل في إذاعة أم درمان، والتي صاغها في النقاط التالية:

- إذاعة أم درمان هي جسدٌ وطني خالص، وقناةٌ أساسية من قنوات التغيير الاجتماعي والثقافي، وعليها أن تراعي أنها تلعب دوراً أخطر من الساسة في قيادة الرأي العام.

- وفقاً لموجهات مؤتمر الخريجين السامية، فإنَّ قنوات الإعلام في ظل الاستقلال هي ملك الأمة السودانية التي تضعها حيث تريد، والأمة السودانية أرادت أن تضع هذه القنوات في موضعها القيادي وليس التبعي لسياساتٍ تُمْلَى عليها من خارج الحدود.

---

156 وزارة الاستعلامات هو الاسم القديم لوزارة الثقافة والإعلام.

● إنَّ الكلمة التي تخرج من الإذاعة تلامس القلوب قبل الآذان، ولذا لا بد من وزنها بميزان الذهب قبل أن تخرج من الميكروفون.

● إنَّ الجيل الجديد الذي نما في ظل المعارك الوطنية، وتنسم عبير الحرية أخيراً، عليه أن يصون معتقداته وفكره الحر من خلال أجهزته الثقافية والإعلامية المختلفة. والإذاعة التي هي أخطر هذه الأجهزة على الإطلاق يجب أن تكون في الصدارة، لتخطط للغد الجديد، وترسم طريق الأجيال القادمة.

وبالفعل لعبت الإذاعة ذلك الدور الذي فرضته عليها طبيعتها كوعاءٍ أوحد استطاعَ أن يخلق توازناً سياسياً وقومياً وفكرياً بين أبناء السودان. وتمكنت من قيادة الرأي العام في مراحل عديدة. حيثُ كانت في فترة الغليان السياسي والوطني الذي أعقب نهاية الحرب العالمية الثانية 1939-1945م تخضع لإرادةٍ وطنيةٍ عامة لم يشوشها الحس الفردي ولا التوجه الآيديولوجي الذي أملاه ظهور اتجاهاتٍ فكرية وسياسية جديدة.

وظلت رسالتها في تلك المرحلة هي بلورةُ الموقف الوطني الموحد ضدَّ الاستعمار. ثم بعد الاستقلال ورغماً عن تضارب مواقف الحكومات التي مرت على السودان بحكم الولاءات الطائفية والحزبية

التي ظهرت في بدايات عام 1945م. إلا أنها ظلت منحازةً إلى مصلحة الوطن رغماً عن مجاراتها لتلك السياسات ظاهرياً. وعلى سبيل المثال ظلّ موقف السودان من مصر وإثيوبيا وبقية دول الجوار متأرجحاً بين المودة والجفوة، والوئام والخصام، والتواصل والقطيعة.

إلا أنَّ الإذاعة ظلت على الدوام تنتهج أسلوباً أقرب إلى الوفاق والإبقاء على شعرة معاوية مع الجيران. وقد ظهر ذلك من خلال احترام الإذاعة لأبناء تلك الدول وتقديم مواد تصب في إطار استقطابهم أكثر من المواد الداعية للخصومةِ معهم.

إلا أنَّ ذلك قد انفرط في عام 1954م عندما اشتدت المناوشات بين مصر والسودان حول عدد من الأمور السياسية. وكان النزاع قد اشتد في مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد في أبريل عام 1955م [157]. حيث كان السودان مشاركاً في ذلك المؤتمر بوفد ترأسه السيد إسماعيل الأزهري رئيسُ الوزراء لأول حكومةٍ وطنيةٍ هي الحكومة الانتقالية التي أعقبت آخر الحكومات البريطانية في السودان.

ولم تكن القوات البريطانية قد أكملت انسحابها بعد من أرض السودان التي ظلت مستعمرةً منذ عام 1898م. ولما لم يكن السودان

---

157 انعقد هذا المؤتمر التأسيسي لحركة عدم الانحياز في مدينة باندونق بأندونيسيا واستضافه الرئيس الإندونيسي أحمد سوكارنو في أبريل 1955م. وقد قام المؤتمر بمبادرة من الرؤساء: اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو، والهندي جواهر لال نهرو، والمصري جمال عبد الناصر، والإندونيسي سوكارنو.

قد أعلن استقلاله الكامل بعد فقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر من هيئة المؤتمر أن يكون عَلَمُ مصر هو المرفوع أمام وفدي مصر والسودان، بدعوى أن مصر كانت شريكةً لبريطانيا في حكم السودان.

وغضب الزعيم إسماعيل الأزهري الذي كان قد انتخب لرئاسة الحكومة الانتقالية في انتخابات ديموقراطية حرة، وقال لسكرتارية المؤتمر رداً على طلب الرئيس جمال عبد الناصر: ((**إننا نرفض جملةً وتفصيلاً هذا الاقتراح الذي تقدم به الرئيس عبد الناصر، وإذا لم يكن لدينا عَلَمٌ حتى الآن فإنني أطالب سكرتارية المؤتمر أن ترفع أمام وفدنا قطعةً قماشٍ بيضاء بدلاً من علم مصر**)).

وغضب الرئيس عبد الناصر أشد الغضب من موقف الأزهري. وبعد انقضاء المؤتمر ظلَّ صدى ذلك الحادث يعتمل في نفوس السودانيين الذين اعتبروه إهانةً لهم، وأصبحَ سبباً لتأجيج نيران الصراع بينهم وبين المصريين. وظهرت المناوشات والسباب عبر الصحف والإذاعة في كلا البلدين. حيث كان الصاغ صلاح سالم [158] يشن حملةً عدائيةً شرسة على كل الأصوات السودانية المنتقدة لمواقف الحكومة المصرية والرئيس عبد الناصر من خلال إذاعة ركن السودان بالقاهرة التي أُنشئت في الخامس عشر من كانون أول ديسمبر عام

158 الصاغ صلاح سالم هو وزير الإرشاد القومي في حكومة جمال عبد الناصر الأولى، وهو المسؤول عن شئون السودان داخل الحكومة المصرية.

1948م لخدمة العلاقات الأخوية بين البلدين. ألهبت تلك الشرارة مشاعر القائمين بأمر إذاعة أم درمان فتصدى لها الأستاذ الإذاعي أبوعاقلة يوسف من خلالِ تعليقٍ أسبوعيٍ صارخ أسماهُ (**حديث الأربعاء**). وكان يسرد في هذا الحديث كثيراً من الحقائق في مواجهة صلاح سالم ويكيلُ له سيلاً من الانتقادات والشتائم التي لم يملك صلاح سالم إزاءها إلا أن يرد بما هو أقذع وأقسى، مما أجج تلك الحملة المستعرة عبر الأثير.

وكان حديث الأربعاء من أخطر الأحاديث السياسية التي قدمتها إذاعة أم درمان طوال سنواتِ عمرها التي فاقت الستين. حيثُ أسهمَ في إزكاء الحس الوطني لدى قطاعات المستمعين. وأدى إلى وضع لبناتٍ قوية للاستقلال بحكم أنه دعا كثيراً للانعتاق من ربقة الإرث الاستعماري الثقيل مع الارتباط مع مصر بدون تبعية أو خنوع. وهو بذلك إنما كان يرد على تهديدات رئيس الوزراء المصري صدقي باشا التي أعلنها من داخل سرايا القصر الملكي قبل اندلاع ثورة تموز يوليو 1952م والتي نادى فيها باستعادة السيطرة وإكمال السيادة المصرية على السودان.

كان المستمعون في مصر والسودان يترقبون ذلك الحديث الذي يلتقطونه بأنفاس متلاحقة، مما زاد التوتر على جبهة الصراع السياسي بين البلدين. ولما كانت الإذاعة هي الداعية للوئام ورأبِ

صدوع الوطن بإيقاظها للضمير الحي بحكم دستورها الداعي للوفاق والوحدة وبناء الجسور مع الأشقاء، فقد غيَّرَ الأستاذ أبو عاقلة أسلوبه في نهاية المطاف.

وبعدَ أنْ كان جزءاً من تلك الحملة المستعرة بدأ في مخاطبة صوت العقل في الحكومتين المصرية والسودانية على السواء. وتبنى لهجةً مغايرة تماماً تضمنت الكثير من عبارات الدعوة للوئام والعمل على تحقيق مصلحة الشعبين وترميم جسور الوفاق والتكاتف بينهما. وما كان من الرئيس جمال عبد الناصر إلا أن أصدر قراراً بإبعاد الصاغ صلاح سالم الذي أدت مواقفُهُ إلى تأجيج تلك الحرب الكلامية على الأثير. وعلى الفور توقفت تلك الحملة الإذاعية وعاد الوئام بين البلدين.

استمرت إذاعة أم درمان في لعب دورها السياسي الذي انطلق هو الآخر من فلسفتها نحو توحيد الأمة السودانية والحفاظ على كيانها المتماسك. وتأكيداً لهذا الدور بدأت في نقل مداولات البرلمانات السودانية في مختلف مراحلها للمستمعين بشكل منتظم دون تحيز لأي كُتلةٍ سياسية من الكُتَلِ المتصارعة داخل البرلمان.

وكانت البداية هي نقل مداولات البرلمان الأول، الذي شهدت جلساته إعلان الاستقلال في أخريات عام 1955م. كان شكل الانتقال في بداية الأمر يتم عن طريق تلخيص الجلسات وإذاعتها للمستمع، ثم

تطور الأمر إلى نقل الميكروفون إلى داخل القاعات ونقل الجلسات حيةً على الهواء. ثم عندما ثبتَ أنَّ المداولات تأخذ وقتاً طويلاً في كثير من الأحيان تقرر تسجيلها على الأشرطة ثم إذاعتها في وقتٍ لاحق.

وفي هذه المرحلة بدأت عمليات المونتاج التي تمثلت في الحذف والإلغاء لبعض الفقرات قبلَ أن تأخذ طريقها إلى المستمع. كانت أكثر الفترات التي تمَّ فيها الحذف لمداولات البرلمان هي فترة مجلس الشعب الذي أقامته حكومة مايو 1969م.

كانت هناك بعض الملاحظات من وزير الثقافة الذي هو الناطق الرسمي باسم الدولة، والذي أصدر أوامره بعدم إذاعة بعض الفقرات من المداولات التي يرى أنها ضارة بسياسة الدولة. ولما جاء فترة الليبرالية الثالثة في أبريل 1986م تقرر عدم إذاعة مداولات البرلمان (الجمعية التأسيسية) والاكتفاء بالتلخيص الإخباري لما يدور في الجلسات لإذاعته من خلال نشرات الأخبار.

وحتى هذا الأمر ظل عُرضةً لتدخلات بعض وزراء الثقافة الذين تعاقبوا على الوزارة في تلك الحقبة بحكم التنافس الحزبي. ونفس الشيء حدث لمداولات المجلس الوطني الانتقالي الذي كونه الفريق عمر البشير، ثم المجلس الوطني الذي تمَّ انتخابُهُ في عام 1995م. حيث ظلت كثير من المداولات لا تجد طريقها للإذاعة التي تكتفي

بتلخيص ما يدور في المجلس وإذاعته حسب الأهمية وحسب سياسة الدولة من خلال الأخبار والبرامج السياسية المختلفة. وخلال مسيرتها الطويلة من أجل تدعيم الوحدة القومية بالسودان قدمت إذاعة أم درمان عدداً من البرامج ذات الطبيعة الخاصة أو المؤقتة، والتي قدمتها من حينٍ لآخر مثل:

(مع صناع القرار)، (من داخل البرلمان)، (أسبوع الحكم الإقليمي)، (على طريق التكامل)، (أيام الاستقلال)، (حملة اللقيط)، (نافذة على الشرق)، (الأمم المتحدة في أسبوع)، (مؤتمر إذاعي)، (نافذة على الدول الصديقة) [159] وغيرها من البرامج.

حفظ التراث القومي

كان عام 1957م أكثر الأعوام نشاطاً في أروقة الإذاعة بعد افتتاح مبانيها الرئيسية. وسرعان ما فتحت أبوابها لتسجيل كل ما يمكن أن يحفظ تراث السودان القومي المتمثل في الأدب والغناء، والموسيقى الشعبية وكل أشكال العطاء الإنساني.

وإذا كان حجم كل أمةٍ يُحَدَدُ بمدى إبداعها الثقافي، فإنَّ الأمة السودانية تُعتبرُ من أغنى الأمم الأفريقية والعربية بموروثاتها، بحكم

---

159 يقدم هذا البرنامج في المناسبات التي تحتفل بها الدول ذات التمثيل الدبلوماسي بالسودان مثل اليوم الوطني وغيره.

تكوينها المتفرد وموقعها المتاخم لمجاري الأنهار التي شهد المؤرخون بأن كل الحضارات قد نشأت على ضفافها. ومنذُ البداية تأكد للإذاعيين أنَّ مهمتهم في توثيق وحفظ التراث القومي للسودان ليست بالمهمة السهلة وإنما هي مهمةٌ شاقةٌ وعسيرة وفي غاية الخطورة، وذلك للأسباب التالية:

1/ تعدد الثقافات الوطنية حسب تعدد القبائل القاطنة في أرض السودان.

2/ تعدد اللغات واللهجات التي خرجت بها الأعمال الفنية والأدبية.

3/ إعتماد بعض الأنماط الغنائية على عنصر الاستعراض والرقص، مما يجعل الرسالة ناقصة إذا تمَّ توثيقها عن طريق التسجيل الصوتي.

4/ صعوبة تنقية الموروث الشعبي من بعض القيم التي يصعب بثها من خلال أجهزة الإعلام، وهي إما أن تكون ذات طابعٍ وثني أو أنها تخدش الحياء العام.

5/ بُعد المسافات الجغرافية للوطن المترامي الأطراف، مما يصعب معه جمع كل الموروث الثقافي لأبناء السودان.

6/ تخوف بعض أبناء القبائل من تسجيل تراثهم لأجهزة الاتصال الجماهيرية وذلك بسبب الجهل بطبيعة هذه الأجهزة.

لكل هذه الأسباب قررت الإذاعة انتقاء ما يتناسب مع طبيعتها وهدفها المعلن وهو بناء الأمة السودانية المتحدة دون الطَرْقِ على مَواجِعِ الجراحِ القديمة التي لا تقودُ إلا إلى التشرذم والتناحر القبلي. كما أنها توخت تقديم التراث الذي يتوافق مع طبيعة الإعلام المسموع. ومن ثمَّ قامت بتسجيل العديد من المواد الشعبية في فتراتٍ مختلفة.

ففي عام 1962م سجلت الإذاعة خمسةً وأربعين شريطاً من الحجم الكبير (س) [160] بمواد ثقافية وغنائية من غرب وأواسط السودان. حيث كانت البعثة الإذاعية التي رافقت رئيس المجلس العسكري الفريق **(إبراهيم عبود)** قد جلبت معها تلك التسجيلات لأُدباء ومُغنيين شعبيين لم يكن لهم دورٌ قبل ذلك في خارطة البرامج الإذاعية.

ودخلت مكتبة الإذاعة لأول مرة ألوانٌ جديدة من الفنون الشعبية تمثلت في: **(الجرداق، والجابودي، والكَرير، والهسيس،**

160 تتعامل الإذاعات مع أربعة أشكال من الأشرطة المغنطيسية تقسم حسب أحجامها. والنوع الأول هو الشريط الكبير مقاس 2500 قدم ويسمى شريط (س) وزمنه 60دقيقة. والحجم الثاني هو الشريط مقاس 1200 قدم ويسمى شريط (ن) وزمنه 30 دقيقة. والثالث هو الشريط مقاس 900 قدم ويسمى شريط (ر) وزمنه 20 دقيقة. أما الحجم الرابع فهو شريط مقاس 600 قدم ويسمى شريط (ص) وزمنه 15 دقيقة.

والحومبي، والدوباي، والطمبور على النمط الكردفاني) [161]. وفي عام 1973م سجلت بعثاتُ الإذاعة المتحركة في جنوب السودان بعد توقيع اتفاقية أديس أبابا للسلام، ستين شريطاً من مواد التراث الشعبي لجنوب السودان. وجاءت أغنياتُ الدينكا والشلك والباريا والنوير واللاتوكا لتدخل مكتبة الإذاعة وتضاف إلى الأعمال القليلة التي كانت تُذاع من خلال ركن الجنوب.

وقد فُتح الباب وقتها لإجراء التسجيلات الصوتية لمعظم مطربي الجنوب الذين تقاطروا نحو الخرطوم بعد تلك المرحلة حاملين معهم مختلف ألوان الفنون الغنائية الفردية والجماعية باللغات المختلفة.

وفي شهر آذار مارس عام 1976م أصدر رئيسُ الجمهورية قراراً بأن يحتفل السودان رسمياً بيوم اللاجئين الأفريقي [162]. وهدفت الحكومة من ذلك إلى عكس دور السودان في إيواء اللاجئين وإعطائهم الملاذ الآمن في تلك الظروف التي كانوا يقاسونها من وطأة اللجوء. وعلى ضوء ذلك كونت وزارة الداخلية بالاشتراك مع وزارة الثقافة

---

161 يختلف أسلوب الطمبور الكردفاني عن الطمبور المستخدم في شمال السودان في اعتماد الأول على أداء الحنجرة لبعض الأصوات الرتيبة. أما الطمبور المستخدم في الشمال فهو يعتمد على آلة الطمبور الموسيقية. ولتوضيح هذا الشكل أنظر جمعة جابر، (1987م)، الموسيقى السودانية تاريخ-تراث-هوية-نقد، شركة الفارابي للنشر والأدوات المكتبية المحدودة، الخرطوم صفحات 120-123.

162 صحيفة الأيام، عدد يوم الثلاثاء 3 مارس 1976م.

والإعلام بعثةً إعلاميةً طافت بمناطق اللاجئين المنتشرة في بقاع السودان المختلفة وسجلت معهم عدداً من البرامج. ومن ضمن تلك الأعمال سجل فريقُ الإذاعة عدداً من البرامج مع اللاجئين في معسكراتهم المنتشرة في شرق السودان بمناطق **(قلع النحل)** و**(المحرقات)** و**(تنقرار)** و**(حمدابيت)**. وهي المناطق التي عَسْكَرَتْ فيها مجموعاتٌ من اللاجئين الإرتريين والإثيوبيين.

وقد تم تسجيل العديد من أنماط التراث الشعبي السوداني الذي كانت تفتقر إليه الإذاعة آنذاك من تلك المناطق وأضيف إلى المكتبة الصوتية. ولم يتوقف جهد الإذاعة عند ذلك، بل ظلَّت تسجل باستمرار كل ما تجده من أنماط التراث السوداني لتذيعه في فتراتها المختلفة.

تأثير الإذاعة على المستمع السوداني

إنَّ الإذاعة التي أسهم التطورُ التقني في وصولها إلى كل بقاع السودان ظلت تتحملُ كثيراً من المسؤولية في إعادة تكوين إنسان السودان، وهو دورٌ ليس بالهين. وكان لزاماً عليها طوالَ الحقب أن تُرْضِيَ كل الأذواقِ على اختلافها وهو أمرٌ صعبُ المنال. ولذا كان لزاماً عليها أن تقوم بتنويع برامجها بغرض كسب أكبر قدرٍ من المستمعين إلى جانبها، خصوصاً بعد أن أصبحَ التنافسُ على الأثير محتدماً بظهورِ عددٍ من الإذاعات العالمية والمحلية. ولما كان المتلقي

يؤثرُ ويتأثر بما يُقدم إليه من خلال الراديو فقد أجرتْ إذاعة أم درمان العديدَ من الدراساتِ الميدانية والبحوث بغرض معرفة حجم الاستماع ومدى تأثيرها على المستمع.

وكانت البداية في عام 1971م بدافع الإيمان الراسخ لدى الإذاعة بأنَّ التخطيط الإعلامي الأمثل إنما يستند على الدراسة العلمية الدقيقة التي تستقيها من المتلقي. واستمرت بعد ذلك في إجراء هذه البحوث بصورةٍ دورية.

وفي كل الأحيان كانت نتائج الدراسات تختلف باختلاف الأنماط البشرية التي أجريت عليها والظروف المحيطة بها، بل والأماكن التي يعيشون فيها. إلا أنَّ القاسم المشترك بين هذه الدراسات قد ظلَّ على الدوام مؤكداً على تأثير الإذاعة على قطاعات المستمعين في بقاع السودان المختلفة.

كان تركيز جميع الدراسات على معرفة أسباب الاستماع للراديو، والأسباب التي تؤدي إلى عدم متابعة البرامج، وحجم الاستماع للمحطات المختلفة، والأوقات الأفضل للاستماع، وأحب البرامج بالنسبة للمتلقي، وأكثر أيام الأسبوع مُتابعةً، وآراء ومقترحات المستمعين من أجل تطوير العمل.

وتأتي أهمية المتلقي في أننا لا نستطيع أن نقدم له خدمة إذاعية مفيدة إلا بعد معرفة الظروف المحيطة به. حيثُ إنَّ هذه

الظروف هي وحدها التي تحدد شكل المادة المُقَدَمة والوقت الأنسب لإذاعتها [163].

نتائج دراسات الاستماع

أشارت نتائجُ معظم الدراسات التي أجرتها إدارة البحوث والإحصاء الإذاعي إلى أنَّ أكبر فئة تُتابع برامج إذاعة أم درمان هي فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين عاماً. والفئة الثانية هي فئة المستمعين الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعين. كما تأكد أنَّ غالبية المتلقين المواظبين على الاستماع هم من حملة الشهادات الثانوية، تليهم فئة خريجي المدارس المتوسطة، ثم الجامعيين، ثم خريجي الابتدائيات. ويأتي في آخر القائمة الأميون.

وقد تساوت تقريباً فئات الموظفين والطلبة في حجم المتابعة. تليهم ربات البيوت، ثم العمال، فالتجار، فالمعلمون، وأخيراً الذين لا عمل لهم. كما توصلت الدراسات إلى أنَّ أغلب المتابعين للبرامج كانوا من المتزوجين الذين يعيشون في إطار الأسرة. وذلك لأن الراديو حسب تعبيرهم يؤدي إلى استقرار أرباب الأسر داخل المنازل. وثبت أيضاً أنَّ الإذاعة هي الأكثر تأثيراً في المواطن، يليها التلفزيون، ثم

---

163 Head , Sydney W. and Christopher H. "Broadcasting in America": A Survey of Electronic Media, Boston (Mass): Houghton Miffin.

الصحيفة. وهذا شيء يتوافقُ مع طبيعة التكوين الديموغرافي للسودان. ولما كانت الإذاعة قد اعتمدت كثيراً على البرامج السياسية في خلق التغيير الاجتماعي المنشود فقد كان لزاماً على الباحثين أن يتعرفوا على حجم الاستماع لهذه البرامج. وكانت نسبة الاستماع حسب النتائج هي 26.36%.

في حين بلغت نسبة الذين لا يستمعون لهذه البرامج 63.74% من العدد الكلي للمستمعين الذين أُجريت عليهم الدراسات. ولدى تعميم نسبة الاستماع للبرامج السياسية بالنسبة للاستماع العام للبرامج وُجد أنَّ حوالي ثُلُثي المستمعين لا يستمعون للبرامج السياسية، وكان لزاماً أن تُعرف أسباب ذلك العزوف والتي اتضح من الدراسات أنها قد تركزت فيما يلي:

1/ 25% لمشغوليتهم.

2/ 8% لا يجدون فيها ما يُفيد.

3/ 8% لا يفهمون ما يُقال.

4/ 5% يكتفون بما يُقدم بالصحف والإذاعات الأجنبية.

5/ 4% ذكروا أنها برامج جافة ومكررة.

6/ 50% قالوا إنهم لا يعرفون سبباً محدداً لعدم استماعهم للبرامج السياسية.

أما بالنسبة لمواعيد النشرات الأخبارية بالإذاعة وملاءمتها للمستمع، فقد أجرت الإذاعة عدة استطلاعاتٍ في أوساط المستمعين لتقف على آرائهم في هذا الأمر، وقد اتضح من خلال تلك الاستطلاعات ما يلي:

- أجاب 95.71% من مستمعي نشرات الأخبار بأنَّ مواعيدها مناسبة.
- أجاب 1.07% من المستمعين بأنَّ مواعيدها غير مناسبة.
- أجاب 0.33% من المستمعين بأنه لا بد من تقديم أو تأخير مواعيد بعض النشرات.

أما عن تلقي الأخبار من المصادر المختلفة فقد كانت نتيجة الاستطلاع كما يلي:

- 88.79% من المستمعين تمثل الإذاعة السودانية مصدرهم الرئيسي للأخبار.
- 54.29% تمثل الصحف اليومية المصدر الرئيسي لهم لمعرفة الأخبار.
- 35.38% يمثل التلفزيون المصدر الرئيسي لهم لمعرفة الأخبار.

- 32.75% تمثل الإذاعات الأجنبية المصدر الرئيسي لهم لمعرفة الأخبار.
- 26.81% تمثل الصحف والمجلات الأجنبية مصدرهم الرئيسي للأخبار.

وبتعميم النسب السابقة على قطاعات المجتمع المختلفة، كانت النتيجة أنَّ ما بين 22.74% و30.88% و12.75% من المواطنين يتلقون الأخبار عن طريق الأُنس العام مع الأصدقاء والمعارف في المناسبات المختلفة كالأفراح والمآتم واللقاءات الخاصة.

وبنظرة سريعة إلى تلك النتائج التي تكررت في معظم دراسات الاستماع التي ظلَّ يجريها قسم البحوث بالإذاعة ظهر جلياً دور إذاعة أم درمان في إثراء حياة الناس ومدهم بالمعلومات والأخبار.

وإذا أخضعنا هذه النتائج إلى دراسات السايكولوجيين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين الذين وضعوا العديدَ من النظريات والدراسات حول الاستماع لوجدناها معقولةً بمقياس علوم الاتصال. وذلك لأنَّ هذه القضية المتشعبة تحكمها عدة جوانب، وتحيط بها مختلف العوامل. حيثُ أكد الباحثون أنه ليس بالإمكان تحديد مدى القبول للبرامج أو رفضها بصورةٍ دقيقة بحكم طبيعة التلقي المتغيرة واختلاف المحتوى الذي يفرضُ بدوره عنصراً هاماً للتفضيل أو الرفض. ولما كان المحتوى متغيراً بتغير مُقدمي البرامج فإنَّ الجزمَ بقطعية النتائج

ضربٌ من المستحيل. فمثلاً برنامج ما يطلبه المستمعون ظلَّ يلعب دوراً في تلبية رغبات المستمعين، ويمكن أن يكون مؤشراً إلى حدٍ ما لمعرفة رغبة المتلقي. ثم إنَّ خطابات المستمعين الكثيرة للإذاعة يمكن أن تعطي مؤشراً لميول الأفراد وآرائهم. بل إنَّ الرفض الواضح لبعض البرامج قد يبدو من كثرة الحديث عنها وانتقاد المستمعين لها من خلال الصحف أو اللقاءات العامة. ورغماً عن عدم دقة هذه المقاييس إلا أنها لا تخلو من الأهمية للباحث والدارس في مجال تأثير البرمجة الإذاعية.

وإذا أخضعنا هذا الأمر للمقاييس العالمية لوجدنا نفس القناعات التي توصل إليها علماء الاتصال. ففي روسيا اللينينية مثلاً لجأت الدولة إلى نظام الإعلام الليبرالي الذي استمر لبعض الوقت. ولما جاء استالين استخدم أسلوب الإعلام الموجه، بمعنى أنَّ المعلومات والرسائل كانت تُفرض كما هي دون رتوش. حتى أن المسؤولين في الحكومة الروسية قد لجأوا إلى أسلوب توزيع أجهزة راديو على المواطنين ليس فيها إلا محطة واحدة هي محطة موسكو التي لا يمكن تغييرها، حيث لم يكن بتلك الراديوهات مؤشرات لتغيير المحطة.

ورغماً عن ذلك، عندما أُجريت البحوث على المواطنين لم يتمكن الباحثون من معرفة حجم التأثير الفعلي على هؤلاء المواطنين.

ولما حدث التشكيك في أسلوب الدعاية المباشرة لجأوا إلى أسلوب آخر في تكنولوجيا الإعلام حيث ظهر أسلوب الدعاية غير المباشرة عام 35/ 1936م. ولذلك فإنَّ الذي يحدث من خلال دراسات الاستماع يظلُ في معظم الأحيان مؤشراتٍ تضع المعالم في الطريق لمحطات الإذاعة.

وفي إذاعة أم درمان فرض هذا التأثير نفسه على نوع المواد المقدمة رغماً عن عدم دقة الإحصاءات التي أجريت على المستمعين. وعلى ضوء ما سبق تأتي أهمية المتلقي في تشكيل البرامج. وذلك بأنَّ كل فكرة يرادُ توصيلُها لا بد من دراستها بطريقةٍ علمية موضوعية، ولا بد من مراعاة النواحي النفسية لهذا المتلقي. وبالتالي لا بد من حُسن الاستغلال للراديو حسب إمكانياته المتاحة.

ومن خلال كل هذا يمكننا أن نقولَ إنَّ تأثير الإذاعة السودانية على مستمعيها ظلَّ في الصدارة بين الإذاعات الأفريقية التي قدمت خدماتٍ مماثلة عبر تاريخها الطويل. ويرجع السبب الأساسي في ذلك إلى طبيعة الأمة السودانية ذات السحنات المتميزة والتي أشرنا إليها في فصلٍ سابق.

ثم جاءت ظروف التركيبة الإثنية والتباين الديموغرافي والفكري والثقافي لتضيف أسباباً أخرى أدت إلى بروز دور إذاعة أم درمان في

بلورة الهوية السودانية من خلال تأطير البناء الفكري والسياسي للأمة السودانية.

الرقابة على برامج الإذاعة

هناك سؤال ظلَّ يطرح نفسه على ساحات البحث والدراسة، وهو هل تتمتع إذاعة أم درمان بأي حُريةٍ في مجال العمل؟ من خلال تجربة الإذاعة خلال سنوات عمرها الطويلة يمكن أن نشير إلى بعض الملاحظات التي قد تفيد في الإجابة على هذا السؤال. حيثُ ظلَّ إحساسُ الفرد الإذاعي يمثل على مر العصور رقيباً ذاتياً عليه يفرض الكثير من وقفات التأمل والمراجعة لمسيرة الأداء.

وظلَّ هذا الإحساس يتطور في كثيرٍ من الأحيان إلى ما يشبه الخوف. وقد زادته في بعض الظروف تدخلات بعض الساسة التي أشرنا إلى بعضها في غير هذا الموضع. وفي الواقع ليست للإذاعة هذه القيود التي يتصورها الناس سواءٌ المستمعين العاديين أو أهل السياسة. وهذا بالطبع لا يعني أنَّ الإذاعة قد تحرَّرت من قبضة الأنظمة السياسية وفرض سيطرتها عليها، وإنما يعني أنَّ هناك بساطاً من الحرية يشهد به واقع التعامل الذي تعايشه الإذاعة بشكلٍ عام. حيث إنَّ الجميع يتحدثون عن الرقابة على برامج الإذاعة. إلا أنَّ طبيعة هذه الرقابة، ظلت جلباباً فضفاضاً ليس له إطارٌ محدد، ولا

قنواتٌ منظورة يستطيع الإنسان أن يحدد شكلها على وجه الدقة. وظلَّ تدخُل بعض الساسة الذي أشرنا إليه عنصراً يسيراً لم يقدح في حقيقة الحرية التي تمتع بها أهلُ الإذاعة في ممارسة عملهم أكبر بكثير مما توفر لأهل الصحافة في السودان في جميع المراحل.

وقد ظلت هناك قناعةٌ لدى كثيرٍ من الإذاعيين بأنه ما دام التناول الإذاعي للأمر المطروح موضوعياً ومقبولاً، فإنَّ الإذاعة لا بد أن تتصدى وتبادر بتناوله إرضاءً لمستمعيها ودون الخوف من عقابٍ مُتَوهم. صحيح أنَّ الكثير من رجال الإذاعة، شأنهم شأن بقية رجال الإعلام في السودان، يُحجمون عن الخوض في كثيرٍ من المواضيع الحساسة خوفاً من المساءلة والمحاسبة. إلا أنَّ هذه المساءلة في الإذاعة ظلت أمراً افتراضياً لا يستطيع أحدٌ أن يحدد طبيعته أو حجمه أو شكله أو متى يكون اللهم إلا من خلال متابعة قسم الرصد الإذاعي.

قسم الرصد الإذاعي

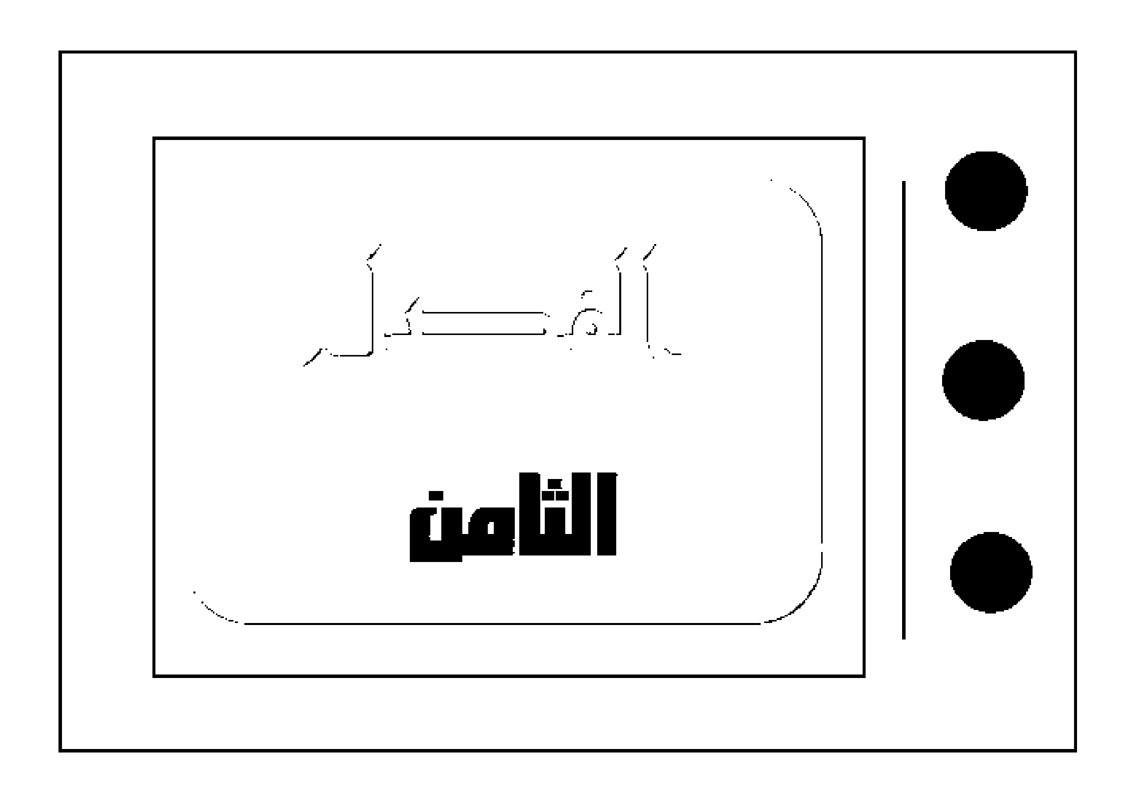
قسم الرصد الإذاعي هو عبارة عن لجنةٍ فنيةٍ وعلميةٍ مختصة أنشئت في أوائل السبعينيات بهدفي متابعة البرامج الإذاعية ورفع تقارير أسبوعية عن سير الأداء فيها [164]. وتتضمن التقارير التي ترفعها لجنة الرصد كل الأخطاء اللغوية والفنية التي تحدث أثناء البث

---

164 أصدر هذا القرار وزير الثقافة والإعلام الراحل (العميد عمر الحاج موسى).

الإذاعي اليومي. حيث تُرفع هذه التقارير إلى وزير الثقافة والإعلام ووكيل الوزارة ومدير الإذاعة. وتقوم إدارة الإذاعة بتوصيل المعلومات التي يتم رصدها إلى جميع مقدمي البرامج والمذيعين المعنيين بذلك حيث يكونون قد وقعوا في تلك الأخطاء. ولعل هذا الإجراء قد أفاد كثيراً في ضبط مسار العمل الإذاعي، حيث أصبح معظم المذيعين ومقدمي البرامج يتحسبون من مغبة الوقوع في أي خطأ خوفاً من رقابة تلك اللجنة. وسبب ذلك التخوف هو أنَّ هناك عقاباً يترتب في بعض الأحيان على مثل تلك الأخطاء. وقد يصل العقاب إلى حد إيقاف المذيع أو مقدم البرنامج من العمل خلف المايكرفون.





شخصيات تركت
بصمات بالإذاعة

الفصل الثامن

شخصيات تركت بصمات بالإذاعة

((بعد أن أصبحتُ مديراً للإذاعة وجدتُ نخبةً من الإذاعيين وقد استمر العمل معهم في تفانٍ تام وكأسرةٍ واحدة إلى أن تمَّ إنجاز العديد من الموضوعات التي أسهمت في تطوير الإذاعة)).

[الصاغ التاج حمد]

المدير الأسبق لإذاعة أم درمان

8

مما لا شك فيه أنَّ للإذاعة بريقاً ولمعاناً لا يضارعها فيه غيرها من وسائل الاتصال المكتوبة كالصحيفة والمجلة والكتاب. وطوال سنوات عمرها خرَّجت الإذاعة السودانية عدداً كبيراً من النجوم المبدعين للمجتمع السوداني. وقد تركوا بصماتٍ واضحة على خارطة العمل الإذاعي والاجتماعي والفكري بل وحتى السياسي في كثيرٍ من الأحيان. ومن طبيعة الإذاعة أنها تعطي مذيعها أو من يتعامل معها بُعداً آخر، يُضاف إلى مَلَكاته ومواهبه الفطرية، وهو بُعد الشُهرة

والنجومية. وهذا البعد لم يستطع أيٌ مرفق آخر أن يتيحه كالإذاعة. فمذيعوها نجوم، وفنيوها نجوم، وكُتابها نجوم، وفنانوها نجوم، وشعراؤها نجوم. وفي عالم الإبداع السوداني ظلت الإذاعة هي الفيصل على مدى تاريخها الطويل، حيث لا يعتبر الفنان فناناً إلا إذا اعترفت به الإذاعة.

لقد حرص كل المبدعين، بمختلف مشاربهم، على التعامل مع الإذاعة قبل غيرها من وسائل الإعلام الأخرى. حتى إذاما وجد المبدعُ قبولاً في الإذاعة، انفتح على أبواب الأجهزة الأخرى ليقدم عطاءه من خلالها. وقد ارتبط عددٌ كبيرٌ من الأدباء والكتاب السودانيين بالإذاعة ارتباطاً وثيقاً حتى أصبحوا وكأنهم جزءٌ من الإذاعيين لا يفرقهم عنهم فارق. ومن هؤلاء المبدعين على سبيل المثال:

(الدكتور عبد الله الطيب، الدكتور الحبر يوسف نور الدائم، البروفيسور علي المك، الدكتور أبو عبيدة المجذوب، الأستاذ فراج الطيب، الأستاذ مالك الزاكي، الأستاذ قرشي محمد حسن، الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد، الأستاذ إبراهيم أحمد عبد الكريم، الأستاذ الفكي عبد الرحمن، الأستاذ الطيب محمد الطيب، الأستاذ حمدنا الله عبد القادر، الأستاذ هاشم صديق، الأستاذ علي البدوي المبارك، الأستاذ عبد القدوس الخاتم، الأستاذ عبد الهادي الصديق، الاستاذ صلاح حسن أحمد، الأستاذ أبو قرون عبد الله أبو قرون،

الأستاذ عمر قدور، الأستاذ صلاح ميرغني)، وغيرهم من الممثلين والمطربين والشعراء والساسة والتربويين.

لقد تعامل نفرٌ من هؤلاء المبدعين مع الإذاعة كمقدمي برامج وممثلين وكتاب ومذيعين ومخرجين وغير ذلك. وخلال مسيرتها التي فاقت الخمسين عاماً قدمت الإذاعة السودانية أجيالاً من الإذاعيين الذين ملأوا ساحة العمل الإعلامي في السودان، وأثروا البرامج بالعديد من الروائع التي خلدت مع الزمن.

والنجومية التي صنعها بعضُ مذيعي الإذاعة فاقت في كثيرٍ من الأحيان نجومية الممثلين والمطربين والأدباء. ولعل التصاق كثيرٍ من المستمعين بأجهزة الراديو طوال ساعات البث الإذاعي قد خلق جسوراً قويةً من المودة والإلفة بينهم وبين الإذاعيين الذين يقدمون ذلك الإبداع.

وظل العديد من المعجبين بنجوم الإذاعة يتقاطرون صوب مبناها العريق في مدينة أم درمان ليلتقوا بمذيعيهم المفضلين داخل سور الإذاعة أو في الأستديوهات التي تستقبل العشرات بل المئات منهم في كل حين. حيث درجت الإذاعة على إقامة حفلات ترفيهية يشارك فيها المطربون والممثلون، فيتقاطر أبناء العاصمة صوب الإذاعة ليقضوا أوقاتاً من اللهو البريء مع هذه الاحتفالات، وينتهزون الفرصة للالتقاء بنجومهم من المذيعين والمخرجين ومقدمي البرامج.

وهناك العديد من الأسماء فرضت نفسها من خلال مايكروفون الإذاعة وأصبح أهلها نجوماً يُشارُ إليهم بالبنان. وفي هذا الفصل نقف مع بعض الأسماء التي ظللت تعطي على مدى سنواتِ عمرها، وما زال عطاءُ بعضها مستمراً حتى الآن في خارطة البرامج. ومن خلال الحديث عن هذه الشخصيات نتعرف على بعض جوانب العمل الإذاعي، وبعض الجوانب الشخصية لهؤلاء النجوم تقديراً لجهدهم الكبير، وعرفاناً بحب المستمعين لهم، واعترافاً بدورهم في نهضة العمل الإذاعي بالسودان.

وبالطبع فإنَّ سجل الخلود في الإذاعة مليءٌ بالكثير من الأسماء التي قدمت عطاءها عبر السنوات، ولكن كان لا بد من اختيار بعض الأسماء في هذا الفصل من الكتاب. حيث إنَّ من المستحيل أن تتسع الصفحات لجميع الذين أبدعوا خلال أكثر من نصف قرن من الزمان.

ورغم كل شيء فإنَّ الأسماء التي ترد في هذا الفصل من الكتاب إنما جاءت بعد دراسةٍ مستفيضة، واستعراضٍ دقيق لقائمة المبدعين في هذا الحقل الخصيب، ولم تكن عن طريق الصدفة بأي حالٍ من الأحوال. ونحسب أنَّ القارئ سيشاركنا الرأي في دور هؤلاء المختارين.

{نجوم في سماء الإذاعة}

1/ عبيد عبد النور

كان عبيد عبد النور أول من عمل مذيعاً بإذاعة أم درمان بعد تأسيسها في عام 1940م. حيث لم يسبقه في دخولها أحدٌ من السودانيين، ولكن لحق به عدد كبيرٌ منهم فيما بعد.

ولم يكن دخوله الإذاعة مصادفةً، وإنما كانت موهبته الفذة في شتى ضروب الإبداع وفنون اللغة والأدب والخطابة والإلقاء قد أهلته ليتبوأ ذلك المكان. فقد كان واحداً من أميز الذين تخرجوا في كلية غردون التذكارية Gordon Memorial Colege[165]، ثم عمل معلماً بالمرحلة الوسطى.

بعد ذلك سافر في بعثة دراسية إلى لبنان، حيث تلقى تعليمه في كلية الآداب بالجامعة الأمريكية في بيروت. ولما كان التعليم الجامعي في ذلك الوقت يقتضي دراسة أكثر من مادة واحدة بالكلية، فقد تخرج عبيد عبد النور بمادتي **(التاريخ والأدب)**. ولذلك تمَّ اختياره

---

165 كلية غردون أنشأها البريطانيون في الخرطوم تخليداً لذكرى القائد البريطاني غردون باشا الذي قتله رجال المهدية بساحة القصر إيذاناً بانتهاء دولة التركية وبداية الفترة المهدية بالسودان. وكان الغرض من إنشاء هذه الكلية هو تعليم أبناء الطبقة المثقفة ممن أريد لهم أن يلتحقوا بالسلك التعليمي ليتخرجوا إما معلمين في المدارس أو أطباء بالمستشفيات أو موظفين بالسلك الكتابي.

معلماً بكلية غردون وأوكل إليه تدريس مادتي التاريخ والتربية الوطنية. وكان يُدرس التاريخ من زاوية الوطن، حيث كان لا يقبل إطلاقاً الأخذ من المصادر التاريخية الأجنبية، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أنها شوهت تاريخ السودان. فانكبَّ على كتابات المؤرخين العرب والمسلمين يستلهم منها الدروس لطلابه. ولتلك الأسباب أحبه طلابُه حباً جماً، حيث إنهم رأوا فيه توفر الصفات الوطنية التي كانوا ينشدونها في تلك المرحلة من تاريخ السودان.

وشخصيه الأستاذ عبيد عبد النور وأريحيته التي كان يقدم بها محاضراته ودروسه، والتي يتعامل بها مع رواد الثقافة والفنون، جعلته يتعامل مع مهنة التدريس بحس الفنان المطبوع. وعندما كان يمارس مهنة التدريس، لم تكن الظروف التي تحيط بالمدرسة والكلية والوطن عموماً في تلك الفترة تقوم على العدل والإنصاف، وإنما كان الحقد والتشفي هو طابعها المميز تجاه العديد من الوطنيين المناضلين ضد الاستعمار.

أحيل الأستاذ عبيد للتقاعد، نتيجةً للمشاكل الشخصية التي تفاقمت بينه وبين إدارة المدرسة، أيام أن حرّض الطلبة على الإضراب لحدوث مشكلة تخص أحد الطلبة. حيث فقد ذلك الطالب بعض ممتلكاته في داخل الكلية، وكان عبيد قادماً لتوه من العاصمة اللبنانية بيروت التي درس في جامعتها الأمريكية وتأثر بروح الحماسة الطلابية

فيها، فقال لمن كان حوله: ((**لو حدث مثل هذا في بيروت لأضرب جميع الطلبة عن الدراسة**)). وسرعان ما انصاع الطلاب لحديثه، وأضربوا عن الدراسة. ولكن كانت الإدارة البريطانية تقف بالمرصاد له بحكم مواقفه الوطنية العديدة التي أزعجتهم كثيراً، فاستفادت من تلك الحادثة وفصلته من الكلية بدعوى أنه يسعى لتحريض الطلبة عن الدراسة.

عمل الأستاذ عبيد عبد النور صحفياً غير متفرغ بصحيفة حضارة السودان، التي كانت أول صحيفة وطنية تصدر بالسودان في عام 1919م. حيث كان رئيس تحريرها الأستاذ حسين شريف معجباً بأسلوب عبيد عبد النور في الكتابة الصحفية، رغماً عن اختلاف رؤيتهما لكثيرٍ من الأمور التي كانت تدور في الساحة السياسية.

ولم يكن بمقدور كل إنسان التصدي للكتابة في صحيفةٍ كبيرة من ذلك النوع. فكان عبيد عبد النور يقوم بصياغة المواد والعناوين الرئيسية بالصحيفة في معظم الأحيان، مما زاده شهرةً على شهرته بين أهل القلم من الكتاب والقراء.

ولكل تلك المواهب، تم اختياره كأول مذيعٍ بالإذاعة عند إنشائها. فكان صوته القوي وأداؤه السلس مدعاةً لحب الجمهور له. وكان متطوعاً لا يتقاضى أيَّ أجرٍ مقابل ذلك العمل. ولم تكن هناك وظائف حكومية للإذاعيين في ذلك الوقت. كان عبيد عبد النور من

السياسيين الغيورين على مصلحة الوطن، ولذلك فقد كوَّن مع بعض أصدقائه في مطلع العشرينيات جمعيةً سريةً كانت توزع منشوراتها السرية على المواطنين بتوقيع **(وطني ناصح أمين)** [166]. وكانت هذه الجمعية تنتقد بعض التوجهات التي ظهرت بعد الحملات الصحفية الشهيرة التي قادها الأستاذ حسين شريف من خلال مقالاته الصارخة في باب (**المسألة السودانية**) بصحيفة حضارة السودان.

وُلد الأستاذ عبيد عبد النور في عام 1896م، أي قبيل احتلال السودان بعامٍ ونصف. ولذلك نشأ وترعرع في ظل الاستبداد والظلم والاحتلال لوطنه الذي عشقه حتى الثمالة. وهذه الوطنية والظروف التي نشأ فيها جعلته يوجه شاعريته الفذة لكتابة أروع ما قيل في الوطن أيامها.

كان عبيد مهتماً بالثقافة السودانية والفنون بضروبها المختلفة. وانصب على الأمثال الشعبية ينقحها ويحفظها عن ظهر قلب، ويستشهد بها في مجالس الحديث، التي كان مولعاً بها كعادة الإذاعيين والصحفيين من قبله ومن بعده.

وفي مجال الدراما، كان ممثلاً بارعاً في المسارح المدرسية ومسرح الكلية، كما كان مخرجاً وكاتباً تفوق على كل أقرانه في هذا

---

166 حسن أحمد إبراهيم، محاضرة غير منشورة في تاريخ الصحافة السودانية، جامعة الخرطوم مايو 1983م.

المجال. ولم يكن بخيلاً بفنه على الآخرين، بل علّم الكثيرين من زملائه في بيروت والسودان فنون التمثيل والإخراج. وقد شهد له جميع من عرفه بأنه كان يجيد تدريس فنون الدراما والمسرح. وفي نفس ذلك الإطار قام عبيد عبد النور بتأليف العديد من المسرحيات التي أخرجها بنفسه، ومثَّل في معظمها دور البطولة.

بالطبع لم يكن نشاط الأستاذ عبيد عبد النور يروقُ للحكومة، لأنَّ معظم أعماله المسرحية كانت ترمز لهموم الوطن وتتهكم من الاستعمار. وكانت كثيرٌ من تلك المسرحيات تحكي معاناة الإنسان السوداني المغلوب على أمره في ظل الاستبداد والقهر المفروض عليه.

وكتب الأستاذ عبيد شعراً يفيض وطنيةً وحماسةً كان أشهره قصيدته العامية (أم ضفاير قودي الرسنْ) والتي سبقت الإشارة إليها. حيث كانت من أوائل الصرخات الداوية لاستنهاض المرأة السودانية كي تنخرط في سلك العمل الوطني والسياسي وتترك حياة الدعة والخمول والتقوقع داخل خدرها.

وقد شجع ذلك التناول رفقاء المرحلة أمثال خليل فرح وإبراهيم العبادي وعبيد عبد الرحمن لكتابة أروع ما كُتب في الوطن في تلك الحقبة التي ازدهر فيها أدب الرفض السياسي والمقاومة ضد الإنجليز.

ورغم أنَّ عبيد عبد النور لم يستمر طويلاً في العمل الإذاعي لظروفه الخاصة، إلا أنه كان له فضل الريادة في هذا المجال الخلاق.

وستظل أجيال الإذاعيين تذكره كأول وطني فتح لهم ذلك الطريق العظيم. وتوفي الأستاذ عبيد عبد النور عن عمرٍ ناهر الستة والستين عاماً في شتاء عام 1963م، بعد أن ترك بصماتٍ واضحة في خارطة العمل الإذاعي والأدبي والعلمي والثقافي بالسودان.

2/ متولي عيد

السيد متولي عيد هو أول مديرٍ سوداني للإذاعة السودانية منذ تأسيسها ثم أصبح سابع مديرٍ لها بعد إعادة تعيينه في ذلك المنصب. درس بكلية غردون التذكارية، ثم عمل في السلك الوظيفي لفترةٍ قصيرة عاد بعدها إلى الدراسة حيث درس مادة الحقوق التي كان شغوفاً بها. ولكنه لم يكمل تلك الدراسة التي تعشقها من صميم قلبه، ولم يجد أمامه إلا أن ينصاع للظروف الصعبة التي طالما فرضت عليه كما فرضت على الكثيرين من أهل الدهاء والفطنة أن يتخلوا عن أروع ما يحبون وهو التعليم وينخرطوا في سلك الحياة المعيشية الجبارة.

استقال السيد متولي عيد من الكلية، وتخلى عن الدراسة ليعمل موظفاً بمكتب الاتصال العام، الذي كان يشرف على كل أعمال الإذاعة.

وبمجرد التحاقه بمكتب الاتصال تم نقله إلى الإذاعة التي كانت تخطو خطواتها الأولى، حيث كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة،

خصوصاً في مجال قارئي الأخبار ومقدمي البرامج والحوارات. وانضم إلى سلك المذيعين الذين أظهر بينهم تفوقاً وموهبةً كبيرة وتفرداً في الأداء، زاده ألقاً روعةُ صوته وحلاوة أدائه المميز. بعد ذلك سافر الأستاذ متولي عيد في بعثةٍ إذاعية تدريبية إلى لندن، حيث التحق بالقسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية B B C، وتتلمذ على أيدي فطاحلة العمل الإذاعي هناك.

وبعد فترةٍ قصيرة من وصوله إلى بريطانيا، كان صوته القوي ينساب من مايكروفون إذاعة البي بي سي، التي قضى بها عاماً واحداً نهل فيه من تجربة البريطانيين في هذا المجال، ثم عاد إلى السودان.

عاد متولي عيد من بريطانيا، ليجد قراراً ينتظره بتعيينه مساعداً لمدير الإذاعة. فقال لأصدقائه: «**أحسب أنَّ عهد النوم قد ولى، فهاهي الأعباء تتكاثر أمامي، وأسأل الله أن أقوى على إدارتها**». وبالفعل أمسك بزمام الإدارة عندما استقال المستر (**فنش دوسون**) Doson أول مديري الإذاعة، فخلفه الأستاذ متولي في منصبه، وكان بذلك أول مدير سوداني لإذاعة أم درمان.

وكان متولي عيد من الإذاعيين الليبراليين، الذين يؤمنون بحرية الكلمة وحرية الرأي. ولذلك كان يذيع كل ما يعتقد أنه حقٌ من حقوق المستمع مهما كانت النتائج. وكان هذا الأسلوب الليبرالي مدعاةً لدخوله في كثير من الحساسيات مع صناع القرار البريطانيين، الذين

كانوا يرفضون رفضاً باتاً إذاعة بعض الأخبار التي لا تصبُّ في مجرى سياستهم. وكان مخلصاً إلى أبعد الحدود لعمله الإذاعي، حيث يقضي معظم يومه بالإذاعة، ويعود في آخر الليل إلى منزله بالخرطوم بحري، لينام سويعاتٍ قليلةً يخرج منها في الصباح الباكر متوجهاً صوب الإذاعة. وكان الأستاذ متولي عيد مبتكراً في أسلوبه، لا يحب التقوقع في الموروثات القديمة [167]. وكان ليبرالياً شجاعاً، لا يجد حرجاً في إذاعة كل ما يكتبه أبناء السودان من خلال الصحف الوطنية، مهما كان شكله طالما أنه يُعبر عن وجهة نظر شريحة من أبناء السودان.

بالطبع لم يكن هذا الأسلوب يروق للبريطانيين. إلا أنَّ طبيعة الرجل فرضت عليهم أن يصبروا على ما يفعل، حتى ولو كان ذلك يُحرج الإمبراطورية البريطانية.

أدخل الأستاذ متولي عيد أسلوب المحاضرات المتخصصة في الإذاعة حيث كان يستعين بقادة الفكر السياسي في السودان، وهم بالطبع من مذاهب شتى وأحزابٍ مختلفة. فكانوا يأتون إلى الإذاعة، ويُلقون الأحاديث الساخنة، التي تجعل المستمعين يتحلقون حول أجهزتهم يتابعونها بكل دقةٍ واهتمام. وكثيراً ما كان المستمعون يرسلون

---

167 كان متولي عيد هو أول من ابتكر فكرة برنامج أقوال الصحف بالإذاعة السودانية، وهي التي ما زالت تُقدم إلى يومنا هذا.

آراءهم وتعليقاتهم إلى الإذاعة حول ما يدور في تلك الأحاديث والمحاضرات. وكانت لمتولي عيد عبارةٌ مأثورة ومحببة ظلَّ يرددها في كل مناسبةٍ وحين وهي: [***أريد أن تكون إذاعة أم درمان الإذاعة الأولى في الشرق الأوسط***].

وكان يضع نصب عينيه أصوات الإذاعات الكبيرة التي تخترق الأثير حاملة رسالة أوطانها للمستمع السوداني. وهو يدرك تماماً أنَّ شعب السودان صاحبُ رسالةٍ إنسانيةٍ وتجربة أصيلة في صراعه مع الاستعمار الذي استمر لسنواتٍ طويلة، فلماذا لا تكون إذاعته هي القدوة التي تُقدم الحلول لكل أنواع المشاكل؟ ولماذا يقف عند حدودِ التمني والذكريات؟ ولماذا لا يسعى بكل ما يملك من قوةٍ وإصرار من أجل تحقيق هذه الأهداف المشروعة؟

كان متولي عيد هو الشخص الوحيد الذي تقلد منصب مدير الإذاعة مرتين في حياته، أولاهما عندما تبوأ منصب الإدارة بعد خروج مديرها البريطاني، والثانية عندما عُين خلفاً للصاغ التاج حمد بعد انتهاء مدة خدمته بالإذاعة [168].

وعندما جاءت أول حكومة وطنية إلى كراسي الحكم في السودان، أصدر الرئيس اسماعيل الأزهري قراراً بنقل الأستاذ متولي

---

168 أنظر (قائمة الشرف) صفحة 322.

عيد منتدباً إلى رئاسة مجلس الوزراء. وبعد أن قضى فترةً ليست بالطويلة في الرئاسة، تم نقله إلى وزارة الشئون الاجتماعية.

وكانت طبيعة العمل في وزارة الشئون الاجتماعية لا تروق له، حيث كان مفروضاً عليه أن يعمل بقسم الإحصاء، الذي لم يكن جزءاً من مواهبه ولا من اهتماماته في يومٍ من الأيام. وعلى كل حال فقد قضى في تلك الوظيفة الفترات الأخيرة من أيامه الوظيفية بحكومة السودان.

3/ أبو عاقلة يوسف

كان من الرعيل الأول للإذاعيين. وتقلد منصب مدير الإذاعة، حيث كان ثامن مديرٍ لها بعد الفترة الثانية للأستاذ متولي عيد. تخرج في كلية غردون التذكارية شأنه شأن عباقرة الوطنيين في تلك الحقبة. وكان من المتحدثين المفوهين الذين ملكوا ناصية الكلم إبان فترة دراسته بالكلية.

وقد برز الأستاذ أبو عاقلة يوسف بين أقرانه كأحد المتحدثين الذين يجيدون اللغتين العربية والإنجليزية. ولما كان ذلك النبوغ قد أبرزه بشكلٍ واضح بين زملائه، فقد تحدث إليه في أحد الأيام أستاذه **(الدكتور مكي شبيكة)** المؤرخ المعروف وقال له: «**إنني أعلمُ أنَّ لك صوتاً قوياً رائعاً، ومقدرةً على الخطابة، وإلماماً واسعاً باللغات، ولذا**

فإنني أحسب أنَّ مكانك الطبيعي هو الإذاعة بعد التخرج من هذه الكلية، فما رأيك)) [169]. ردَّ أبو عاقلة على أستاذه الدكتور مكي شبيكة قائلاً: ((**ولكنها يا أستاذي إذاعة المستعمرين، وكلنا نعمل على مقاطعتهم ومحاربتهم ليخرجوا من بلادنا فكيف يجوز لي أن أعمل بها؟**)) وردَّ الدكتور مكي شبيكة:

((**إنَّ هذه الإذاعة يمكن أن تكون أداةً مفيدةً في أيدي الوطنيين ليقدموا من خلالها ما ينفع الوطن والمواطنين، ولكن ما دام هذا رأيك فأرجو أن تتصل بالأستاذ اسماعيل الأزهري - وكان يعمل أستاذاً لمادة الرياضيات بكلية غردون آنذاك - واطرح عليه هذه الفكرة لتعرف رأيه في هذا الموضوع**)).

ذهب أبو عاقلة يوسف إلى السيد اسماعيل الأزهري وطرح عليه ما قاله الدكتور مكي شبيكة فقال الأزهري: ((**الرأي ما رآه الدكتور شبيكة، وإني أعتقد أنه آن الأوانُ للوطنيين أن ينخرطوا في سلك العمل الحكومي بالوزارات المختلفة خصوصاً الجهات ذات التأثير الواضح كالإذاعة والتعليم وغيرها، ذلك لأنَّ المرحلة المقبلة هي مرحلة تحقيق الحكم الذاتي للسودان**)).

ما أن استمع الأستاذ أبو عاقلة يوسف لذلك الحديث المشجع من الزعيم الأزهري حتى اقتنع تماماً بالفكرة التي شغلت تفكيره

---

169 لقاء صحفي أجرته صحيفة الإنقاذ الوطني، أول يناير 1995م.

وعشعشت في رأسه زماناً طويلاً. وبمجرد أن تخرج من الكلية تقدم بأوراقه للإذاعة طالباً العمل فيها، فتم قبوله على الفور لينضم إلى كوكبة المذيعين. ومنذ ذلك اليوم بدأ يتمرس على العمل الإذاعي بكل ضروبه حتى أجاده وأتقنه بشكلٍ لفتَ الانتباهَ إليه منذُ أيامه الأولى. كان قارئاً للأخبار ومقدماً للبرامج وكاتباً للتعليقات وواحداً من أجرأ الذين أداروا دفة الحوار خلف الميكروفون.

وبعد انخراطه في العمل الإذاعي سافر إلى بريطانيا في عام 1950م، وتدرب بهيئة الإذاعة البريطانية B B C التي كانت حلماً راودَ كل الإذاعيين من أبناء جيله. وظلَّ في إنجلترا لفترةٍ من الزمن، أتقن فيها كل ضروب العمل الإذاعي وفنونه، ثم عاد ليواصل مشواره الذي قضى فيه معظم أيام الشباب.

كان مرتع الصبا والطفولة مدينة **(رُفاعة)** [170]، حيث شهد مع أقران الصبا انتفاضة الشباب في مدينته ضدَّ حكم الإنجليز، عندما تظاهر المئاتُ أمام السجن رافضين تسلط الحاكم البريطاني وعنجهيته بعد قضية الخفاض الفرعوني في مطلع الأربعينيات. وهي المواجهة التي قاد المتظاهرين فيها الأستاذ المهندس محمود محمد طه. وشهدت مساجلات أولاد البلد مع الإنجليز التي قادها **(ود اب سن)** مع

---

170 رفاعة إحدى مدن إقليم البطانة، وهي تعتبر منارة الإشعاع العلمي والثقافي حيث شهدت في أيام الاستعمار نهضة تعليم المرأة على يد الأستاذ بابكر بدري الذي كان أول من فتح مدرسةً لتعليم البنات في السودان في عام 1903م.

المفتشين البريطانيين واحداً تلو الآخر. ترك الأستاذ أبو عاقلة يوسف العمل العمل الإذاعي وعاد إلى مدينته رفاعة التي انطلقت منها موهبته الإذاعية، وانخرط في مجال العمل الخاص الذي أملته ضرورات الحياة، شأنه في ذلك شأن كل أبناء الوطن الذين لا تُنسيهم أضواء الشهرة منابع الأهل والعشيرة.

ورغماً عن بُعد الشقة بين العمل الحر والعمل الإذاعي، إلا أنه أثبتَ كفاءةً نادرة في كلا المجالين. وظلَّ مخلصاً لأصدقاء المهنة من رجال الإعلام والثقافة طوال أيامه التي قضاها بعيداً عن عالم الأضواء والشُهرة.

وفي اليوم الأول من شهر كانون ثاني يناير عام 1990م دعته الإذاعة ليشارك في تقديم احتفالات البلاد بذكرى الاستقلال التي أقيمت أمام منزل الزعيم الراحل اسماعيل الأزهري [171]. وقد شارك في تقديم تلك الاحتفالات كوكبة من قُدامى الإذاعيين جنباً إلى جنب مع الإذاعيين الشباب.

كان من حُسن حظ المستمعين من جيل الشباب أن يكون الأستاذ أبو عاقلة في ذلك الصباح يذيع من النقطة الإذاعية التي أقيمت أمام المنصة الرئيسية عند مدخل منزل الزعيم الأزهري. فأعاد

---

171 هذه أول مرة يقام فيها الاحتفال بذكرى الاستقلال بمنزل الزعيم الأزهري الذي رفع راية الاستقلال في اليوم الأول من كانون ثاني يناير 1956م.

للمستمعين سمات الإذاعي القدير الذي عركته الأيام وصقلته التجارب. وانتهزها المذيعون الشباب فرصةً للالتقاء به وببقية الإذاعيين القدامى الذين شاركوا في ذلك اليوم، وأبدوا إعجابهم به كأحد الإذاعيين القدامى ذوي الشكيمة والمراس.

4/ محمد صالح فهمي

لا يُذكر الأستاذ محمد صالح فهمي في أروقة الإذاعة إلا ويُذكر معه الحزم والعزم والجرأة والبأس الشديد. ولا يُذكرُ إلا وتُذكرُ معه الفصاحةُ والحصافةُ ورصانةُ اللغة. كان الرجلُ نسيجَ وحده، وفريداً من نوعه بكل ما تحمل هذه الكلمةُ من معنى.

كان جسوراً في إبداء رأيه، لا يخشى في الحق لومة لائم، ولذلك كثيراً ما دخل في عراكٍ مع الآخرين الذين لا يفعلون ذلك. وعلى سبيل المثال استضافته الإذاعةُ في أحد اللقاءات التي أُجريت معه بعد سنواتٍ طويلة من تقاعده عن العمل، وكان ذلك في اليوم الثالث من أيلول سبتمبر عام 1980م.

وفي رده على سؤالٍ عن أفضل الإذاعات تجويداً للغة العربية، أجاب قائلاً: ((**أعظم إذاعةٍ ناطقة باللغةالعربية في العالم هي إذاعةُ إسرائيل**)) وثارت ثورة المسؤولين في الإذاعة وفي أروقة وزارة الثقافة والإعلام يومها من ذلك الرد الذي حسبوه ضدَّ سياسة الدولة المعادية

لإسرائيل [172].. واشتاطوا غضباً وخوفاً من ذلك الحديث الخطير الذي قد يقود إلى ما لا تُحمدُ عقباه. ولكنْ ماذا يُجدي جَزَعُ الإدارة أو الوزارة مع رجلٍ كالأستاذ محمد صالح فهمي؟

لم يُحرك ساكناً ولم يعبأ بما يقوله هذا أو ذاك، فهو عبَّر عما يراه حقاً وكفي. وهو يعرف لماذا صرح بذلك الرأي الخطير والصعب في تلك المرحلة. في الواقع لم يكن الرجل موالياً للصهيونية، ولم يكن من المؤيدين لدولتها، ولكنه كان عاشقاً لكل من يجيد اللغة العربية حتى ولو كان يهودياً. وهو يحسب أنَّ مذيعي راديو أورشليم لا يلحنون في هذه اللغة أبداً.

وقد وصل إلى تلك القناعة بعد أن تابع الإذاعات بكل صنوفها وألوانها فأدرك بحاسته اللغوية والإذاعية أنَّ اليهود قد استجلبوا أحسن متحدثي العربية الذين لا يلحنون في لغة الضاد، وعينوهم كمذيعين في إذاعتهم بغرض جذب المستمعين العرب. وهو عندما يقول تلك الحقيقة، إنما يُعزي النفس من أخطاء المذيعين التي لا تقوى أُذنه على سماعها مهما كانت الظروف.

كان الأستاذ محمد صالح فهمي قد التحق بالإذاعة في النصف الثاني من عِقد الأربعينيات. وكان واحداً من ستة أشخاص يضعون هيكل البرامج، ويحررون الأخبار، ويقرأونها على الهواء.

---

172 أجرى المؤلف هذه المقابلة مع الأستاذ محمد صالح فهمي ضمن برنامج حوار الفكر.

فتمرس على كل ضروب العمل في تلك المرحلة الباكرة من عمره. وكان قد تنقل في المناصب الإدارية إلى أن وصل إلى درجة مراقب عام الإذاعة [173] ثم مدير عاماً لها. وعندما تقلد منصب المدير العام كانت الإذاعة كلها قد وقفت على أُهبة الاستعداد، لأنه كان مهيباً في كل شيء، ولا يقبل اللف والدوران.

كان يهابه كل من يقابله بين الممرات لأنه كان يحمل معه سوطاً طويلاً وعصاً غليظة تيمناً بالخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. وكان لا يتوانى في ضرب من يخطئ في اللغة مهما كان شأنه. كان غرامه باللغة العربية قد وصل إلى حد الإدمان. فكان يقول لكل من معه:

((**إنَّ اللغةَ العربيةَ ذكرٌ لا يُتقنها إلا ذكر**)). ولحبه للعربية وتراثها أطلق على أبنائه أسماءً من الحقبِ الخوالي فسماهم:سميدع، طَلٌّ، صخر، خبَّاب، ذو دَجَنْ، معدِيكَرِبْ، أُثيلة، والمعازة.

كان محمد صالح فهمي يترسم خطا العرب القُدامى في كل حركاته وسكناته. ولم ينبع ذلك من فراغ، وإنما كان هذا السلوك نابعاً من تأثره الشديد بأستاذه الراحل (**الشيخ الطيب السراج**) الذي كان هو

---

173 منصب مراقب الإذاعة من المناصب التي لازمت تاريخ الإذاعة منذ الخمسينيات، ثم ألغي فيما بعد ليكون المدير العام هو السلطة القيادية في الإذاعة. ثم عادت الإذاعة في منتصف السبعينيات لإعادة اسم مراقب الإذاعة ليطلق على كل موظف يقوم بإدارة الأعباء المسائية اليومية بدلاً من المدير العام الذي ينتهي دوامه اليومي بعد الرابعة مساءً.

الآخر عربياً قُحاً شارداً من وديانِ عبْسٍ وذِبيانْ. إلتقاه في عام 1940م، وأحب مجالسه الأدُبَيْة التي كانت تضم فطاحلة الأدباء أمثال صالح عبد القادر واسماعيل الأزهري وحسين الكد والهادي أبو بكر وغيرهم وغيرهم من أبناء أم درمان المولعين بالأدب وفنون العربية لاسيما القريض ومراجع التُراث. وكان للأستاذ محمد صالح فهمي ولعٌ آخر هو تربية الكلاب. حيث كان يحتفظ بسبعة كلاب من أشرس ما رأت أم درمان في تاريخها. وفي يومٍ من الأيام غضب على العاملين في الإذاعة، فأحضر كلابه السبعة ودخل بها الإذاعة فاحتلها لساعاتٍ طويلة.

لم يتمكن أحدٌ من دخول المبنى لأنَّ كلاب الأستاذ محمد صالح فهمي كانت كالأسود تشبُ في وجه كل من يجرؤ على إغضاب سيدها المخلص. ولم يعترض أحدٌ على ذلك الاحتلال، لأنَّ الجميع كانوا يحبون الرجل ويهابونه بقدر تلك المحبة.

جاءت حكومة العقيد جعفر نميري للسلطة في أيار مايو 1969م ووجدت الأستاذ محمد صالح فهمي مديراً عاماً للإذاعة. ولاختلاف رؤية القادة العسكريين مع منحاه الفكري والإداري والعملي فقد أصدروا قراراً بإعفائه من منصبه، فحزَّ ذلك في نفسه كثيراً، واعتبره ظلماً وإهانةً له ولجيله من عباقرة العمل الإذاعي. ولكنَّ الإذاعة التي تعلمت الوفاء منه ومن أمثاله لم تتركه فريسةً للخمول والتقوقع

بين جدران المنزل، فقد استدعته ورجته أن يظلّ بين أروقتها عاملاً وفاعلاً كما كان في الماضي ملء السمع والبصر. عاد الأستاذ محمد صالح فهمي إلى الإذاعة. ولكن لا ليتربع على كرسي القيادة وإنما ليسهم في صنع أجيال المستقبل من الإذاعيين الجدد [174]. ليس ذلك فحسب وإنما كان يقوم بتصحيح نشرات الأخبار الرئيسية التي لا تدخل الأستديو إن لم تمر عليه. فكان يُشيع المرح والسرور داخل مكتب الأخبار طوال ساعات إعداد النشرة. وظلّ يحكي لأجيال الإذاعيين الجدد عن التجارب التي خاضها في الإذاعة طوال مسيرتها، وكان متحدثاً لبقاً لا تملُّ الآذان سماعه.

5/ البروفيسور علي محمد شمو

الأستاذ علي محمد شمو من مواليد مدينة **(النهود)** بغرب كردفان. تلك المدينة الوادعة التي تضج بالفرح والترحاب بالضيوف، وترفل في كثبان الرمال الناعمة خلف جبال حيدوب الخضراء. خرج من مدينة النهود كأي فتىً يبحث عن ذاته في خضم الحياة، وكان زاده عقلاً مستنيراً وطموحاً لا يدانيه طموح. كانت أسرته كلها من المستميتين في هوى الوطن البتول. وهم من المنتمين للاتحاديين أيام

---

174 الشخص الذي أعاده للعمل هو محمد خوجلي صالحين، حيث تعاقد معه على تدريب المذيعين الجدد على فنون العمل الإذاعي خصوصاً قراءة نشرات الأخبار والبرامج المكتوبة.

أن كانت الساحة السياسية تضج بالحديث حول استقلال السودان تحت رايات الاتحاد مع مصر أو الاستقلال التام. ولكنه لم ترُق له تلك الاتجاهات التي انتهجها كثيرٌ من شباب جيله، وإنما نحا منحىً آخر كان يحس بأنه الأقرب إلى ميوله ونزعاته الفطرية.

انخرط في حركة الشباب الإسلامي الذين كانوا يمثلون يومها حركة التحرر من إسار الفكر التقليدي. ودعم ذلك التوجه كون الأستاذ علي شمو قد سافر في أيام الشباب إلى مصر لينهل من معين **(دار العلوم)** بالأزهر الشريف. فنال منها أرفع الدرجات العلمية، ولما كانت لغة العلم بالأزهر هي العربيةُ الفصحى، فقد أتقنها وأصبح من أساطينها بعد انخراطه في العمل الإذاعي الذي بدأه من إذاعة ركن السودان بالقاهرة.

وجاء للسودان أيام الحكم البريطاني فالتحق بالإذاعة السودانية كأحد مذيعيها الرئيسيين. ولما لم يكن للغة الإنجليزية مجالٌ في كليات الأزهر الشريف، فقد انكب الأستاذ علي شمو بعصاميته المعهودة وصبره الشديد على التعلم الذاتي، فأتقن اللغة الإنجليزية إتقان أهلها، وأصبح من أكثر المجودين لها بين الإعلاميين لاسيما أهل الإذاعة والتلفزيون.

ولم يكن ذلك التميز قد نبع من فراغ، وإنما كان نتيجة الطموح الدفاق الذي ملأ جوانحه طوال حياته. فقرر أن يكون رقماً صحيحاً في

خارطة الوطن. ترقى الأستاذ علي شمو في سلك العمل الإذاعي حتى وصل إلى أرفع الدرجات الوظيفية [175]. كانت شخصيته القوية وأسلوبه العميق في معالجة الأمور مدعاةً لأن يظلَّ لسنواتٍ طويلة مديراً للتلفزيون. ولم تظهر على السطح مشكلةٌ إلا وبادر بحلها على الفور، نسبةً لما كان يتمتع به من تقديرٍ خاص من المسؤولين بالقصر الجمهوري ووزارة الإستعلامات وبقية مرافق الدولة.

كان هذا الأسلوب سلاحاً ذا حدين، حيث إنه رغم النجاحات التي حققها بالتلفزيون، إلا أنَّ البعض قد اتهمه بأنه كان يدير جهاز التلفزيون بشخصيته القوية وليس بوضع نظامٍ دقيق للعمل System يساعد من يأتي بعده لإدارة هذا الجهاز الحساس. ولذلك فهم يحسبون أنه عندما ترك العمل في إدارة التلفزيون لم يجد الذين خَلفوهُ نظاماً واضحاً يسيرون عليه.

ورغم هذا الاتهام الذي تبناه بعض زملائه القدامى، إلا أنَّ واقع الأمر يقول إنَّ الأستاذ علي شمو قد ترك بصماته الواضحة على خارطة العمل التلفزيوني بالسودان طوال سنوات البداية وما تلاها.

في منتصف السبعينات أصدر رئيس الجمهورية قراراً عيَّنه بموجبه أميناً عاماً لوزارة الشباب والرياضة. وكان ذلك المنصب يعادل في السلك الوظيفي منصب وكيل الوزارة. وكان ذلك القرار قد صدر

---

175 عُين علي شمو نائباً لمراقب الإذاعة ثم مديراً للتلفزيون الذي نشأ في عام 1962م.

تقديراً لجهوده الخلاقة في مجال العمل الرياضي. حيث نشأ الأستاذ علي شمو محباً للرياضة بشتى ضروبها. وظلَّ يمارسها طوال عمره خصوصاً لعبته المفضلة كرة القدم. ولم يطُل عمرُ أحدٍ من الرياضيين كما طال عمرُ علي شمو في الملاعب، حيث إنه ظلَّ مواظباً على ممارسة هذه الهواية التي ما ضارعتها لديه إلا هواية الإعلام الذي صار مهنةً له.

وقد احتفظ الأستاذ علي شمو بصداقاتٍ حميمةٍ وقوية مع كل الرياضيين وإداريي الأندية الكبرى في السودان لأنه واحدٌ منهم. ترك الأستاذ علي شمو السودان وتوجه إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث عُين مستشاراً إعلامياً للحكومة. وكان ذلك المنصب الرفيع قد مكنه من خلق علاقاتٍ أوثق مع صناع القرار في دول الخليج العربية.

وظهرت مواهبه الإعلامية لاسيما في معالجة قضايا الإعلام الحديث الذي فرض نفسه بعد ثورة الأقمار الصناعية Satalite. وعندما أنشئ اتحاد إذاعات الدول العربية أسهم الأستاذ علي شمو في إنشائه إسهاماً فاعلاً باسم السودان [176]. وقاد حركةً نشطة وسط الإعلاميين العرب والقادة السياسيين، مما تتوج بعقد الاجتماع التأسيسي لذلك

---

176 كان إنشاء اتحاد الإذاعات العربية بإيعاز من مؤتمر بنزرت في تونس عام 1967م عقب النكسة التي مُنيت بها الجيوش العربية أمام القوات الاسرائيلية، حيث قرر العرب مجتمعين في ذلك المؤتمر أن يتصدوا لتحديات العصر بإنشاء القنوات الإعلامية القوية في مواجهة الصهاينة والغرب. وتقرر وفقاً لذلك إنشاء اتحاد إذاعات الدول العربية.

الاتحاد بالخرطوم في التاسع من شهر شُباط فبراير عام 1969م. في تلك الأثناء كانت الشركات العالمية وبيوت الخبرة الإعلامية تُجري اتصالاتها مع حكومات ومؤسسات العالم العربي الإعلامية لتصميم قمرٍ عربي للاتصالات بعد موافقة اليونسكو التي قامت بإجراء دراسات الجدوى عليه بقيادة أحد الخبراء السويديين هو **(إدوارد كلومان)** Edward Kloman.

كان علي شمو من أوائل الذين انخرطوا في هذا المشروع الكبير من الإعلاميين العرب. وقد شارك في عام 1971م في مؤتمر جنيف حول الأقمار الصناعية. فتقدم بطلب للمؤتمر إنابةً عن الدول العربية كان فحواه حجز مدار فضائي للقمر الصناعي العربي المرتقب، والذي أُطلق في عام 1985م.

أظهر ذلك الجهد القومي أبعاداً أخرى في شخصية الأستاذ علي شمو المولعة بكل ما هو جديد في عالم الاتصالات [177]. وفي تلك الفترة كانت حكومة السودان تفكر في إعلان تعديلٍ وزاري يشمل عدداً من الوزارات المركزية المهمة، فأصدر رئيس الجمهورية قراراً تمّ بموجبه تعيين الأستاذ علي شمو وزيراً للثقافة والإعلام. عاد علي شمو إلى السودان بعد ذلك القرار، تاركاً كل الأعباء الجسيمة والمسؤوليات

---

177 عُين الأستاذ علي شمو مستشاراً ضمن عدد قليل من العرب الذين عينوا كمستشارين للقمر الصناعي العربي ARABSAT.

الخطيرة خلفه، ولكنه اشترط أن يكون على اتصالٍ بما بدأه في ذلك المضمار الذي يعتقد أنه أكبر من أي وزارةٍ أو درجةٍ وظيفية. وتقلد منصب وزير الثقافة والإعلام في حكومة جعفر نميري، وأصبح الناطق الرسمي باسم الحكومة طوال فترة توليه ذلك المنصب. كانت متاهات السياسة أعقد من أن يرتضيها شخصه الذي جُبل على حب العمل الخلاق، ولذلك كان كثيراً ما يضيق بتدخلات صُناع القرار السياسي في شئون وزارته التي لا يحسبُ أحدٌ أنه أقدر على معرفتها من علي شمو. وأحسَّ كأنَّ هذا المنصب قد سلبه بعضاً من أريحية التعامل مع الأمور.

ومثله مثل رفاقه خرج من مكتب الوزارة في أحد التعديلات الوزارية ولكنه انخرط في سلك العمل العام بعد أن قرر اعتزال السياسة إلى الأبد. ولكن يبدو أن الظروف التي مرّ بها الوطن بعد فترة الحكم الليبرالي قد جعلته يعدل عن القرار، حيث عاد إلى كرسي الوزارة مرةً أخرى.

ففي الرابع من شهر تموز يوليو عام 1989م تم تعيين الأستاذ علي شمو وزيراً للثقافة والإعلام في أول تكوينٍ وزاري أعلنته حكومة الإنقاذ الوطني بعد مجيئها للسلطة في الثلاثين من حزيران يونيو من نفس العام. ومرةً أخرى وجد نفسه رهين القرار السياسي. وبدأ نشاطه مع وزارة الثقافة والإعلام تساعده خبرته الواسعة في مجال الاتصالات

التي لم ينقطع عن دراستها ومطالعة كل ما يجِدُّ فيها من معلومات. فهوايةُ الاطلاع ظلت تلازمه منذ الصبا، وهي التي أكسبته شخصيته المتميزة التي يُشارُ إليها كلما دار الحديث عن الثقافة والإعلام في السودان. ومثله مثل غيره غادر كرسي الوزارة مرةً أخرى ليعود للعمل العام. كان الكثيرُ من اللغط يدور في الشارع حول خلافاته مع قيادة مجلس الثورة ممثلاً في شخصية العميد سليمان محمد سليمان عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس لجنة الإعلام التابعة للمجلس.

دار همسٌ حول رفض الأستاذ علي شمو لتدخلات بعض الشباب الذين كانوا يعاونونه في تسيير أعباء الوزارة لاسيما مدير مكتبه والأمين العام لوزارة الثقافة. ولكن بدا أنَّ هذا اللغط لم يغير شيئاً من موقفه في المشاركة، حيث سرعان ما تمَّ تعيينه عضواً في البرلمان **(المجلس الوطني الانتقالي)** فقبل التكليف وانخرط في العمل السياسي من مقاعده المباشرة هذه المرة.

ورغماً عن تقلد الأستاذ علي شمو العديدَ من المناصب التنفيذية والسياسية داخل وخارج السودان، إلا أنَّ عطاءه كمذيع بإذاعة أم درمان ظلَّ هو الأبقى والأخلد، لما للإذاعة من بريق، ولما قدمه من عطاءٍ جزيل في فترةٍ تُعتبرُ من أهم وأثرى فترات الإذاعة، وهي فترة تكوين الذات السودانية الأصيلة بعد سنوات الاستعمار الطويلة. ومن الأشياء الطريفة التي كانت تحدثُ في الإذاعة القديمة أيام أن كانت

معظم المواد تُقدم على الهواء مباشرةً، أنَّ الأستاذ علي شمو والذي كان من أشهر المذيعين وقتها كان بعد أن يُقدم الفنان للمستمعين يرجع قليلاً من الميكروفون وينخرط في جُوقة الشياليين ليغني ويذوب من المتعة والنشوة. فهو مغرمٌ حتى الثمالة بفن الغناء، لاسيما غناء الحقيبة، الذي قدمه من خلال برنامج حقيبة الفن لسنوات عديدة.

وفي أواخر عقد التسعينيات من القرن العشرين المنصرم انخرط الأستاذ علي شمو في سلك التدريس الجامعي حيث أصبح يدرس مادة الإعلام الدولي بعدد من كليات وأقسام الإعلام بالجامعات السودانية، حتى منحته جامعة أم درمان الإسلامية درجة الأستاذية Professor في الإعلام تقديراً لهذا الجهد.

6/ الصاغ التاج حمد

كان الصاغ التاج حمد أول وآخر عسكري يتقلد منصب مدير عام الإذاعة السودانية. فهو خامس مدير مرَّ عليها عندما عينه **(الفريق إبراهيم عبود)** رئيس المجلس العسكري لحكومة 17 نوفمبر 1958م في هذا المنصب [178]. دخل التاج حمد الإذاعة من بوابة الإدارة، وكان ذلك في منتصف عام 1961م. لذا فقد حمل معه كل

178 كانت حكومة الفريق إبراهيم عبود هي الحكومة الأولى التي عينت عدداً كبيراً من ضباط الجيش كإداريين في بعض المؤسسات غير العسكرية.

انضباط الجيش وإبداع الفنان وحنكة القائد الذي ترك بصماته الواضحة في خارطة العمل الإذاعي. وبدأ عطاؤه الفعلي في هذا المضمار بأكبر هموم الإذاعة إلحاحاً وهي قضية الإرسال. حيث كان يدرك قبل مجيئه للإذاعة أنَّ ضعف الإرسال هو المقبرة الحقيقية لإبداع الإذاعيين. ولذلك كان جلُّ اهتمامه منصباً على ذلك الأمر حتى تحقق له الانتصار. حيث استجلبت الإذاعة في عهده أفضل المعدات الحديثة لتقوية الإرسال من محطة إرسال سوبا. وبذلك وصل صوت الإذاعة لأول مرة إلى كل بقاع السودان، شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً.

ولد الصاغ التاج حمد في مدينة أم درمان، في شهر آذار مارس عام 1934م، والتحق بالكلية الحربية عام 1953م. وبعد تخرجه في عام 1954م عمل بسلاح الهجانة بمدينة الأبيض، ثم بسلاح الإشارة، الذي ساعده كثيراً فيما بعد عند دخوله الإذاعة. وذلك بما وفره له من خبرات فنية وعلمية في مجال الاتصالات.

بعد ذلك عُين مديراً تنفيذياً لمكتب وكيل الاستعلامات والعمل. سافر إلى الولايات المتحدة، وحصل منها على درجة الماجستير في الإعلام، حيث كانت أطروحته حول **(إدارة الأجهزة الإذاعية والتلفزيونية)**. عاد مرةً أخرى إلى الولايات المتحدة، بغرض إكمال دراسته العسكرية بولاية تكساس في دورة القادة والأركان. ثم عُين عام 1967م نائباً لقائد الكلية الحربية بأم درمان، وبعد ذلك **(قائداً للكلية)**.

وفي عام 1969م أصبح التاج حمد قائداً لحامية الخرطوم العسكرية، ثمَّ في مطلع السبعينات تمَّ تعيينه قائداً لمنطقة القضارف العسكرية. وفي كل تلك الوحدات والقيادات التي عمل بها كان الجميع ضباطاً وجنوداً يتعاملون معه كأخ وصديق قبل أن يكون قائداً محنكاً وعسكرياً جسوراً في أداء المهام الصعبة. وهذه الذكرى لم تزل ماثلةً أمام كل رفقاء السلاح الذين زاملوه على مر السنوات.

دخل التاج حمد إذاعة أم درمان، وكان بها عددٌ من ألمع نجوم العمل الإذاعي، حيث كان مراقب الإذاعة آنذاك هو الأستاذ الإذاعي محمد صالح فهمي الذي كان الساعد الأيمن له كمديرٍ قادمٍ من خارج المؤسسة الإذاعية. فعاونه على حسم كثيرٍ من الأمور التي كانت تحتاج إلى قوة اتخاذ القرار.

كانت الإذاعة تحفل بكوكبةٍ ممتازة من الإذاعيين في تلك الفترة على رأسهم الأستاذ علي شمو نائب مراقب الإذاعة، ومحمد العبيد مراقب الأستديوهات ومحمد خوجلي صالحين رئيس قسم البرامج، وعبد الرحمن الياس مراقب قسم الأحاديث، ومحمود أبارو رئيس قسم الالتقاط، وأحمد الزبير رئيس قسم الأخبار والمهندس علي عبد القادر رئيس الإدارة الهندسية، والإذاعيين يس حسن مَعَنِّي والمبارك إبراهيم وصالح محمد صالح وحلمي إبراهيم ومحمد خير عثمان وعبد الرحمن زياد الذي انتقل فيما بعد إلى إذاعة صوت

أمريكا. كانت سياسة حكومة 17 نوفمبر بقيادة الفريق إبراهيم عبود تطرح شعاراً يقول: (**احكموا علينا بأعمالنا**) فعمل التاج حمد على تطبيق ذلك الشعار الذي صار له مبدأً في حياته. وقد كان من المقربين لقيادة الجيش والسلطة التي جاءت من صفوف القوات المسلحة. ومن خلال ذلك أظهر تفانياً وإخلاصاً ودأباً شديداً على العمل، شهد به زملاء المرحلة الذين عملوا معه بالإذاعة [179].

وكان زملاء المهنة يرون في التاج حمد عسكرياً في ثياب فنان أو فناناً في ثياب عسكري. فقد صقلته خبرته العسكرية، وتعلم منها الانضباط والدقة في أداء كل شيء، حتى تفوق على كثيرٍ من زملائه القدامى والجدد. ونتيجةً لذلك كله تقلد أرفع المناصب، وترقى في سلك العمل العسكري حتى أصبح قائداً للكلية الحربية.

7/ محمد خوجلي صالحين

في أوائل الخمسينات كان الفتى الطموح غارقاً بين أضابير الكتب في مدينة القاهرة العريقة، يقضي ساعات الليل والنهار بين سطورها ليحرز مركزاً متقدماً بين أقرانه. وكان بينهم صديقه الصدوق وأستاذه الذي كان يحثه على العلم والاجتهاد كلما وجد إلى ذلك سبيلاً

---

179 أكَّدَ هذه المعلومات عن الأستاذ التاج حمد للمؤلف الأستاذ أبو عاقلة يوسف عندما عمل معه في النقطة الإذاعية الرئيسية في يوم الاستقلال الذي أُقيم بمنزل الزعيم إسماعيل الأزهري.

الدكتور (**أحمد التجاني عمر**) الذي كان يدرس في دار العلوم بالأزهر الشريف. وكان الطالب محمد خوجلي صالحين وفياً لصديقه وأستاذه التجاني الذي ما سنحت له الفرصة إلا وقاده إلى الخير العميم. وأكمل الأستاذ صالحين فترته الدراسية بجمهورية مصر، ثم عاد ليواصل مشواره الجامعي بجامعة القاهرة بالخرطوم. وكان هوى الإذاعة يجري في دمه.

كان مولعاً بأسلوب الأستاذين الجليلين الذين سبقاه في هذا المجال وهما علي شمو وأبو عاقلة يوسف. فتقدم للعمل الإذاعي. وسرعان ما أجيز صوته بدرجة الامتياز. ومن يومها أحس أهل الثقافة والإعلام أنهم قد وجدوا الصوت الذي يفتقرون إليه والرجل الذي يحمل رسالة الإعلام إلى بقاع السودان المختلفة.

لم يدخل الإذاعة صوتٌ أقوى من صوت الأستاذ محمد خوجلي صالحين إلى اليوم. ولم يُخلص أحدٌ من أبناء الإذاعة لها كما أخلص لها صالحين. كان مهتماً طوال السنوات التي قضاها بالإذاعة بفنون اللغة العربية، التي لا يقبلُ أن يلحنَ فيها أحد.

وكان جسوراً في تناول أمور الإذاعة، ولذا تخطى كل زملاء المهنة حتى بعض الذين سبقوه إلى السلك الوظيفي. وكان أول من تقلدَّ منصب كبير المذيعين بالسودان. وقد أسس قسم المذيعين على أساسٍ من القوة والمتانة التي لم يكن يتلاعبُ فيها أحد، ولم يرضَ

التهاون في تطبيقها يوماً. وطوال الفترة التي تولى فيها الأستاذ صالحين منصب كبير المذيعين كان يمتحن المتقدمين للعمل الإذاعي، ويُجيز أصواتهم، ويقوم بتدريبهم، ثم إجازتهم بعد ذلك لدخول الأستديو. ولا ينتهي الأمر عنده بحدود دخول الأستديو، وإنما يظل يُتابع الصوت الجديد في كل مراحله، ويلاحقه بالتقويم والنقد حتى يشب عن الطوق. وتشهد جميع أجيال الإذاعين على أن الأستاذ صالحين هو أول من صنع النجومية الحقيقية للمذيع بالسودان، ذلك لأنه كان متفرداً في أسلوبه الذي لم يُقلد فيه أحداً حتى الأساتذة الذين علّموه أو الذين كان معجباً بهم.

كان يقدم برامج المنوعات، والبرامج الثقافية، والبرامج الدينية، ويدير الحوارات مع المطربين ومع الشعراء ومع الساسة ومع المثقفين والشعبيين، ويقرأ نشرات الأخبار، ويفتتح الإذاعة ويختتمها، وينقل الإذاعات الخارجية، ويدرب المبتدئين من المذيعين، ويؤم الناس للصلاة.

كل ذلك كان يؤديه بإتقان العارف الحصيف وفي تجردٍ ونكران ذات يحسده عليه حتى أقرب الأقربين من الذين لا يقدرون على فعل ما يفعل صالحين. ولما كان صالحين هو المذيع الأول بالسودان أثناء عمله بالإذاعة فقد اختير ليكون أول من يفتتح تلفزيون

السودان كقارئٍ للأخبار عند تأسيسه في عام 1963م [180]. ومن يومها ظل يعمل بالإذاعة والتلفزيون على السواء. كان صالحين كثيراً ما يطلُّ عبر شاشة التلفزيون فيقرأ الأخبار من الذاكرة بدون الرجوع إلى الورقة إلا لماماً، وكأنه قد سبق جهاز الباروميتر الذي يستخدمه المذيعون الآن فيظهر المذيع وكأنه يقرأ من ذاكرته دون الرجوع إلى الورق.

وطوال أكثر من ثلاثين عاماً ظلَّ صالحين يمسك بالراديو الصغير في يده نائماً أو قائماً، مسافراً أو مقيماً، يتابع كل ما يخرج من المايكروفون، ويرصد الأخطاء بدقةٍ فائقة ومهارة متناهية. وظلَّ يتمتع بذاكرةٍ فريدةٍ من نوعها لا تفوته شاردةٌ ولا واردة. فما أن يلتقي بالمذيع الذي أخطأ حتى يبادره بذكر الخطأ الذي ارتكبه ويحدد له الوقت الذي أخطأ فيه باليوم والساعة والدقيقة.

وظلت هذه الميزة النادرة مصاحبةً لصالحين حتى بعد أن تبوأ منصب الوزير. لم يكتف يوماً برصد الخطأ، وإنما يستدعي إليه من يخطئ أياً كانت مكانته، وينبهه إلى خطئه ثم يعلمه الصواب حتى لا يقع فيه مرةً أخرى. كل ذلك يفعله صالحين من ذاكرته ولم ينسَ يوماً خطأً ارتكبه شخصٌ في المايكروفون مهما طال الأمد. وفي كثيرٍ من الأحيان كان ينزل بنفسه من المكتب إلى أستوديو البث المباشر أثناء

---

180 كان أول من عمل بالتلفزيون في يوم الافتتاح إلى جانب صالحين هو الأستاذ حمدي بدر الدين.

قراءة الأخبار ليصحح خطأً أو يحاسب مذيعاً على خطأ نحوي أو خطأ في النطق أو المعلومة، فهو لا يملك صبراً على أخطاء المايكرفون.

وأصبح صالحين نائباً لمدير عام الإذاعة في أوائل السبعينات، بعد أن تقلد العديد من المناصب الإدارية فيها. وطوال فترته كنائبٍ للمدير ظلَّ هو المدير الفعلي لقوة شخصيته وإدراكه لكل مشاكل الإذاعة [181]. ولذلك تمَّ اختياره مديراً عاماً للإذاعة. حيث رقصت يومها الإذاعة بكاملها فرحاً بتعيينه مديراً عاماً لها وذلك لعدة أسباب:

أولاً/ كان صالحين أخاً وصديقاً لجميع الذين عملوا معه، وهو لا يسعد إلا عندما يكون معهم في مكاتبهم، أوبيوتهم، يشاركهم أفراحهم وأتراحهم. وكان يعرف الجميع بأسمائهم ويتعامل معهم من خلال تلك المعرفة.

ثانياً/ كان صالحين من القلائل الذين تدرجوا في سلك العمل الإذاعي من بداياته حتى منصب المدير العام. ولذلك يعتبر العاملون أنَّ تعيينه

181 كان مدير عام الإذاعة في تلك الفترة الأستاذ التجاني الطيب الذي جاء للإذاعة من خارج المؤسسة الإذاعية.

لذلك المنصب تتويجٌ لهم ومصدر فخرٍ وأمل لكل أبناء الإذاعة الذين اعتبروه أحد المكاسب التي كانوا يسعون لتحقيقها.

ثالثاً/ كان الإذاعيون يعرفون شخصية صالحين الإدارية وحبه للعمل، فأحسوا بأنه سيحقق انضباط العمل داخل الإذاعة ويطهره من الفوضى التي بدأت تطل برأسها بين الأروقة والممرات.

ولم يُخيب صالحين ظنَّ أحد، حيث أضفى على منصب مدير الإذاعة بُعداً جديداً من الأخلاق والغيرة على العمل. وجاءت الدورة الإذاعية التي أعقبت تعيينه مديراً أعظم الدورات الإذاعية منذ تأسيس الإذاعة. ومكث سنواتٍ عديدة في منصب الإدارة، كانت من أخصب السنوات وأثراها على الإطلاق في توسيع القنوات والخدمات الإذاعية بشتى ضروبها [182].

لم ينضبط المظهر العام للإذاعة في عهدٍ كما انضبط في عهده، حيث كان يُشرف بنفسه على الداخلين والخارجين من فنانين وممثلين وأدباء وجمهور. ولا يتوانى في لفت انتباه كل من يأتي بمظهرٍ خليع، رجلاً كان أو امرأة. ولذا كان الجميع يهابون غضبته التي ليس

---

182 شهدت الإذاعة في عهد صالحين توسعاً في حجم وعدد الخدمات الإذاعية التي أنشأها، ومنها إذاعة الوحدة الوطنية التي تحولت إلى إذاعة صوت الأمة السودانية وإذاعة القرآن الكريم وإذاعة الشباب وإذاعة صوت الموسيقى.

هناك كبيرٌ عليها. وكان صوته القوي يسبقه دائماً وهو صاعدٌ أو نازل على درجات السلم، فيتوارى كلُّ من لا يؤدي واجبه على الوجه الصحيح، مخافة أن يراه صالحين، فيكيل له الصاع صاعين. وبعد سنواتٍ من العطاء المتصل، انتقل صالحين من الإذاعة التي تعشقها وأحبها إلى العمل في وزارة الثقافة والإعلام. فأُصبح وكيلاً للوزارة لفترةٍ من الزمن، ثم صدر قرارٌ جمهوري بتعيينه وزيراً للثقافة والإعلام.

وفي تلك الفترة كانت الإذاعة والتلفزيون لا تتبع لوزير الثقافة، وإنما تدار بواسطة مجلس إدارة عينه رئيس الجمهورية بعد إجازة قانون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون. وبمجرد أن تمَّ تعيين صالحين في منصبه الجديد كوزيرٍ للثقافة والإعلام، كان أول قرارٍ يتخذه هو تعديل قانون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون، بحيث أصبح وزيرُ الثقافة هو رئيس مجلس إدارة الهيئة [183].

بذلك عاد صالحين من جديد مديراً للإذاعة والتلفزيون الذَيْنِ لا يشك أحدٌ في أنه لا يستطيع الانفصال عنهما، خصوصاً الإذاعة التي نما وترعرع في ظلها وبين أحضانها.

وبعد عامٍ من تعيينه وزيراً للثقافة، كان هناك تعديلٌ وزاري خرج بموجبه من وزارة الثقافة، فانخرط في سلك العمل الخاص لفترةٍ من الزمن، ولكنه لم يرُق له لأنه خُلق للإعلام. فمكث في منزله

183 أنظر مسودة قانون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون صفحة 233.

بمدينة الخرطوم بحري ولم يغادره لأي مكان. بعد ذلك صدر قرارٌ بتعيينه مديراً لوكالة السودان للأنباء. فعمل فيها جاهداً لإعادة تأهيل هذه الوكالة التي فرضت عليها الظروف المالية وشح الإمكانات أن تتخلف لفتراتٍ طويلة عن مواكبة التطور الذي بدأت به في سنوات البداية. وسافر صالحين إلى دول الخليج، مستفيداً من صداقاته مع شيوخ البترول، وأقنعهم بتمويل مشاريع الوكالة التي وُضعت للنهوض بها.

وقبل أن يكمل ذلك المشروع كان موقعه قد تبدل. ففي إحدى ليالي عام 1990م طرق بابه في الليل طارقٌ شديد القبضة. فخرج إليه في جنح الليل البهيم فإذا به العقيد يوسف عبد الفتاح بانتظاره. وقبل أن يسأل ما الخبر دعاه العقيد يوسف لمرافقته إلى مكتب الرئيس لأن الرئيس بانتظاره.

كانت الساعة تقترب من الثالثة صباحاً والبلاد تعيش تحت قانون الطوارئ. فخرج معه وسط إجراءات رجال الأمن المنتشرين على طول الطريق المؤدي من منزله بالخرطوم بحري إلى القيادة العامة بالخرطوم.

ومع نسمات الصباح الأولى التي بدأت تهب على العاصمة دخل على مكتب الرئيس الذي أخبره باختياره ليقود وزارة الثقافة والإعلام من جديد. وبعد تفكيرٍ وتأملٍ أعلن موافقته للرئيس واضعاً

بعض النقاط التي لا بد من تحقيقها فوراً لتسيير أعباء الوزارة. وقَبِلَ الطرفان الأمر، فعاد صالحين مرةً أخرى إلى كرسي الوزارة. وكان منصبه في رئاسة وكالة السودان للأنباء قد خلا بتعيينه وزيراً للثقافة والإعلام. ولما كان هو الذي يعين مدير الوكالة بحكم منصبه فقد اختار الأستاذ **(معاوية حسن فضل الله)** صديق العمر ونائبه عندما كان مديراً عاماً للإذاعة ليخلفه في منصب مدير عام وكالة السودان للأنباء.

وشيئاً فشيئاً انخرط الأستاذ محمد خوجلي صالحين في العمل السياسي بعد أن راق له الجو بحكم أنه أحد الناشطين في حركة الشباب الإسلامي منذ أيام الدراسة، ولذلك تمَّ اختياره أميناً للعاصمة القومية الخرطوم، فابتعد مرةً ثانية عن ضجيج وزارة الثقافة والإعلام ليسبح هذه المرة في خضم السياسة إلى أن اختارهُ اللهُ إلى جواره فرحلَ مبكياً عليه من كل الأصدقاء والمحبين في كل ربوع الوطن.

8/ محمود أبو العزائم

لا يذكرُ أحدٌ من أهل السودان تاريخ الصحافة السودانية إلا ويذكر محمود أبو العزائم، كأحد أوائل الذين نقلوا الصحافة السودانية من ورقٍ يقبع بالمكتبات إلى علمٍ وثقافة يحرص الناس على اقتنائها حرصهم على الأكل والشرب. ولا يذكر أحدٌ نضال المثقفين وصولاتهم

فـي سـاحات العمـل السياسـي إبـان فتـرة الأربعينيـات والخمسـينيات والستينيات إلا ويجد محمود أبو العزائم قاسماً مشتركاً أعظم لكل تلك الساحات والمنتديات.

كـان صـديقاً للأزهري، وحميمـاً للمحجـوب، وقريبـاً مـن السـيد علي الميرغنـي، وشريكاً لفوراوي، ونديداً لمبارك زروق، ولصيقاً بأحمد خير وملازمـاً لإسماعيل عتباني، ومُعاشراً للصِدِّيقْ المهدي، ومواكباً لعبد الله رجب. ولم يمر علـى دفتر السياسة رجلٌ إلا وكان أبو العزائم صنوه الذي يعرف خباياه أكثر من كل أجهزة الأمن في الدولة.

ظـلَّ محمـود أبـو العـزائم لوحـده جهـاز إعـلامٍ بأكملـه، يـؤرخ للأحداث، ويسجل التاريخ، وينقح المعلومات، ويثير لباب القراء كما لم يفعل ذلك أحدٌ من الصحفيين من قبله ولا من بعده. ظلَّ محباً ومدمناً لكتابات أنيس منصور، حتى توج لـه ذلك الحب قرار صـديقه جعفر محمد نميري الذي أصدره بتعيينه نائباً لرئيس تحرير مجلة وادي النيل التي كان يرأس تحريرها الأستاذ أنيس منصور. وكان ذلك من أسعد القرارات التي سمعها في حياته.

فهو عاشقٌ من الطراز الأول لمصر وكُتابها وأدبائها وساستها وحواريهـا العتيقـة. لـم يكـن يفتـرق مـن صـديقه أنـيس منصـور. وكـان يعرف من أسرار الدولة أكثر مما يعرفه الساسة صناع القرار أنفسهم، حتى لقاء جعفر نميري برئيس وزراء إسرائيل في نيروبي كان يعرف

تفاصيله أكثر من الوزراء المقربين من الرئيس. وترأس أبو العزائم تحرير العديد من الصحف، وظل قلمه رائعاً كصحفي وكمؤلف وكاتبٍ مرموق [184]. وفي كل وقتٍ ظلَّ يشد القارئ للصحافة السودانية بشكلٍ لم يحدث لأحد. وقد شهد كل رؤساء التحرير بالصحف التي تعامل معها أنَّ العدد الذي يكتب فيه أبو العزائم لا يبقى في المكتبات أكثر من لحظات التوزيع. فالرجل معروفٌ للجميع بسلاسة أسلوبه، ورشاقة قلمه، وقوة الحجة والبرهان فيما يتبناه من آراء. ولكن أين كل هذا من الإذاعة؟ هذا هو اللغز الغريب!

لم يكن أبو العزائم في تاريخه القديم رجل إذاعة، وإنما كان رجل صحافةٍ وقلم. ولكنها غرائب الأقدار قادته يوماً بقرارٍ وزاري، فوجد نفسه في قمة المسؤولية في الإذاعة السودانية. كان مديراً لإذاعة صوت الأمة. وبعد ذلك صدر قرارٌ جمهوري بتعيينه مديراً عاماً لإذاعة أم درمان. وقد سأله أحد الصحفيين حينها عن (**أطرف موقف مرَّ به في حياته**) فأجاب على الفور أطرف موقف هو كوني مدير إذاعة.

ودُهش الصحفي الذي أدرك أخيراً أنَّ الرجل ما كان يتصور أبداً أن ينتقل من الصحافة إلى الإذاعة بهذه السهولة. ولكن هل حقاً أنَّ محمود أبو العزائم كان رجل صحافة فقط ولم يكن رجل إذاعة؟ إنَّ

---

184 ألف محمود أبو العزائم كتاب (سحارة الكاشف) وكتاب (كنتُ قريباً منهم) وكتاب (زمان الرق).

كـل الحقـائق والتجـارب الفعليـة التـي خاضـها محمـود أبـو العـزائم، والبصمات التي تركها بالإذاعة تؤكد أنه كان رجل الإذاعة الأول طوال السنوات التي قضاها مسؤولاً عن هذا الجهاز.

دخل الإذاعة من بوابة الصحافة فخلق منها أعظم الإذاعات. ودخل أستديوهاتها كمقدم للبرامج فتفوق على أهل البرامج الذين خُلقوا بين أسلاك المايكروفون. وكتب التعليقات والفقرات الإذاعية فلم يستطع أحدٌ من المتخصصين أن يطاله، وظل منافساً لنفسه طوال السنين. غيَّر ملامح الإذاعة رأساً على عقب لأنه كان أشجع المدراء في اتخاذ القرار.

ومن الأمثلة الواضحة على شجاعته في حسم الأمور، أنه في يومٍ من الأيام تظلمت السيدة فاطمة عبد المحمود وكانت يومها أمينة المرأة بالاتحاد الاشتراكي ووزيرة الشئون الاجتماعية إلى وزير الثقافة والإعلام من الأستاذ أبو العزائم وقالت إنه لم يكثف الدعاية لذلك اليوم، الذي ترعى احتفالاته وزارتها. فاتصل وزير الثقافة بمكتب أبو العزائم وقال له:

((**لماذا لم تكثفوا إذاعة الشعارات التي بعثتها لكم السيدة الوزيرة فاطمة عبد المحمود؟**)) فقال أبو العزائم بكل جُرأة وكأنه لا يخاطب وزير الثقافة: ((**هذه ليست إذاعة فاطمة عبد المحمود، ولتعلم فاطمة منذ اللحظة أنني لن أذيع شعاراً واحداً يأتي من مكتبها إلى**

الأبد، بل ولن أسمح بإذاعة خبرٍ يرد فيه اسمها ما دمتُ مديراً لهذه الإذاعة)). ولم يملك الوزير إلا أن يصمت لأنه يعرف حقيقة الأستاذ محمود أبو العزائم. وكانت الحقيقة أن الإذاعة أذاعت تلك الشعارات مراراً وتكراراً، ثم أمر أبو العزائم بإيقافها حتى لا يشعر المستمع بالملل من إذاعة تلك الشعارات. وبمجرد أن أوقفها اتصلت به الوزيرة متظلمةً من قراره وظلت تلح على طلبها، فقابلها بما لم يكن في حسبانها، وبالفعل لم تُذع تلك الشعارات مرةً أخرى حتى انتهت المناسبة.

ابتكر محمود أبو العزائم في الإذاعة ما لم يكن أحدٌ من المدراء الذين سبقوه يجرؤ على مجرد التفكير في تنفيذه وهو (**يوم النيل**). حيث كان هذا اليوم يستمر طوال ساعات الإرسال لأيام الجمعة من السادسة صباحاً إلى الثانية عشرة منتصف الليل. كما ابتكر أيضاً إذاعة الأيام المفتوحة وسماها (**اليوم الخاص**). وكانت بالتناوب مع يوم النيل في أيام الجمع.

بالطبع فإنَّ فكرة اليوم المفتوح فكرةٌ مطروقة في كثيرٍ من الإذاعات، ولكن ما كان أحدٌ يحسب أنه سينقلها بذلك الشكل إلى إذاعة أم درمان ذات التقاليد العريقة. ولم يجد أهل الفن الغنائي نصيراً لهم بين جميع مدراء الإذاعة كما وجدوه في محمود أبو العزائم.

كان الرواد من الفنانين يدخلون الإذاعة كالأباطرة في عهده لأنه ردَّ لهم اعتبار الفنان. وأعاد معظمهم تسجيل أعمالهم القديمة، لأن

الحافز المادي والمعنوي قد ارتفع في عهده. واهتم بالمواهب الجديدة لدرجةٍ مذهلة، حيث ابتكر فكرة كل يوم أغنية. فخلق تنافساً ساخناً بين المطربين ظهر من خلاله عدد من الواعدين الذين ملأوا الساحات في ما بعد.

واهتم بشباب المذيعين فظهر عددٌ كبيرٌ منهم من خلال إذاعة صوت الأُمة السودانية وما زالوا يدينون بالفضل في وجودهم للأستاذ محمود. كانت له عبارةٌ شهيرة ظلّ يرددها أيام أن كان مديراً لإذاعة صوت الأمة السودانية وهي: ((**سأجعل الناس ينسون البرنامج العام**)). وقد نجح في تنفيذ ذلك إبان توليه إدارة صوت الأمة، التي نافست بالفعل البرنامج العام.

والطريف أنه بعد ذلك عُين مديراً عاماً للإذاعة، فقال: ((**والآن سأُنسِي الناس إذاعة صوت الأمة**)). وقد فعل أيضاً بتجويده وتطويره لبرامج الإذاعة الأم في تلك الفترة. ظلّ منزل الأستاذ محمود أبو العزائم بالحارة الأولى بمدينة الثورة قبلةً مفتوحةً للزوار والرواد والمعجبين من كل الأعمار، فما أن يدخل الضيف حتى يستقر به المقام من فرط كرم الضيافة وروعة الأنس وفيض الثقافة المتشعب الذي يفيضه صاحب الدار على ضيوفه صغاراً وكباراً.

بعد ذلك أصبح مديراً عاماً للتلفزيون. ووضع بصماته التي كادت أن تسجن أهل السودان في بيوتهم لمشاهدة البرامج، وكانت هذه

هي غايته التي سعى إليها فنالها بأكثر مما توقع. ولكن لم ترق تلك الجرأة التي يتعامل بها مع الأحداث لكثيرٍ من صناع القرار السياسي، فغادر سور التلفزيون غير آسفٍ عليه، لأنه كان أصلاً غير مرتاحٍ لما يجري في ذلك الجهاز حينها، ولو بقي فيه إلى اليوم لبدل خارطة الجغرافيا في السودان.

قدم من البرامج **(زمان الرق)** و**(زمان العود)** و**(زمان الكَسْرَة)** واستضاف جميع صناع الإبداع في تلك الفترة. كان يحاورهم حوار الند والشريك الذي عايش الفترة وشارك في صناعة كثيرٍ من خباياها.

وُلد محمود أبو العزائم في الثالث من شهر أيلول سبتمبر عام 1926م وكان الوطن يغتلي بنيران الصراع الذي أعقب ثورة 24 التي أقامت الدنيا ولم تُقعدها. ونشأ في ظل تلك الظروف التي تصارع فيها كل شيء مع كل شيء، وأدخله والده خلوة الجامع ليتعلم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وبعد ذلك انخرط في سلك التعليم النظامي، حيث دخل مدرسة البندر الأولية ومنها انتقل إلى مدرسة ود مدني الأميرية الوسطى.

بعد ذلك استهوته علوم الطبيعة فالتحق بدراسة الزراعة في قسم البحوث الزراعية. وعكف على دراسة الحشرات النباتية. لم يكن كل ذلك متصلاً بعالم الفن ولا الأدب الذي تعشقه منذ نعومة أظفاره، لذلك ترك كل هذا وانخرط في العمل الصحفي، الذي تفرغ له تماماً في

صيف عام 1952م. عمل محرراً صحفياً بعدد من الصحف والمجلات الواسعة الانتشار على رأسها آخر ساعة، الأخبار، الراية، الاتحاد، العمل، الصحافة، الأيام، الرأي العام، الزمان، والسودان الجديد. وقد برع قلمه في لمس مواطن الداء وتطور حسه الصحفي والإعلامي، مما قاد القائمين على أمر الدولة أن يعينوه مديراً لوكالة الأنباء الأفريقية.

بعد ذلك التحق أبو العزائم بشعبة الصحافة والإعلام بجامعة أم درمان الإسلامية في عام 1978م، وعمل محاضراً بها. ثم شارك بالتدريس في معهد الصحافة والإعلام التابع لوزارة الثقافة والإعلام. ثم انخرط في سلك التدريس بكلية الإعلام بجامعة القاهرة الأم.

وتطور العمل التحريري لديه حتى رشحته الدوائر الإعلامية والسياسية بالسودان لنيل جائزة الدولة التقديرية، فمنحه رئيس الجمهورية وسام النيلين من الطبقة الثانية، ووسام الآداب والفنون. وحصل على وسام العلم من هيئة البحوث القومية. وقد زاده ذلك عطاءً في مجال الكتابة لم يزل ينساب إلى يومنا هذا.

9/ الخاتم عبد الله يونس

هو المدير رقم (19) للإذاعة السودانية. وقد دخل الإذاعة من بوابة التعليم والأدب الواسعة. حيث عمل معلماً بوزارة التربية والتعليم.

في عقد الستينات بدأ التعاون مع الإذاعة من خلال المواد المكتوبة للبرامج الثقافية، وله قلم بارع في الكتابة. حيث إنه شاعرٌ مطبوع وقاص كاتب مسرحي.

انتقل الخاتم عبد الله للعمل رسمياً بالإذاعة في عام 1972م، وكان من الجامعيين القلائل الذين انتقلوا للإذاعة بوظائفهم، فساعده ذلك على الترقي السريع حتى وصل إلى أعلى الوظائف القيادية فيها. حيث عمل رئيساً لقسم الثقافة، ورئيساً لإدارة البرامج، ومديراً لإذاعة الإقليم الأوسط، ونائباً لمدير الإذاعة، ثم مديراً عاماً للهيئة القومية للإذاعة السودانية في بداية تكوينها الجديد.

قدم الخاتم عبد الله العديد من البرامج الناجحة منها أولياء الله نقلاً عن تراجم الطبقات لود ضيف الله الذي قام بتنقيحه البروفيسور يوسف فضل. وكتب العديد من المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية منها: **(نهر السراب، في شرفة الوهم الجميل، العيون والرماد)**. كما كتب للمسرح واحدة من أنجح الأعمال التي أشاد بها النقاد، وهي مسرحية **(مأساة يرول)**، وغيرها من الإسكتشات والمسرحيات الناجحة [185].

والخاتم عبد الله من طراز الإذاعيين النادر الذي يعمل أكثر من أن يتحدث. ويهوى الهدوء والابتعاد عن ضوضاء البشر. وكثيراً ما يركن لغرفته الخاصة بمنزله الكائن بحي الثورة لكتابة البرامج

185 كتب الخاتم عبد الله مسرحية مأساة يرول التي أخرجها المخرج السماني لوال.

والنصوص الدرامية. ولذلك السبب كان كثيراً ما يخرج من الإذاعة صوب داره حتى في ساعات العمل الرسمية. وعندما صدر قرار الانضباط ومنع الموظفين من الخروج قبل ساعات الدوام كان الخاتم هو الوحيد الذي استثنته الإدارة من تطبيق ذلك، لأنها تعلم أنه لو قبع بين جدران المكتب لتعطل نصف الإبداع الذي ظلّ ينثره من خلال البرامج المختلفة، وذلك لأنه يعمل في بيته من أجل الإذاعة أكثر مما يعمل في مكتبه أو في أي مكان خارج البيت.

وفي إحدى ليالي عام 1985م دخل عليه مقدم برنامج صباح الخير يا وطني وكان يجلس في مكتب مدير الإذاعة لأنه كان المراقب يومها، وأخبره مقدم البرنامج بعدم وجود المادة التي كان مفروضاً أن تُسجل لصباح اليوم التالي خصوصاً وأنَّ يوم الغد كان أحد الأيام الوطنية التي تقدم فيها الإذاعة كعادتها عدداً من البرامج المدروسة بدقة وعنايةٍ خاصة، فلم ينزعج وإنما قال له بكل هدوء: ((**إذهب إلى المكتبة وأحضِرْ أشرِطَتَكَ اللازمة ثم تعال إليَّ بعد حوالي نصف ساعة**)).

وأمسك الخاتم بالقلم وانكب على الأوراق التي أمامه، ولم يرفع رأسه عنها إلا بعد أن أكمل كتابة حلقةٍ كاملة من برنامج صباح الخير يا وطني دون الرجوع إلى أي مرجعٍ أو كتاب غير عقله المتفتق وخياله اللماح. ولم تكن الحلقةُ التي كتبها حلقةً جامدةً بحكم الظروف

التي كتبها فيها وإنما كانت من أجمل ما قُدِّمَ في تلك الدورة من حلقات البرنامج. والأغرب أنَّ الخاتم عندما اندمج في كتابة تلك الحلقة الخاصة واتاه شيطان الشعر الذي لا يفارقه فصاغ ضمن فقراتها قصيدةً للوطن كانت حدثاً في البرنامج. ولكن لم يَطُلْ بقاءُ الخاتم بعد ذلك بالإذاعة، حيثُ عُين أميناً عاماً لوزارة الثقافة والإعلام ثم ملحقاً إعلامياً للسودان بالقاهرة فكسبت الخارجية وخسرت الإذاعة أحد أعظم رجالها.

قائمة الشرف

{المديرون الذين مرُّوا على الإذاعة}

* * *

تعاقب على إدارة الإذاعة منذ تأسيسها وحتى اليوم إثنانِ وعشرون مديراً، هم على التوالي:

1/ مستر فنش دوسون Mr. Vinch Doson (بريطاني الجنسية)

2/ السيد متولي عيد

3/ السيد محمود الفكي

4/ السيد عبد الرحمن الخانجي

5/ السيد خاطر أبو بكر

6/ السيد الصاغ التاج حمد

7/ السيد متولي عيد (للمرة الثانية)

8/ السيد أبو عاقلة يوسف

9/ السيد محمد صالح فهمي

10/ السيد طه عبد الرحمن

11/ السيد محمد العبيد

12/ السيد أحمد عبد الله العمرابي

13/ السيد عبد الواحد عبد الله

14/ السيد التجاني الطيب

15/ السيد محمد خوجلي صالحين

16/ السيد محمود أبو العزائم

17/ السيد محمد سليمان محمد البشير

18/ السيد صالح محمد صالح

19/ السيد الخاتم عبد الله يونس

20/ السيد حديد الطيب السراج

21/ السيد د. صلاح الدين الفاضل

22/ السيد عوض جادين

كان السيد متولي عيد هو الوحيد الذي عُيِّنَ مرتين مديراً للإذاعة. حيث تولى إدارتها في أول فترة سودنة الإدارة التي بدأت بريطانيةً كما رأينا. ثم عاد ليتسلم مقاليد الإدارة ثانيةً من الصاغ التاج حمد الذي شهدت له أروقة الإذاعة صولات وجولات، ما يزال قدامى الإذاعيين يذكرونها في سجل الصفحات الناصعات للإداري الناجح.

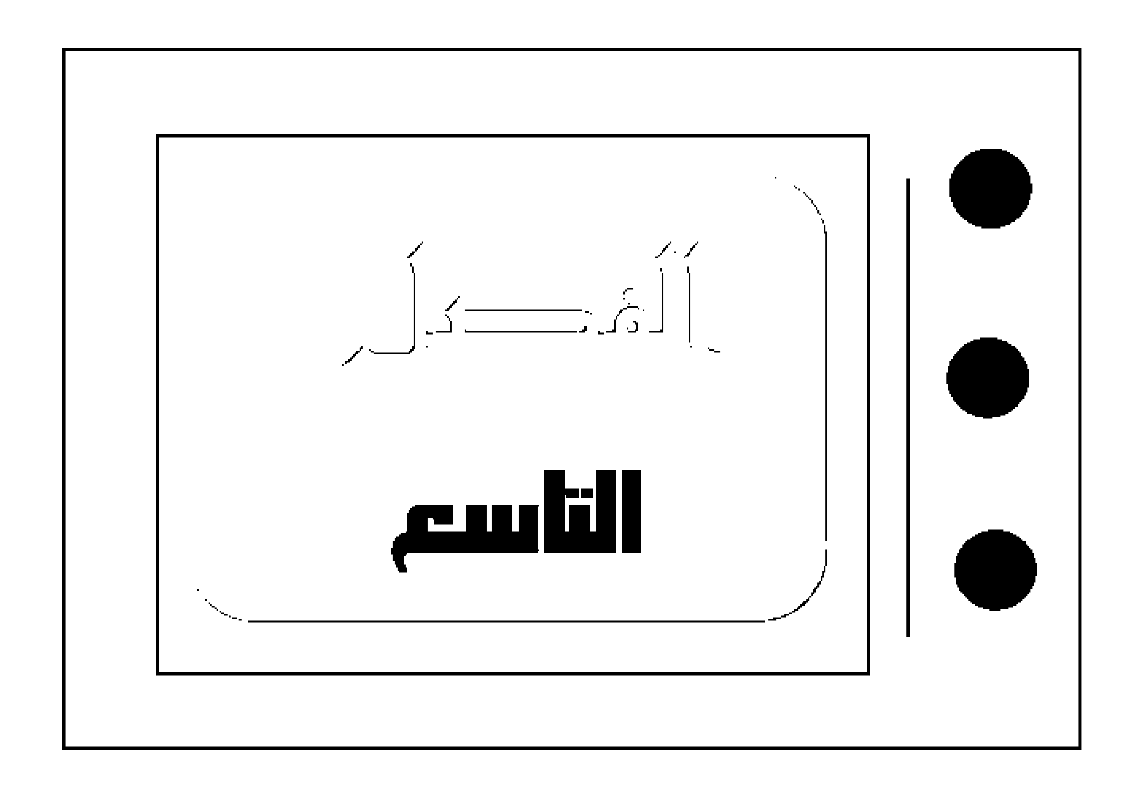
والشيء المهم في هذا الصدد أنَّ المديرين الذين بدأوا العمل بالإذاعة وحتى الأستاذ محمد العبيد لم يكن يُطلق عليهم لقب **(مدير)** وإنما كان يُطلق عليهم لقب **(مراقب الإذاعة)**. وذلك بالطبع قد نشأ من طبيعة الدور الذي كان يقوم به المدير في تلك المرحلة، وهو دورٌ ثانوي إذا قيس بدوره اللاحق خصوصاً بعد الاستقلال. ولذلك فقد بدأ لقب مدير الإذاعة مع مجيء الأستاذ **(أحمد عبد الله العمرابي)**.

استمر هذا اللقب مع كل المديرين الذين جاءوا بعد ذلك. وعندما جاء الأستاذ الخاتم عبد الله لإدارة الإذاعة تحول اللقب من **(مدير عام الإذاعة)** إلى **(مدير عام الهيئة القومية للإذاعة)**، واستمر هذا اللقب إلى اليوم، حيث شمل بعد ذلك الأساتذة: **(حديد السراج، وصلاح الدين الفاضل، وعوض جادين)**.

رؤساء الدول والشخصيات
العالمية في ضيافة الإذاعة

ظلت الإذاعة إحدى المعالم الوطنية التي تفخر بها الدولة ويزورها كبار ضيوف السودان من رؤساء الدول والحكومات. وقد زارها الإمبراطور هيلاسيلاسي والرئيس المصري جمال عبد الناصر والرئيس النيجيري أحمدو بيلو والرئيس الصيني شو إين لاي والشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم إمارة رأس الخيمة والشيخ زايد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة الشارقة. كما دخلها كل الرؤساء الذين مروا على حكم السودان في العهود المختلفة اسماعيل الأزهري، محمد أحمد محجوب، الصديق المهدي، إبراهيم عبود، الصادق المهدي، عبد الله خليل، جعفر نميري، عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، وعمر حسن البشير.





خاتمة المطاف

الفصل التاسع

خاتمة المطاف

((إنني أصبحتُ الآن أكثر اقتناعاً بما قاله علماءُ الاتصال من أنَّ المثل القديم الذي يقول إنَّ الناس على دين ملوكهم قد تبدل، وأصبح الناسُ على دين إذاعاتهم)).

[محمد سليمان البشير]
المدير الأسبق لإذاعة أم درمان

9

إنَّ لخارطة السودان الجغرافية والسياسية موقعاً متفرداً من حيثُ تصدرها لقلب القارة الأفريقية مما جعل السودان جسراً يربط العالم العربي والعالم الأفريقي. وكنتاجٍ للموروث الحضاري على مدى العصور ظلَّ السودان حاوياً لسلالات بشرية متباينة في سلوكها وفي حجمها البشري وسحناتها وتقاليدها. وكما نعلم فإنه بعد أن توحدت الأمة السودانية وأصبح لها كيانٌ واحد ذو خليطٍ متجانس من الأعراق البشرية، كان لا بد من انصهار كل هذه الأعراق التي شكلت في

النهايـة الأمـة السـودانية. ونهضـت عناصـر الـدين واللغـة والمصـير المشـترك واقتسـام الإرث الحضـاري والثـروة الماديـة والروحيـة، لتكـون سبباً فـي بلـورة التوحـد الـذي أصـبح سـمة الأمـة رغمـاً عمـا شـابها مـن نزعات التفكك والنعرات الانفصالية وإفرازات الحقب الاستعمارية.

لقد نشـأت الإذاعـة السـودانية كوسيلةٍ سـريعةٍ للمعلومـات كمـا رأينا فـي أواخـر العهد الاستعماري مكملةً للرسالة التي بدأتها الصـحف الوطنية خلال حقبة العشرينيات والثلاثينيات، مما بدا وكأنـه إرهاصـات فترةٍ مغايرة تتحكم فيها وسائلُ الاتصال في مساحاتٍ أوسـع وتلعب دوراً أكبر فـي النهضـة الجديدة، سواءٌ كمحرض على الاستقلال، أو كمسـاهم في حركات البنـاء الوطني بعد زوال الحكم البريطاني من السودان.

وفي فترة الحكومات الوطنية التي حلت محل الاستعمار كانت الإذاعـة السـودانية هـي الوسيلة الأجدى والأنفـع لتوصـيل المعلومـات للمواطنين في كل بقاع السودان.

لـم تنافسـها الصـحف ولا المجـلات ولا السـينما ولا التلفزيـون الـذي جـاء ظهوره متـأخراً نسبياً فـي عـام 1963م. ذلـك لأن الجمهـور ظل في معظمـه يعـاني من الأميـة، وكانـت عثرات وسـائل المواصـلات سـبباً فـي عـدم وصـول كثيـرٍ مـن المطبوعـات التـي تصـل مـن مصـر ولبنـان، وحتـى الـذي يُطبـع بالسـودان إلـى الأقـاليم البعيدة. حيث كانـت تكلفة الطباعة عبئاً ثقيلاً ظلّ يتفاقم مع الأيام، ويتعذر حملـه علـى ذوي

الدخل المحدود. ولذلك وجدت الإذاعة المرتع خصيباً فتخطت حواجز الزمان والمكان في أرض السودان. وقد رأينا دورَ إذاعة أم درمان في بلورة الرأي العام وتنوير المواطنين، وكيفَ أنها قد لعبت دوراً كبيراً في تنشئة الأُمة وتعبئة الشعور القومي، ليس فقط من خلال نقل الأخبار والتحليلات السياسية والتعليقات وإنما من خلال بث الثقافة الوطنية بمختلف أشكالها، مما عمق الروح القومي إلى حدٍ كبير بين المواطنين وأسهم في بلورة السياسات التي حددت مسار العمل الإعلامي ودوره في حركة البناء الوطني.

وفي كل ذلك ظلت الإذاعة السودانية تستلهم بناء الأمة الواحدة. كما أنها استلهمت قضية التنمية ومعالجة القصور في بناء المؤسسات الحاكمة وتوصيل المعلومات بكل أمانةٍ وصدق. ثم إنَّ الإذاعة قد وقفت مواقف مشهودةً في سبيل تنمية ثقافة إنسان السودان ونشر المعرفة والمعلومات لديه.

وظلت تبشر بالقيم الفاضلة لدى المجتمع، وتساعد في تنمية الموروث منها ومحاربة ما هو غثٌ وضار وغير مواكب لتطور الإنسان. وقد أثارت قضايا التنمية ومشاكلها وطموحاتها كثيراً من الجدل السياسي والإعلامي، مما أفرز دراساتٍ عديدة في أجهزة الإعلام المختلفة بالسودان. وقد أصبح العبء ثقيلاً على الإذاعة في خلق البرمجة التي تقوم على أساس المسؤولية الصعبة والتخطيط

الدقيق، لأنَّ حركة الإعلام الناجح تتبع دائماً من التمهيد للأحداث، مما استدعى عملاً إذاعياً مواكباً يضع النقاط على الحروف قبل وأثناء وبعد حدوث التطورات التي حدثت في السودان.

انتهى

&●&

المراجع:

- إبراهيم وهبي، الخبر الإذاعي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى القاهرة 1980م.
- أبو عاقلة يوسف، حديث صحفي لجريدة السودان الحديث أول يناير 1995م.
- الإسلام في السودان، بحوث مختارة من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، قاعة الصداقة الخرطوم، دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي، الخرطوم، نوفمبر 1982م.
- أحمد عبد الله آدم، أصول البقارة والدينكا وقضية أبيي، معامل التصوير الملون الخرطوم.
- التجاني مصطفى محمد صالح، عوامل تشكيل الشخصية القومية السودانية، مجلة الثقافة السودانية، العدد 28، مايو 1995م، الهيئة القومية للثقافة والفنون.
- التقرير الخاص بإنشاء الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون.
- جعفر محمد علي بخيت، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919-1939م، ترجمة هنري رياض، دار الثقافة بيروت، 1972م.
- جمعة جابر، الموسيقى السودانية تاريخ-تراث-هوية-نقد، شركة الفارابي للنشر والأدوات المكتبية المحدودة، الطبعة الأولى، الخرطوم، 1987م.

- حسن أحمد إبراهيم، الإمام عبد الرحمن المهدي (دراسة حول المهدية الجديدة ودور الإمام عبد الرحمن المهدي في الحركة الوطنية السودانية) (1998-1934م)، دار جامعة الأحفاد للبنات، أم درمان.
- حسن أحمد إبراهيم، محاضرة غير منشورة في تاريخ الصحافة السودانية، جامعة الخرطوم، مايو 1983م.
- حقائق أساسية عن الإذاعة السودانية، تقرير قسم العلاقات العامة بالإذاعة، نوفمبر 1975م.
- عبد العظيم عوض، الخدمات الأخبارية بالإذاعة والتلفزيون، بحث تكميلي لنيل درجة الدبلوم التخصصي في مادة الإعلام، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم نوفمبر 1983م.
- عبد الغفار محمد أحمد، السودان الوحدة في التنوع، دار النشر جامعة الخرطوم.
- عبد الغفار محمد أحمد وسامية الهادي النقر، السودان مستقبل التنمية والسلام، مركز الدراسات السودانية، القاهرة 1995م.
- عبد الله عبد الرحمن الضرير، العربية في السودان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1967م.
- عوض إبراهيم عوض، لغة الإذاعة دراسة تحليلية، دار جامعة الخرطوم للنشر، يناير 2001م.

- عوض إبراهيم عوض، المادة السياسية بالإذاعة والتلفزيون، بحث لنيل درجة الدبلوم العالي في الإعلام، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم 1983م.
- عوض إبراهيم عوض، أبعاد الصراع السياسي حول استقلال السودان، المركز العربي الأفريقي، كوالا لمبور، ماليزيا 1997م.
- محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم 1971م.
- محمد أحمد محجوب، الديموقراطية في الميزان، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة 1973م.
- يحيى الفضلي، حديث للإذاعة السودانية حول الاستقلال 31 ديسمبر 1976م.
- يس حسن معني، محاضرات غير منشورة عن إعداد الخبر الإذاعي، أُعدت لتدريب الإذاعيين الجدد، يونيو 1975م.
- يوسف الخليفة أبو بكر وسيد حامد حريز، قائمة اللغات المستخدمة بالسودان، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الأول للغة العربية الذي انعقد بقاعة الصداقة بالخرطوم في كانون أول ديسمبر عام 1982م.
- يوسف حسن سعيد، الإسلام ومشكلات النظام الزراعي (وضع السودان ومشكلاته الزراعية في الإطار العام المتقدم) ورقة بحثية

مقدمة للمؤتمر الاول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم 27 نوفمبر 1982م.

- أرشيف مجلة الإذاعة والتلفزيون السنوات 1965 – 1975م.
- صحيفة الأيام، الثلاثاء 3 مارس 1976م.
- صحيفة الإنقاذ الوطني، أول يناير 1995م.
- صحيفة الرأي العام، عدد الخميس 11 مايو 1955م.
- صحيفة الرأي العام اليومية عدد الخميس 11 مايو 1955م.
- صحيفة الأيام السودانية، عدد يوم الثلاثاء 3 مارس 1976م.
- مجلة هنا أم درمان، عدد الخميس أول مارس 1962م.
- هياكل البرامج الدورية لإذاعة جمهورية السودان (1973–1986م).
- Head, Sydney W. and Christopher H. Sterling, "Broadcasting in America":, A Survey of Electronic Media, Boston: Houghton